القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- الصلات بين النوبة وقبائل السودان حتى نهاية العصر المسيحي
  د. أحمد الياس حسين
- الثروات المعدنية في الجزيرة العربية قبل الإسلام
  د. سلطان أحمد الغامدي
- القابيرو في إقليم كردفان (ملامح من تاريخ السلم الاجتماعي في السودان)
  د. عوض شبا
- أسواق عنيزة.. معالم وتاريخ.
  أ. مقبول بن يونس الزيلعي - أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني
- موقع قرية الـفـاو من خلال المكتشفات الأثرية الحديثة
  أ. سارة مسعد الهذلي
- استخدام الحيوانات في المواكب في العصر العباسي الأول (132 - 232هـ/750 - 847م)
  أ. هاشم فهيد سريحان المطيري
- وادي الصفراء بالحجاز في العصور الإسلامية (1 - 656هـ/ 623 - 1258م) (دراسة تاريخية حضارية)
  أ. ولاء بنت فهد مرزوق الحربي

العدد السادس والثلاثون رمضان 1446هـ - مارس 2025م

مجلة القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة - العدد السادس والثلاثون رمضان 1446هـ - مارس 2025م

ردمك ISSN: 1858 - 9952

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2025
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د.أسامة عبد الله محمد الأمين -السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

الصلات بين النوبة وقبائل السودان حتى نهاية العصر المسيحي.....(7-22)

د. أحمد الياس حسين

الثروات المعدنية في الجزيرة العربية قبل الإسلام.....(23-84)

د. سلطان أحمد الغامدي

القابيرو في إقليم كردفان (ملامح من تاريخ السلم الاجتماعي في السودان).....(85-110)

د: عوض شبَا

أسواق عنيزة.. معالم وتاريخ.....(111-124)

أ.مقبول بن يونس الزيلعي - أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني

موقع قرية الفاو من خلال المكتشفات الأثرية الحديثة.....(125-142)

أ. سارة مسعد الهذلي

استخدام الحيوانات في المواكب في العصر العباسي الأول(132 - 232هـ/750 - 847م).....(143-152)

أ.هاشم فهيد سريحان المطيري

وادي الصفراء بالحجاز في العصور الإسلامية(1 - 656هـ/ 623 - 1258م)

(دراسة تاريخية حضارية).....(153-178)

أ. ولاء بنت فهد مرزوق الحربي

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

يسعدنا ويسرنا أن نضع بين يديك العدد السادس والثلاثون من مجلة القُلزم العلمية للدراسات الإسلامية وهي تصدر في إطار الشراكة لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر مع جامعة كسلا (السودان) عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع، ويضم هذا العدد مواضيع متنوعة نتمنى أن تنال رضاكم .

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

الصلات بين النوبة وقبائل السودان حتى نهاية العصر المسيحي

د. أحمد الياس حسين

كلية التربية – جامعة الخرطوم

المستخلص:

بدأ اسم النوبة في الظهور مبكراً منذ الألف 3 ق م في المصادر اليونانية والرومانية في مناطق غرب ووسط وشمال السودان. وقد بدأت هذه الدراسة بإلقاء بعد الضوء على سكان السودان القدماء قبل الألف 3 ق م للتعرف على السكان الذين عاصروا وتواصلوا مع النوبة. كما تتناول الدراسة ما ورد عن مواطن النوبة وأصل اسمهم ومناطق انتشارهم منذ الألف 3 ق م وحتى العصر المسيحي، وتتبُّع صلاتهم وعلاقاتهم بقبائل السودان الأخرى وأوضاعهم في مملكة مروي ومملكة علوة. وقد اعتمدت الدراسة على ما ورد عن الموضوع في المصادر المصرية القديمة والمصادر اليونانية والرومانية والمصادر العربية المبكرة.

الكلمات مفتاحية: النوبة، المصادر المصرية القديمة والكوشية واليونانية الرومانية والعربية، مملكة مروي، مملكة علوة.

Relations between the Nuba and Other Sudanese Tribes Until the Christian Period

Dr. Ahmed Elias Hussein

Abstract:

The name Nuba began to appear in Greek and Roman sources as early as the 3rd millennium BCE in the regions of western, central and northern Sudan. This study sheds light on the ancient inhabitants of Sudan before the 3rd millennium BCE and identifies their connections to the Nubians. The study also addresses the habitats of the Nuba, the origin of their name, and the areas they spread to from the 3rd millennium BCE until the Christian era. This paper also looks into their connections and relations with other Sudanese tribes, and with the Kingdoms of Meroe and Alwa. The research relies on ancient Egyptian, Greek and Roman sources, and early Arabic sources.

Keywords: Nuba, ancient Egyptian, Cushite, Greek, Roman and Early Arabic sources, the Kingdoms of Meroe and Alwa

مقدمة: عن سكان السودان قبل الألف 3 ق م :

الكتابة عن الصلات بين النوبة وسكان السودان تتطلب الرجوع إلى الماضي للتعرف على النوبة والسكان الذين عاصروهم وعاشوا وتواصلوا معهم. ولما كان أقدم ذكر لاسم النوبة جاء في القرن الثالث قبل الميلاد فإننا سنحاول التعرف على أولئك السكان - على الأقل بأسمائهم فقط - قبل ظهور اسم النوبة.

دلت آثار الفخار والرسوم الصخرية التي اكتشفت في منطقة شرق دارفور على استيطان السكان المبكر فيها منذ العصر الحجري القديم، كما وُجِدت أشكال غير منتظمة من الكتابة التصويرية في جبال شمال كردفان «تماثل تحديداً - كما عبر ماكمايكل - الرسوم الصخرية في الجزء الأكبر من شمال افريقيا وبلاد الطوارق»[1] ويؤكد هذا الصلة المبكرة بين سكان تلك المناطق.

كما ألقت المصادر المصرية القديمة والكوشية بعض الضوء على سكان السودان القدماء قبل القرن الثالث قبل الميلاد. وتناولت تلك الآثار سكان المنطقة الواقعة على النيل وشرقاً حتى البحر الأحمر بأسماء تاستي ونحسي ثم الكوشيين. وعرف سكان الشرق بعدد من الأسماء يمكن حصرها في مجموعات مجا والمدجو ومزا وأونوت، وظل اسم كوش سائداً طيلة العصرين الكوشيين الأول والثاني. وتناولت الآثار المصرية سكان المناطق الوقعة إلى الغرب من النيل مثل التِّمحو Temehu والجرمانت. وقد ارتبط التِّمحو بمؤسسي المجموعة الثقافية ج في تاريخ السودان القديم، كما ارتبطوا بالتاما ووادي هَوَر في شمال دارفور.[2] وذكر أورك بيتس أنهم كانوا يصلون في تجوالهم حتى النيل النوبي.[3] وهكذا فإن قبائل التِّمحو المشهورة في كتب التاريخ بالقبائل الليبية كانت ذات صلة دائمة بمناطق النيل. Relations between the Nuba and Other Sudanese Tribes Until the Christian Period وقد ظهرت في الآثار المصرية في معبد الملكة حتشبسوت في نهاية الألف السادس عشر قبل الميلاد أشكال ستة زعماء لقبائل أو لجماعات سودانية من بينهم الـ Irm و Nimiu يقدمون الذهب إلى الملكة. ورأى ماكمايكل أنه من أسماء وأشكال الزعيمين من الممكن أن يكونا Nimiu أسلاف الـ Nyima الحاليين في جبال النوبة، والـ Irm هم الذين أشارت إليهم المصادر المصرية القديمة في القرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر قبل الميلاد بأرضIrm التي تقع في منطقة الإستبس الواقعة غربي النيل الأبيض والمعروفة اليوم بكردفان حيث لا يزال بعض فروع الميما يعرف بـArmi .[4] والملكة حتشبسوت حكمت في عصر الدولة المصرية الحديثة التي أنهت حكم مملكة كوش الأولى واحتلت السودان. ويعني ظهور زعماء أولئك القبائل في آثارها أن الاحتلال المصري توغل في كردفان الحالية، وأصبحت سكان منطقة جبال النوبة جزء من الأراضي المحتلة، أي أن تلك المناطق لم تكن في عزلة عمّن جاورها من باقي المناطق شمالاً. ورغم أن حدود مملكة كوش الأولى التي قامت في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد قد امتدت حتى أسوان شمالاً، فإن امتداد حدودها الجنوبية لا تزال غير واضحة. ولكن هنالك ما يدل على تواصل سكانها غرباً، فقد رأى بعض المؤرخين أن أصل مؤسسي مملكة كرمة أتوا من الصحراء الغربية، وربطوهم قبائل التِّمحو.[5] وفي الفترة التي ظهرت فيها مملكة كوش الثانية في نَبَتة في أول الألف الأخير قبل الميلاد ظهر اسم شعب آخر كلن له أثره على منطقة غرب النيل في السودان، ذلك هو شعب الجرمانت.

الجرمانت هم الشعب الذي أسس مملكة جرمة، وكانت عاصمتهم مدينة جرمة في جنوب ليبيا بالقرب من مدينة سبها الحالية.(6) وقد ارتبط شعب الجرمامنت بسكان المناطق المجاورة للنيل. ورأى بعض المؤرخين ارتباطهم بقبائل التبو التي كانت تتجول بينبين فزان والنيل، كما ربطوهم أيضاً بقبيلة القرعان.(7) وهكذا يتضح أن المنطقة الواقعة بين النيل شرقاً وتبستي وجنوب ليبيا غرباً وبين دارفور وكردفا الحالتيتن جنوباً والواحة الخارجة في مصر شمالاً كانت مأهولة بالسكان. تتمتع بكميات كثيرة من الأمطار، وكانت بها غابات وغطاء نباتي غزير.[8]وهنالك بحيرة في مرجا غربي دنقلة، وكان وادي هَوَر نهراً دائم الجريان، وهنالك الـ grassy valley والمياه الدائمة والبرك الموسمية كما في واحات دنقل والفرافرة واللقية أربين وسليمة وبير طرفاوي[9] وبدأت الزراعة وتد جين الحيوان في نَبَتة بلايا جنوب الواحة الخارجة قبل بدايته على النيل.[10] وعاش سكان هذه المنطقة بما فيهم أسلاف النوبة في تواصل مستمر. وكانت حدود مملكة كوش الثانية ممتدة حتى كردفان ودارفور غرباً. فقد وجدت بعض الآثار المروية في جبل ميدوب وفي جبال شمال كردفان.وكان اسم كوش عائشاً بين سكان غرب السودان بعد انهيار مملكة مروي في الشمال مما يرجح - كما يرى آركل - لجوء الأسر إلى الجزء الغربي من المملكة.[11]ونجد التراث الشعبي في شمال السودان ما يزال يحمل الصلة القوية بين دولة كوش الثانية وكردفان. فقد جاء في مخطوطة داود كُبارة بن سليمان أن عاصمة مملكة نبتة الأولى كانت البركل، وعاصمتها الأخرى «جبل عبد الهادي الذي يقع بين دنقلة وكردفان وجبال أخرى مختلفة»12 وقد حمل التراث المحلى في جبال النوبة أيضاً صدى ارتباط السكان القدماء بدولة كوش في الاستخدام الواسع لاسم كوش حيث ورد:

أنا من الشرق قد جئت ... من بركل رهطي
حملني على الفراق بنو الحمران ... لم يكن ذلك من ذات نفسي[13]

ومنذ نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد وردت في الآثار النَّبتية عدد من الثورات في عدد من المناطق. ووردت الاشارة إلى بعض قبائل الصحراء مثل الرهرهس والمِدد شمال وشرق مملكة نبتة، ولم تُحَدد مناطق الثورات الأخرى. ولكن يميل الباحثون أن أغلب نشاط الملك ناستاسن (حول 335 - 310 ق م) العسكري كان في منطقة كردفان الحالية.[14]ويبدو أن قبائل غرب النيل قد بدأت تخرج عن سلطة الدولة المركزية كما يتضح ذلك فيما ذكرته المصادر اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد. ويمكن القول من خلال ما تقدم أن مملكة كوش الثانية كانت دولة شملت حدودها تقريباً شرق وغرب مناطق السودان الحالية، وضمت شعبا مكوناً من عدد من القبائل ربطت العوامل الطبيعية بينهم من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوبية. وكانت الدولة ذات لغة مكتوبة هي اللغة الرسمية لغة الإدارة ولغة التخاطب العامة في الدولة اللغة المروية. وبدأت المعلومات تتوفر عن مدن وسكان السودان في المصادر اليونانية والرومانية. وقد جمع إدي Edie وآخرون تلك النصوص إلى جانب نصوص أخرى مروية وقبطية عن السودان في مؤلف كبير، وترجموا النصوص إلى اللغة الانجليزية، وتولت جامعة بيرقن نشر الكتاب في أربعة

أجزاء.15وقامت سامية بشير دفع الله بترجمة النصوص اليونانية والرومانية إلى اللغة العربية في كتاب نشرته جامعة السودان المفتوحة.[16]

تناولت تلك المصادر سكان السودان ومدنه منذ القرن الثالث قبل الميلادي، وقد ورد ذكر عدد كبير من المدن على النيل والمناطق الواقعة إلى الشرق وإلى الغرب منه. وبلغ عدد القبائل المذكورة في تلك المصادر بين القرن الثالث قبل الميلاد والرابع الميلادي 51 قبيلة، منها ثلاثون عاشت على النيل والمناطق الداخلية شرقيه وعلى النيل الأزرق. وعدد القبائل المعروف مواطنها من هذه الثلاثين أحد عشرة قبيلة كما في الجدول رقم1.

جدول رقم 1 القبائل المعروف مواطنها على النيل والمناطق الداخلية شرقاً

مواطن القبائل	اسم القبائل
النيل وجزيرة مروي (البطانة)	السمبرايت والماكروبي والأتابولي(الاتومول)
الصحراء حتى البحر الأحمر	الميقابورى والترجلودايت والرهرهس
نهر عطبرة	الديداكا والبِشِيني
النيل الأزرق والجزيرة	النوبة والسمباريون والفاليجي والأسخان
النيل الأبيض	مِنسِمِني

الجدول من إعداد كاتب الموضوع

وجاء ذكر ستة عشرة قبيلة في المناطق الواقعة إلى الغرب من النيل بين أسوان شمالاً والنيل الأبيض جنوباً. منها ما يتواجد بالقرب من النيل ومنها ما يتوغل في الصحراء غرباً حتى مناطق مرتفعات تبستي. والقبائل المعروف مواطنها كما في الجدول رقم 2.

جدول رقم 2 قبائل مناطق غرب النيل

موطن القبيلة	اسم القبيلة
بالقرب من النيل	النوبة
شعاب الجرمانت (تبستى؟)	النوبة
جنوب ليبيا	الجرمانت

الجدول من إعداد كاتب الموضوع

هذه هي أسماء القبائل التي ورد ذكرها منذ القرن الثالث قبل الميلاد في المصادر اليونانية والرومانية وعددها واحد وخمسون قبيلة تعيش في حدود السودان الحالي، ماعدا بعضها في الشرق والغرب والذي كانت مواطنه متداخلة في السودان كماهو الحال الآن. ويلاحظ أن اسم النوبة ورد بين أسماء تلك القبائل المعروف مواطنها في غربي النيل وشرقيه. وشعب النوبة هو الذي يهمنا في هذا البحث، وسنتتبعه في محاولة التعرف على علاقته بسكان السودان بادئين بالبحث عن أصل الاسم ثم نبحث عن دلالته عبر العصور. ورغم أن النوبة لهم صلات تاريخية قوية مع كل سكان

السودان إلا أننا سنشرع هنا في البحث عن العلاقات بينهم وبين نوبة الشمال فاتحين الباب أمام الباحثين لولوج هذا الموضوع المهم وغيره من الموضوعات المتعلقة بدراسة تاريخ السكان ولغاتهم.

النوبة: موطنهم واسمهم:

اتفقت آراء أغلب الباحثين مثل وليام آدمز وكيروان وآركل وزهلرز و-Monneret de Vel lard أن الوطن الأصلي لشعب النوبة في الجنوب والشمال هو منطقة شمال كردفان، بينما يرى Hintze أن الموطن الأصلي لنوبة الجزيرة ونوبة الشمال ما عدا النوبادي هو النيل الأزرق. ويرى كيروان أن أصل النوبادي لا يرجع إلى الصحراء بل هم من نفس سلالة نوبة شمال كردفان هاجروا نحو الشمال من جزيرة مروي،[17] بينما يرى آدمز أن الشعبان ربما نشأ من أصل واحد في الغرب ولكن النوباديين هاجروا نحو شمال السودان في القرن الأول الميلادي وليس القرن الثالث كما ذكر المؤرخ الروماني بروكوبيوس.[18] وهكذا ربط المؤرخون بين أصول النوبة بكردفان والجزيرة والنيل الأزرق والبطانة (جزيرة مروي) والصحراء الغربية. وقد ذكر تريقر أن الأبحاث التي أجريت على الهياكل العظمية في شمال السودان والدراسة أخرى أجرتها كريستين سايمون وضحتا أنه لم يطرأ تغير عرقي يذكر على التركيبة السكانية في شمال السودان - رغم اختلاطهم بقدماء المصريين والعرب والشراكسة - منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن.[19] كما أثبتت نتائج الدراسات الآثارية والأنثربولوجية التي قام بها كل من Derry وSeligman أن سكان منطقة النيل في الشمال حتى وادي حلفا منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد وسكان العصور اللاحقة في مملكتي نبتة ومروي هم نفس سلالة السكان الذين وجدت آثارهم في جبل مويا بالجزيرة في نهاية الألف الأخير قبل الميلاد.[20] وفي نفس الوقت توصل نفس الباحثان Derry وSeligman كما نقل ماكمايكل أنهما عندما درسا بعض مخلفات السكان القدماء في الجزيرة أظهرت نتائج أبحاثهما المعملية أن أولئك السكان القدماء يشبهون بدرجة كبيرة سكان جبال النوبة الحاليين[21] مما يشير إلى صلة القرابة بين السلالتين.

فنتائج الأبحاث الآثارية والانثروبلوجية وضحت أن الانسان في شمال السودان هو نفسه - من ناحية عرقية - الانسان في وسط السودان، وهم كلهم ذات السلالة العرقية التي تعيش الآن في جبال النوبة بجنوب كردفان.

يرى بعض المؤرخين أن الأصل المشتق منه اسم نوبا غير معرف، بينما أرجعه البعض الآخر إلى كلمة المصرية القديمة «نُوب nub»[22] التي تعني الذهب. وقد أطلق قدماء المصريين عدداً من الأسماء على سكان المناطق الواقعة على طول حدودهم الجنوبية منذ بداية التاريخ المصري القديم في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وحتى نهايته بدخول مصر تحت الحكم اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد، مثل أسماء:

تاستي أي رماة الحدق ونحسيو «أي السود» على كل سكان المناطق الجنوبية المجاورة لأسوان. وعرف سكان الصحراء الشرقية وسواحل البحر الأحمر بأسماء كثيرة مثل مجا مجاو ومدجا ومدجاي ومدد وميجاباري. ومزا مزاي ومزاو ومزاوي ومازوي. كما عُرف سكان مناطق

جنوب حلفا والمناطق المجاورة لها غرباً اسم ايام وعرفت الشعوب المجاورين لهم في الصحراء اسم التمحو أو الطمياح. ثم ظهر اسم كوش. ولم يرد اسم «نوبة» بين كل تلك الأسماء، وذكر المؤرخ المصري زاهر حواس أنه لم يعثر على تسمية نوبا في أي وثيقة من الوثائق المصرية القديمة أوالوثائق البطلمية.23 ولذلك فمن المستبعد رجوع كلمة نوبا إلى الكلمة المصرية القديمة نوب. وربط بعض المؤرخين بين كلمة Nebed التي أطلقها تحتمس الأول في منتصف القرن الخامس عشر على السودانيين وتعني ذوي الشعر المضفر. ونطق الكلمة القبطية التي تدل على الشعر المضفر قريب جداً من نطق كلمة نوبا ولذلك رأى البعض أن كلمة Nebed أو الكلمة القبطية قد تكون الأصل لكلمة «نوبا». والذي يبدو معقولاً- كما أرى - أن الاسم «نوبة» اسم محلي كان يطلق على مجموعات كثيرة من سكان السودان في الغرب والوسط والشمال كما هو واضح مما ورد في المصادر اليونانية. فقد ذكر اراتوثين في القرن الثالث قبل الميلاد - كما نقل عنه سترابو - انتشار شعب النوبة في مناطق غرب النيل فقال: «إلى الغرب من النيل في ليبيا يعيش النوباي [Nubai] قبيلة كبيرة تبدأ مواطنها من عند مروي وتمتد حتى انحناءة النيل، ولا يخضعون للاثيوبين ومنقسمون إلى عدة ممالك منفصلة عن بعضها البعض.»[24] وليبيا هنا مقصود بها المناطق الواقعة غرب النيل، فقد كانت المصادر اليونانية تطلق اسم ليبيا على كل مناطق غرب نهر النيل. وعلق توروك على هذا النص قائلًا: «ينتمي هؤلاء النوبة إلى عائلة كبيرة من متكلمي اللغة النوبية. وقد عاش فرع منهم في منطقة النوبة النيلية في عصر الدولة المصرية الحديثةبين القرنين 16 11- ق م.»(25)

ظهرت في الآثار المصرية أشكال زعماء لقبائل أو لجماعات السودانية يقدمون الذهب إلى الملكة في نهاية الألف السادس عشر قبل الميلاد من بينهم الـ Irm وNimiu . ورأى آركل أنه من أسماء وأشكال الزعيمين من الممكن أن يكونا Nimiu أسلاف الـ Nyima الحاليين في جبال النوبة.[26]

النوبا في المصادر اليونانية والرومانية:

ورد ذكر النوبة في مناطق شرق وغرب النيل منذ القرن الثالث قبل الميلاد. فقد ذكر أرستوكريون: «هنالك جزيرة في النيل تتبع للسمبرايت تحت حكم امرأة، وعلى بعد ثمانية أيام من هذه الجزيرة يوجد النوبيون Nubaei الاثيوبيون، وتقع مدينهم تنبسس Tenupsis على النيل».[27]

فالسمبرايت يعيشون في جزيرة في النيل وهم تحت حكم ملكة مروي، ثم على بعد ثمانية أيام من الجزيرة تجد مدينة النوبة الأثيوبيين أي التابعين لمملكة مروي تمييزاً لهم من النوبة غير التابعين لمملكة مروي على الضفة الغربية للنيل. وقد اعتبر الباحثون أن مدينة النوبة تنبسس تقع على النيل الأزرق لأن وصف أرستوكريون يتجه من النيل نحو الشرق. وترى سامية بشير دفع الله أنه توجد الآن على الضفة الشرقية النيل الأزرق بالقرب من حنتوب الحالية قبالة مدينة ودمدني قرية صغيرة تسمى «تنوبة» وترجح أنه بناءً على الشبه اللفظي والوصف الجغرافي يمكن أن تكون هي مدينة تنوبسس المذكورة. ويرى Laszlo Torok أن مدينة Tenessis التي ذكرها سترابو ضمن مدن المناطق الداخلية للبحر الأحمر هي نفسها مدينة تنبسس.[28] وربما لا يتعارض ذلك مع ما اقترحته سامية لموقع مدينة تنبسس، لأن مواقع المناطق الداخلية من الساحل لم

تكن معروفة بصورة جيدة للمؤلفين اليونانيين والرومان. وربما كان اسم النوبة يطلق على سكان المناطق الممتدة شمال النيل الأزرق في منطقة البطانة الحالية. وفي القرن الثالث قبل الميلاد أيضاً ذكر اراتوثين وجود النوبة غرب النيل فقال: «إلى الغرب من النيل في ليبيا يعيش النوباي Nu-bai قبيلة كبيرة تبدأ مواطنها من عند مروي وتمتد حتى انحناءة النيل، ولا يخضعون للاثيوبيون ومنقسمون إلى عدة ممالك منفصلة عن بعضها البعض»[29] وينطبق موطن النوبة هنا بناءً على هذا الوصف على صحراء بيوضة والمناطق الواقعة غربيها. ويبدو من وصف اراتوثين أن النوبة قبائل كبيرة ومتعددة وتنتظم كل قبيلة تحت حاكمها، فهم لا يخضعون للأثيوبيين ويقصد بهم هنا مملكة مروي بل مستقلين عنها. ويعلق توروك على هذا النص قائلاً: «ينتمي هؤلاء النوبة إلى عائلة كبيرة من متكلمي اللغة النوبية. وقد عاش فرع منهم في منطقة النوبة النيلية في عصر الدولة المصرية الحديثة (بين القرنين 16 - 11 ق م) وهم النوبة الذين غزو مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي»[30] وفي القرن الأول قبل الميلاد نقل ديودور الصقلي الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وصف أجاثرخيدس لمواطن النوبة غربي النيل فقال:

«يوجد في المنطقة الليبية من البلاد بمحاذات النيل منطقة في غاية من الجمال تنتج أصنافاً متنوعة من الطعام وتوفر أحراشها ملاذاً ملائماً من الحر الشديد لهذا السبب تنازع على ملكيتها الاثيوبيون والليبيون، وكانوا يتحاربون باستمرار من أجل امتلاكها. وترد إلى هذه المنطقة أرتال من الأفيال من دواخل البلاد قاصدة حشائشها الغنية الطيبة حيث تنتشر على طول ضفة النهر مراعي كثيفة زاخرة بمختلف أنواع النباتات ... »[31]

يبدو من وصف اجاثرخيدس لهذه المنطقة أنها تمثل الامتداد الجنوبي لمواطن النوبة الذين ذكرهم اراتوثين في صحراء بيوضة. ويتضح من وصفه للمنطقة التي يسودها الآن الجفاف والتصحر أنها كانت تتمتع بكل مقومات الحياة للإنسان والحيوان. وكانت المنطقة في غاية من الجمال وتنتج أصنافاً متعددة من الطعام، وتوفر غاباتها وأحراشها ملازات آمنة للإنسان والحيوان.

كما يبدو أن مواطن النوبة امتدت من صحراء بيوضة جنوباً وعلى شواطئ النيل الأبيض الغربية والمناطق الداخلية. لأن أجاثرخيدس ذكر أن الأفيال تأتي من دواخل البلاد «من أرض الحياة البرية « وتهاجمها الثعابين في منطق مياه الشرب. وذكر أن تلك الثعابين أعدادها كبيرة وأحجامها مهولة، وتتجنب هذه الثعابين الحياة في الأراضي المسطحة فتعيش في المناطق الجبلية في الوديان الضيقة والكهوف.[32] وربما قاد هذا الوصف إلى مناطق جبال النوبة الحالية في جنوب كردفان. وفي القرن الأول قبل الميلاد وضح سترابو أن النوبة يتواجدون في المناطق الواقعة جنوبي مصر إلى جانب قبائل البليميين والترجلودايت.[33] والبليميين هم من أسلاف قبائل البجة كانوا يعيشون على النيل في المناطق الواقعة جنوب أسوان. والترجلودايت أيضاً من أسلاف البجة كانوا يعيشون في المناطق الجبلية نحو البحرالأحمر. فالنوبة الذين يعيشون إلى جوارهما ربما كانوا يتواجدون على كلا ضفتي النيل الشرقية والغربية. ووضح سترابو أن النوبة Noubai كانوا يسيطرون على الجانب الغربي من النيل، ويسيطر المرويون على الجانب الشرقي. وكانا يتنافسان على السيطرة على «الجزر والأراضي

النهرية فيخرج الفريق الأضعف ويرضخ للأقوى»[34] ويبدو أن العلاقات بين مملكة مروي والنوبة غربي النيل - رغم منافستهما على الأراضي النهرية - كانت علاقات طيبة. فقد ذكر قائد البعثة التي أرسلها الامبراطور الروماني نيرون لاستكشاف منابع النيل في القرن الأول الميلادي أن البعثة وجدت المساعدة من ملك مروي، وأنه حمل البعثة توصيات للملوك المجاورين له على النيل جنوباً، وساعدهم أولئك الملوك[35] مما مكن البعثة من التوغل جنوباً، وذكروا أنهم وصلوا إلى:

«منطقة أحراش ضخمة جداً حتى الأهالي لا يعرفون طريقاً للخروج منها، ولا أحد يأمل في أن يجد مخرجاً. تشابكت فيها الحشائش الغزيرة تحت الماء فجعلتها غير سالكة لا مشياً على الأقدام ولا بالمراكب، اللهم إلا مركب من النوع الصغير جداً الذي يتسع لشخص واحد، هو فقط يمكن أن يمر عبر الوحل والمستنقعات المليئة بالحشائش»[36] ويتضح من خلال هذا الوصف أنهم توغلوا على النيل الأبيض جنوباً، وليس من الضروري أن تكون منطقة السدود التي وصلتها بعثة نيرون في مكانها الحالي جنوب النيل الأبيض، ربما كانت في مكانها الحالي أو إلى الشمال قليلاً. والذي يهمنا هنا أن ملوك المنطقة الذين هم من ملوك النوبة الذين ذكر اراتوستين امتداد ممالكهم جنوباً من صحراء بيوضة. وقد استجاب أولئك الملوك لرجاء ملك مروي وساعدوا البعثة مما يشير إلى حسن الجوار بين الطرفين. وورد في تقرير بعثة نيرون ما يوضح حدوث تحرك سكاني في منطقة غرب النيل قبل القرن الأول الميلادي. فقد ذكر المؤلف الروماني بليني عن بيون الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد أسماء 24 مدينة على ضفة النيل الشرقية و23 مدينة على ضفة النيل الغربية في المنطقة الممتدة بين أسوان شمالاً إلى حد مروي جنوباً. وذكر بليني أن تقرير بعثة نيرون وضح أنه عندما مرت البعثة بالمنطقة في القرن الأول الميلاد لم يجدوا أي من المدن المذكورة على ضفتي النيل، وأن تلك الأماكن خالية من السكان.[37] وبالطبع فإن التحقق من وجود هذا العدد الهائل من المدن على ضفتي النيل وتدميرها قبل منتصف القرن الأول الهجري يتطلب العمل الآثاري المكثف، خاصة وأن تقرير بعثة نيرون قد وضح أيضاً أن العلاقات لم تكن متوترة بين مملكة مروي وقبائل النوبة غرب النيل لأن ملوك أو زعماء تلك القبائل قاموا بمساعدة البعثة. كما إن الآثار المروية في لم تشر إلى مثل تلك التحركات الكبيرة. وعلى كل حال فإن الأمر يتطلب عناية الباحثين ومؤسسات البحث العلمي خاصة وأن أعمال التنقيب ما زالت محدودة لم تغط كل ما يتعلق بأحداث تلك الفترة. وإذا قبلنا ما ذكرته البعثة من تحطيم مدن شرقي وغربي ضفة النيل من أسوان شمالً وحتى نهاية حدود مروي جنوباً، فنكون بذلك أما تحرك سكاني كبير أتي من المناطق الغربية النيل وينبغي دراسة آثاره على التركيبة السكانية واللغوية في المنطقة. وفي القرن الثاني للميلاد تناول المؤلف الروماني بطلميوس النوبة إلى الشرق والغرب من النيل. فذكر قبيلة النوبة Nubae ضمن خمسة عشرة قبيلة بين النيل والبحر الأحمر،38 وليس من السهل التعرف على موقع النوبة بالتحديد ولكن يبدو من خلال سرده أنهم يعيشون في منطقة شمال غرب البطانة ونهر عطبرة. وفي منطقة غربي النيل ذكر بطليموس أن قبيلة الجرمانيتين من الأجناس الكبرى التي تعيش في المنطقة الواقعة بين منابع نهر بجرادس وبحيرة النوباس Nubas، وتعيش

قبيلة النوبة Nubae إلى الغرب من شعاب الجرمانتيين.»39 وكان الجرمانت عناصر نشطة في التجارة ربطوا بين غرب افريقيا والبحر المتوسط بحكم موقعهم المتوسط في منطقة سبها الحالية جنوب ليبيا. واشتهروا بعرباتهم التي تجرها الخيول في تحركاتهم التجارية. وارتبطوا بعلاقات تجارية مع اليونانيين والرومان في شمال افريقيا. وقد امتد نشاطهم ونفوذهم شرقاً حتى مناطق تبستي على حدود السودان وتشاد الشمالية على خط عرض منطقة كرمة. وربما لذلك أطلق الرومان على جبال تبستي «شعاب الجرمانت»

أما النوبة Nubae فقد ذكر بطلميوس أنهم يعيشون إلى الغرب من شعاب الجرمانت. وقد ذكرت المصادر اليونانية والرومانية المتقدمة أن قبائل النوبة تعيش غربي النيل وتتوغل في الصحراء غرباً، وليس من المرجح أنهم كانوا ينتشرون إلى الغرب من مرتفعات تبستي. ولو صدق ذلك يكون شعب النوبة قد انتشر في مساحات واسعة في السودان وتشاد وليبيا، وربما كانت البحيرة المذكرة باسم Nubas عرفت باسمهم. وفي القرن الثالث الميلادي تأكد وجود النوبة في قائمة أجاثِمرس للمدن الافريقية، فورد اسم النوبة على كلا ضفتي النيل.40 وفي نفس القرن دخلت قبيلة النوبادين -Noba tae منطقة النيل شمال وادي حلفا قادمة من منطقة الواحة الخارجة. فقد ذكر المؤرخ الروماني أن الامبراطور الروماني دقلديانوس (284 - 305 م) استقدمهم ليستوطنوا على النيل في المدن التي أخلاها الرومان جنوب أسوان ولكي يتخلص من شر غاراتهم من الصحراء على حدوده الجنوبية، وليحمونه من غارات البليميين.41ويرى ماكمايكل أن التمحو القدماء اندمجوا مع النوباتيين.[42]وتوفرت معلومات كثيرة عن النوبة في القرن الرابع الميلادي في نقش عيزانا ترجمة نقش عيزانا نقتبس منه الآتي:[43]

حاربت النوبة [Noba] لأنهم ثاروا وتباهوا بذلك، وقالوا إن الأكسوميين لن يعبروا نهر تكازى [نهر عطبرة]، ولأنهم كرروا الهجوم علىMangurto والخاسا والباري [منطقة كسلا الحالية] وعلى السود [قصد بهم سكان جزيرة مروي الوسطى] والحمر [قصد بهم سكان شمال مروي]... فحاربتهم علي نهر تكازي عند مخاضة Kemalke فلم يصمدوا وفروا، وطاردتهم 23 يوما قتلت بعضهم وأسرت البعض الآخر، وأحرقت مدنهم المشيدة بالقصب والمشيدة بالطوب، وأخذت طعامهم ونحاسهم وحديدهم، وحطمت التماثيل في معابدهم وخربت مخازنهم وقُطْنهم وألقيت بكل ذلك في سيدا Seda[النيل]. ثم أتيت إلى كاسو Kasu وخضت معركة وأخذت أسرى عند التقاء نهري تكازى وسيدا. وفي اليوم التالي أرسلت فرقة من الجيش للإغارة على القطر والمدن المشيدة بالطوب والقصب، المدن المشيدة بالطوب هي مدن علوة وDaro [ربما الكدرو الحالية]. ثم بعد ذلك أرسلت فرقة أخرى لمحاربة المدن الأربعة المشيدة بالقصب في أعالي نهر سيدا. والمدن المشيدة الطوب والتي أخذها النوبة [Noba] هي Tabito وFertoti. ووصل جيشي إلى حدود النوبة [Noba] الحمر وهزموهم بعون الإله ورجعوا بسلام، وعينت حاكما على ذلك القطر عند ملتقى نهر سيدا وتكازي.»

يوضح النص أن مملكة مروي تعرضت لاضطرابات شديدة بسبب تحركات النوبة التي اجتاحت المملكة من الجنوب إلى الشمال. وكانت حروب عيذانا موجهة ضد هؤلاء النوبة. وقد

سبقت هذه الحرب اتصالات ومراسلات تعدى فيها النوبة على رسل عيزانا وحنثوا عن أيمانهم وتمادوا واستعدوا للحرب كما وضّح النص.

فالنوبا في نقش عيزانا هم الثوار الذين هددوا اكسوم على حدودها الغربية بغاراتهم المتكررة على سكان مناطق القاش ونهر عطبرة. وهم سكان جزيرة مروي الذين وصفهم عيزانا بالنوبا السود. فالنوبا هم كل سكان منطقة الجزيرة ما بين النيل الأبيض والأزرق ومنطقة البطانة بين النيل الأزرق ونهر عطبرة. والنوبا أيضا في النقش هم سكان الشمال الذين وصفهم عيزانا بالنوبا الحمر، وهم سكان نهر النيل شمالي نهر عطبرة وحتى حدود السودان الشمالية. وهم أصحاب المدن المشيدة بالطوب والمشيدة بالقصب، وهم أصحاب المزارع والنحاس والحديد والمعابد والتماثيل. وبناءً على ذلك - وكما ورد في المصادر القديمة - ف»النوبا» هو الإسم الذي أطلق على سكان الوسط والشمال.

النوبة سكان مملكة علوة:

من المعروف أن مملكتا مقرة وعلوة ورثتا مملكة مروي الممثل الأخير لحضارة كوش القديمة، فقد قامت مملكة مقرة في جزئها الشمالي بينما قامت مملكة علوة في جزئها الجنوبي، لكن انفردت مملكة علوة فيما بعد باسم كوش، إذ لم أجد ما يوضح استمرار إطلاق اسم كوش أو الكوشيون على منطقة ما أو سكان في مملكة مُقرة. وهذا بالطبع لا ينفي إمكانية استمرار إطلاق الاسم عليها أيضاً.

فقد ذكر جون الأفسوسي نحو عام 580 م أثناء الحديث عن دخول القس لُنجِنوس مملكة علوة أن لونجنوس «سافر بعيداً جنوب مملكة النوبادين إلى القطر الذي أطلق عليه اليونانيون اسم علوة Aludos والذي يسكنه الكوشيون.»[44] وفي عام 580 م ذكر القس لونجنوس عن مملكة علوة عندما وصلها لتنصير ملكها، ذكر أن اليونانيين أطلقوا على القطر «علوة» ولكن السكان يعتبرون كوشيين.[45]

كما تبدو كوش في الجزء الذي حققه لاند تحت عنوان Anecdota Syriaca من كتاب « صورة الأرض « الذي ألفه Skariphus نحو عام 555 م أي بعد نحو قرنين من سقوط مملكة مروي اقليما واسعاً أطلق عليه Skariphus كوش الخارجة وكوش الداخلة.[46] وتمتد كوش الداخلة حسب تصوره حتي منابع النيل الجنوبية التي هي منطقة البحيرات الحالية. أما كوش الخارجة كما يراها فتشمل المناطق التي قامت عليها ممالك مقرة وعلوة وأكسوم والبجة.

فمن هم الكوشيون سكان مملكة علوة ؟ وردت العديد من أسماء القبائل والسكان إلى جانب قبائل النوبة في مملكة علوة مثل مثل العنج والديجون وأهل تفلين والكرنيكا ومرنكة وكرسي وأندا وتكنة ونوبة النيل الأبيض والأحدين والتبان وكنكا. وجاء انتشار قبائل النوبة واضحاً في أنحاء كثيرة في مملكة علوة، وكان اسمهم الأكثر شيوعاً بين الأسماء الأخرى. وقد وضح الدمشقي أن النوبة أصناف فقاك: «وهم على ما ذكره تجار أسوان: أنج وأزكرسا ووالتبان وأندا وكنكا» [47]

فالنوبة عند الدمشقي شعب عظيم، فرع منه «أندا» يسكن الجزيرة الكبرى التي وصفتها المصادر العربية بأنها بين النيل الأبيض والنيل الأزرق، وفرع منه هم العنج الذين وصفت المصادر

العربية انتشارهم في منطقة الجزيرة الحالية، وربما كانت لهم مملكة امتدت في صحراء بيوضة وشمال كردفان.[48] ولم يوضح الدمشقي مواطن قبيلتي التبان وكنكا، لكنه قال عن التبان أنه يوجد بأرضهم معدن الحديد ووصف بلادهم بأنها شديدة الحر. ويبدو أن كرسا التي ذكرها هي كوشة التي سنتحدث عنها. وفروع النوبة الأخرى في مملكة علوة مثل «مرنكة» الذين ذكر ابن حوقل موطنهم على «نهر أور في أعالي بلاد علوة والذي يجري من الشرق إلى الغرب ويصب في النيل».49 ويقصد بنهر أور النيل الأزرق. كما وضح ابن حوقل أيضاً مواطن النوبة على النيل الأبيض فقال: «ومن غربي النيل نهر يجري من ناحية الغرب كبير غزير الماء يعرف بالنيل الأبيض وعليه قوم من النوبة.»[50] وأشار ابن حوقل أيضاً إلى أمة عظيمة من النوبة أطلق عليها اسم «كرسى»، ووصفها بأنها كثيرة العدد «وتقع ديارها على نهر أتمتي المتفرع من أعلى نهر أور» ونهر أتمتي هو الدندر. «وتمتد ديارهم على النهر حتى بلاد الحبشة»[51]وربما كانت أمة كرسي هي نفسها التي وردت عند الدمشقي تحت اسم «أزكرسا» ووصفهم بأنهم صنف من النوبة. وذكر ابن سعيد فرع آخر من النوبة أطلق علية اسم «زنج النوبة» وذكر أن قاعدتهم مدينة كوشة. ولم يتفق المؤلفون على موقع مدينة كوشة. فالإدريسي - ونقل عنه الحميري- حدد موقعها بأنها موغلة في الداخل «وتبعد عن النيل يسيراً وموضعها فوق خط الاستواء»[52] وحدد ابن سعيد - وعنه نقل أبو الفداء والقلقشندي - موقعها بأنها جنوب غربي مدينة دنقلة.[53] وذكر ابن فضل الله العمري أن كوشة من مدن النوبة ولم يحدد موقعها.[54] وذكر الادريسي أن كوشة في طاعة ملك دنقلة. ووصف أهلها بأنهم «قليلون وتجاراتها قليلة» ووصف أرضها بأنها «حارة جافة كثيرة الجفوف جداً وشرب أهلها من عيون تمد النيل هناك» وقد افترض كراوفورد بناءً على تحديد الادريسي بأنها قامت على مكان زانكور الحالية في شمال كردفان عند بداية وادي المِلك. وهكذا يكاد مدلول اسم النوبة يكون مرادفاً لدلالة اسم كوش في مملكة علوة. وعلى هذا فإن اسم النوبة قد مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى، النوباتيين: وقد أطلق على سكان مملكة نوباتيا قبل دخول المسلمين مصر.

المرحلة الثانية، النوبة: أطلقه المسلمون عند دخولهم مصر على النوباتيين سكان بلاد مريس.

المرحلة الثالثة، تعميم المصادر العربية لإطلاق كلمة النوبة لتشمل سكان مناطق مريس ومُقُرة وعلوة.

الأوضاع اللغوية:

كانت قبائل النوبة منذ ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية العصر المسيحي في السودان في القرن الخامس عشر الميلادي - أي نحو ألف وثمانمائة عام منتشرة انتشاراً واسعاً في كل أنحاء السودان تقريباً ما بين دارفور وكردفان غرباً ومناطق الجزيرة والبطانة في الوسط وكسلا شرقاً وفي الشمال حتى منطقة الشلال الثالث شمال مدينة دنقلة. وقد ذكرت أسماء بعض القبائل الأخرى إلى جوار قبائل النوبة في هذه المناطق، ولكن يلاحظ أن قبائل النوبة هي الفئة الوحيدة التي ذكر تواجدها على طول البلاد شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وكانت قبائل النوبة تتحدث اللغة

النوبية، ويبدو معقولاً أن يكون لها لغات أو لهجات مختلفة منتشرة في الغرب والوسط والشمال. وإلى جانب ذلك كانت هنالك اللغة الكوشية لغة الحكم والإدارة ولغات ولهجات القبائل الأخرى. أي أنه كانت هنالك عدد من اللغات واللهجات كما هو الحال اليوم، فإذا كانت اللغة الكوشية هي اللغة السائدة بحكم ارتباطها بالسلطات الحاكمة فإن لغة النوبة بلهجاتها المختلفة كانت أيضاً واسعة الانتشار في الغرب والوسط والشمال بحكم وجود الناطقين بها في تلك المناطق. ومن واقع المعطيات التاريخية يمكن النظر إلى ما آلت إليه أوضاع اللغات كالآتي: من الطبيعي أن تضعف اللغة النوبية بضعف سلطة الدولة، ويؤدي ذلك إلى تطور اللغات واللهجات المحلية بعد الاستقرار الذي بدأ بقيام الممالك المسيحية. وربما كان ذلك هو الوقت الذي بدأت فيه مرحلة التكوين اللغوي السائد الآن في السودان بجانب انتشار اللغة العربية. ولذلك فمن المعقول أيضاً أن تكون بعض بقايا اللغة المروية حية الآن في كل لغات القبائل التي كانت جزءاً من الدولة الكوشية وبخاصة لغات ولهجات النوبة لأنها كانت واسعة الانتشار. فالتشابه الملاحظ الآن بين بعض لغات النوبة في جنوب كردفان ولغة النوبة في الشمال أمر طبيعي فهي ذات اللغة، أو فلنقل إن كلاهما يرجعان إلى ذات اللغة التي كانت سائدة قبل انهيار مملكة مرو، أي قبل نحو 1600سنة. وبعد انهيار مملكة مروي تأثرت لغة النوبة في الغرب بلغات ولهجات القبائل المجاورة والمتداخلة مع النوبة، ويبدو مقبولاً تولد لغات ولهجات جديدة. وفي الشمال اختلطت اللغات الكوشية/المروية والبليمية والنوبية والنوبادية فتكونت لغة مملكة مقُرة المسيحية. ومن المفترض وجود تشابه وسمات مشتركة بين لغات النوبة واللغة المروية واللغات الحية الآن لقبائل السودان الأخرى. أو فالنقل إن المعطيات التاريخية تفترض وجود علاقة وقواسم مشتركة بين كثير من اللغات الحية الآن بحكم تجاور وتعايش تلك اللغات لفترات طويلة من الزمن.

خاتمـــة:

كان النوبة عنصراً مهمّاً من عناصر تكوين الأمة السودانية وذا صلة وتفاعل دائم مع مختلف مكونات المجتمع السوداني منذ أكثر من ألفي سنة مضت. ويرى الباحث أن التحركات السكانية حدثت في كل عصور تاريخ السودان القديم، ولكن السكان النوبة الأصليين في كل من كردفان وشمال السودان ظلوا في مناطقهم وظلت الصلة قائمة بينهم حتى نهاية العصر المسيحي. وفي خلال السبعة قرون الماضية أدت الأوضاع المناخية والسياسية إلى ضعف التواصل وانحساره بين شمال السودان وغربه، فانفصل نوبة الغرب عن نوبة الشمال، لكن انقطاع الصلات لم يؤد إلى زوال الروابط القديمة والتي تأتي رابطة اللغة في مقدمتها. ويلاحظ أن النوبة ظلوا محافظين على اسمهم الذي عرفوا به منذ ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد، بينما فقدت بقية مكونات المجتمع السوداني أسمائها القديمة. فأسماء القبائل والسكان التي دونتها المصادر المصرية القديمة والكوشية اختفت وحلت محلها أسماء جديدة دونتها المصادر العربية في العصر المسيحي. ثم اختفت هذه الأسماء أيضاً بعد القرن الخامس عشر الميلادي لتحل محلها الأسماء السائدة اليوم. وهذا بخلاف ما عليه الحال في اسم النوبة وإلى حد ما في اسم البجة. وأدى غياب وفقدان الأسماء القديمة لكثير

مـن القبائـل إلى انقطـاع صلتهـا بتراثهـا وتاريخهـا القديـم، ونتـج عـن هشاشـة ارتباطهـا بالوطـن وضعـف حسـها الوطنـي. وتـأتي أهميـة دراسـة تاريـخ السـكان في معالجـة هـذه الجوانـب، فهـي تؤكـد وتعضـد روح الانتـماء والتواصـل وتعمـل عـلى ابـراز الحلقـات المفقـودة لمـن غابـت عـن ذاكرتهـم تلـك الحلقـات. ولذلـك فأننـي أوصي بصـورة عامـة بـضرورة العنايـة بتاريـخ السـكان وتشـجيع الباحثـين عـلى ولـوج أبوابـه المؤصـدة. وفيـما يتعلـق بمنطقـة نوبـة كردفـان فـأوصي بتكليـف باحثـين وتوفـير كل المتطلبـات لـ: دراسـة لغـات النوبـة وعلاقتهـا باللغـات السـودانية الحيـة.

دراسـة العلاقـة والصـلات القديمـة والحديثـة بـين النوبـة في جنـوب كردفـان وبقيـة مناطـق السـودان الأخـرى.

توجيـه بعـض أبنـاء النوبـة الذيـن يجيـدون اللغـات النوبيـة للالتحـاق بأقسـام اللغـات -Linguis tics والتخصـص في اللغـة الكوشـية (المرويـة) وأقسـام الآثـار في الجامعـات.

العمل على توثيق وحفظ باقي لغات النوبة غير الموثقة وتوثيق الجوانب الثقافية المتنوعة

الهوامش:

(1) هارولد ماكمايكل، قبائل شمال ووسط كردفان، تعريب سيف الدين عبد الحميد. أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني2012 ص110. و "A. J. Arkell, "Rock pictures in Eastern Darfur Sudan Notes and Records. V0l.20, part 2 (1937) p 281.

(2) A. J. Arkell, A history of the Sudan. P 43 - 44, 50.

(3) Oric Bates, The Eastern Libyans. London: Frank Cass&Co. 1970, p 51

(4) A. J. Arkell, A history of the Sudan, p 1o7

(5) محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص 44 45-.

(6) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم: من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي. بيروت: دار صادر 1971 ص 319 - 322.

(7) H. A. Michael, A History of the Arabs in the Sudan. London: Franc Cass &Com. 1967 p 31, 54.

(8) Encyclopedia Britannica. 2012. Online, Sahara.

(9) Fred Wendorf and R. Child, "Are the Early Holocene in the Eastern Sahara Domestic or Wild?" Journal of Anthropological Archaeology. 3 No. 4

(10) Michael A.Hoffman Egypt before the Pharaohs.the Prehistoric Foundation of the Egyptian Civilization. University of Texas, 1991, P 218.

(11) A. J. Arkell, A history of the Sudan. P 174.

(12) H. A. Michael, A History of the Arabs in the Sudan.324.

(13) عبد الباقي حسن فيرين (أمون)، الآماويون «النيمانغ» بقية الشعب المروي «بروا» العظيم. الخرطوم: 2012 ص 108 و220.

(14) سامية بشير دفع الله، تاريخ مملكة كوش: نبتة ومروي. الخرطوم بحري: دار الأشقاء للطباعة والنشر 2005 ص133.

(15) Tormod Edie, Fontes Historiae Nobiorum. Berben: University of Bergen 1994.

(16) سامية بشير دفع الله، السودان في كتب اليونان والرومان. جامعة السودان المفتوحة 2008.

(17) Samia Bashir Dafa'alla, "Distribution and Migration of the Nubian Tribes. P 82 - 86.

(18) وليام آدمز، النوبة رواق افريقيا. ص 384.

(19) في سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة. ط2 الخرطوم: دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة، 2011 ص 196 و197.

(20) Mac Michael. A History of the Arabs in the Sudan p 20

(21) Ibid., Vol. 1 p 20, note no. 2.

(22) Ibid., P 177.

(23) زاهـر حـواس، «حـدود مصرالجنوبيـة منـذ عـصر مـا قبـل الأسرات حتـى نهايـة عـصر الانتقـال الثـاني» في عبـد العظيـم رمضـان (محرر،)الحـدود المصريـة السـودانية عـبر التاريـخ. القاهـرة الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب1999 ص 49

(24) Tormod Edie et al, Fontes Historiae Nuburum, Bergen: University of Bergen, 1994, Vol. 2 p 559. ي ف نادوسلا ،هيشب ةيماس ي ف ايفارغجلا باتك ،وبارتس ي ف نادوسلا ةعماج :موطرخلا ،نامورلاو نانويلا بتك ةحوتفمل 2008 ، ص 78.

(25) Laszlo Torok, in Tormod Edie, Fontes Historiae Nobiorum.. Vol. 2 p 560, Vol. 3 p 1098.

(26) A. J. Arkell, A History of the Sudan to 1821 University of London, 1961, p 106.,

(27) Tormod Edie, Fontes Historiae Nobiorum. Vol. 2 p 543. نادوسلا ،هيشب ةيماس ي ف نامورلاو نانويلا بتك .ص 70

(28) Laszlo Torok , in Tormod Edie, Fontes . Vol. 1 p 549.

(29) Tormod Edie, Fontes . Vol. 2 p 559. سامية بشيه، السودان في كتب اليونان والرومان. ص 7

(30) Laszlo Torok , in Tormod Edie, Fontes . Vol. 2 p 560, Vol. 3 p 1098.

(31) ديودور الصقلي، ببليوتيكا. في سامية بشير دفع الله، السودان في كتب اليونان والرومان ص 97.

(32) نفس المان السابق.

(33) المصدر السابق ص 114

(34) سـترابو كتـاب الجغرافيـا في سـامية بشـير دفـع اللـه، السـودان في كتـب اليونـان والرومـان ص 129و Laszlo Torok , in Tormod Edie, Fontes Vol. 3 p380

(35) 35 سـينيكا، بحـث في الطبيعـة، في سـامية بشـير دفـع اللـه، السـودان في كتـب اليونـان والرومـان ص 136

(36) نفس المكان السابق.

(37) بليني، التاريخ الطبيعي، في سامية بشير دفع الله، السودان في كتب اليونان والرومان ص 74.

(38) بطلميوس، كتاب الجغرافيا في سامية بشير دفع الله، السودان في كتب اليونان والرومان ص165.

(39) نفس المكان السابق.

(40) H. A. Mac Michael, A History of the Arabs in the Sudan. London: Frank Cass & Co. Vol. 1 p 24.

(41) Oric Bates, The Eastern Libyans. p 236. Samia Bashir Dafa'alla, "Distribution and Migration of the Nubian Tribes. p 79. A. J. Arkell, A history of the Sudan. P 179.

(42) H. A. Mac Michael, A History of the Arabs in the Sudan. Vol. 1 p 25.

(43) Tormod Edie, Fontes. Vol. 3,p1101.

(44) Giovanni Vantini, Oriental Sources Concerning Nubia, Heidelberg and Warsaw, p 13.

(45) Giovanni Vantini, Oriental Sources p 13.

(46) J. P. N. Land, ed. Anecdota Syriaca Vol. 2, Leiden: 1870 in Giovanni Vantini, Oriental Sources Concerning Nubia, Heidelberg and Warsaw: 1975, p3.

(47) الدمشقي، «نخبة الدهر»، ص 236.

(48) تمت مناقشة هذا الموضوع وكذلك سكان مملكتي مقرة وعلوة في الفصل الرابع الجزء الثاني من كتابنا «السودان: الوعي بالذات وتأصيل الهوية» كما تمت مناقشة أصول ومواطن العنج في مقال لنا في موقعي سودانايل وسودانيز أون لاين.

(49) ابن حوقل، «صورة الأرض»، ص 75.

(50) ابن حوقل، «صورة الأرض»، ص 75.

(51) نفس المكان السابق.

(52) الادريسي، «نزهة المشتاق»، ص 127 – 128.

(53) ابن سعيد، «كتاب الجغرافيا»، موقع الوراق ج 1 ص 11 وأبو الفداء، تقويم البلدان ص 216 والقلقشندي، صبح الأعشى ص 285.

(54) ابن فضل الله العمري، «مسالك الأبصار»، ص 245.

الثروات المعدنية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

د. سـلطان أحمد الغامدي
أستاذ مشارك - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

أدت الحضـارة العربيـة دوراً مهـماً في رقـي البشريـة وتطورهـا، وأسـهمت بنصيـب وافـر في ازدهارهـا، ولم تكـن مجـرد جسر عـبرت فوقـه العلـوم والمعـارف، مـن الحضـارات التـي سـبقتها، والتـي أتـت بعدهـا، بـل كانـت شـاهداً حقيقياً عـلى عصرهـا، فأثـرت فيـه بعلومهـا، وزادت عليهـا مـن تجـارب علمائهـا وأفكارهـم ونظرياتهـم، فخلفـت إنجـازات علميـة في الميادين التطبيقيـة، التـي كانـت معروفـة عـلى مـدار مسـيرتها، وتركـت بصـمات جليـة دلـت ببراهـين لا تقبـل الشـك، أنهـا فتحـت آفاقـاً علميـة جديـدة للبشريـة أسـهمت في رقيهـا وازدهارهـا. كان لعـرب الجزيـرة قبـل الإسـلام دوراً رائـداً في علـم المعـادن والتعديـن ، والعلـوم المرتبطـة بـه ، فقـد أثـروا في ذلـك العلـم بتجـارب متميـزة ، وأغنـوه لاحقـاً بمصنفـات موسـوعية واسـتفادوا منـه في تطبيقـات كثـيرة ، وتطرقـوا إلى عمليـات التعديـن وأنواعهـا ، وكيفيـة تنفيذهـا والنتائـج المسـتخلصة منهـا ، وقـد اسـتقى العـرب معلومـات عـن ذلـك العلـم مـن الحضـارات السـابقة كالهنديـة والصينيـة واليونانيـة ، عـن طريـق الكتـب والاحتـكاك المبـاشر .اشـتهرت الجزيـرة العربيـة بتجربتهـا الواسـعة في صناعـة التعديـن ، وانتقـل تراثهـا الحضـاري إلى سـائر شـعوب العـالم القديـم ، فلقـد اكتشـفت المعـادن ولا سـيما الذهـب والفضـة والنحـاس في الجزيـرة العربيـة منـذ أقـدم العصـور ، وعـثرت التنقيبـات الأثريـة عـلى أدوات حجريـة تعـود إلى العـصر الحجـري القديـم أي قبـل نحـو 05 ألـف سـنة ، ومـما عـثر عليـه أحجـار صوانيـة عـلى شـكل حـراب وسـكاكين ، وأخـرى عـلى شـكل مناجـل ، مـما يـدل عـلى أنهـا كانـت تسـتعمل في تقطيـع لحـوم الفرائـس أو لحصـد المزروعـات أو للدفـاع عـن النفـس .

الكلـمات المفتاحيـة: الـثروات المعدنيـة، اسـتخدام المعـادن، صياغـة الحُـلي، التجـارة بالمعـادن، الصناعـات بالمعـادن.

Mineral Wealth in the Arabian Peninsula Before Islam

Dr. Sultan Ahmed Al-Ghamdi

Abstract:

The Arab civilization played a significant role in the advancement and development of humanity, contributing substantially to its prosperity. It was not merely a bridge over which sciences and knowledge passed from preceding civilizations to those that followed, but it was a true witness to its era. It enriched its time with its sciences, adding to them the experiences, ideas, and theories of its scholars, leaving behind scientific achievements in the applied fields known throughout its jour-

ney. These contributions left clear marks, providing undeniable evidence that it opened new scientific horizons for humanity, contributing to its advancement and prosperity.Before Islam, the Arabs of the Arabian Peninsula had a pioneering role in the science of minerals and mining, and the sciences related to it. They enriched this field with distinctive experiments and comprehensive encyclopedic works, benefiting from it in numerous applications. They explored mining processes, their types, how to execute them, and the results derived from them. The Arabs drew their knowledge of this science from previous civilizations such as the Indian, Chinese, and Greek, through books and direct contact.The Arabian Peninsula was renowned for its extensive experience in the mining industry, and its cultural heritage was transferred to all the peoples of the ancient world. Metals, especially gold, silver, and copper, were discovered in the Arabian Peninsula since ancient times. Archaeological excavations have uncovered stone tools dating back to the Paleolithic era, approximately 50,000 years ago. Among the findings were flint stones shaped like spears and knives, and others like sickles, indicating their use in cutting the meat of prey, harvesting crops, or self-defense.

Key Words: Mineral Wealth , Use of Metals , Crafting Jewelry , Trade in Minerals , Metal Industries

المقدمة:

كان لموقع شبه الجزيرة العربية أهمية خاصة على مر التاريخ، بسبب موقعها المتوسط بين قارات العالم القديم (آسيا وإفريقيا و أوروبا) ، فكانت ممر للقوافل التجارية المتجهة من الشمال إلى الجنوب ، ومن الجنوب إلى الشمال حتى أوروبا ، وجنوب شرق آسيا ، إذ كانت التجارة المعروفة هي التجارة البرية (القوافل) ، ومن هنا اكتسبت أهمية تجارية كبيرة[1] .

تقع شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من قارة آسيا ، وتحيطها مسطحات مائية من ثلاث جهات ، ومن الجهة الشمالية صحراء ، فيحدها من الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق الخليج العربي ، ومن الجنوب المحيط الهندي ، وتشرف على ممرات مائية مهمة على مستوى العالم ، مضيق هرمز ومضيق عمان ومضيق باب المندب[2].

عندما نقول أنّ أهمية الموقع الجغرافي متغيرة للأفضل أو للأسوأ، فقد كانت البحار والمحيطات ليست ذات قيمة كبيرة قبل حركة الاكتشافات الجغرافية، بل كانت تشكل سداً أمام اتصال الشعوب مع بعضها، إلا أنه بعد حركة الاكتشافات الجغرافية وبسبب تطور العلوم بالنقل البحري، أصبحت هذه البحار عوامل ربط بين الدول، وذات قيمة اقتصادية كبيرة للنقل البحري ، الذي يتميز بانخفاض الكلفة فيه ، بالإضافة إلى الثروات البحرية الأخرى .

إن من أهم المواضيع التي تُستحق أن تُبحث بالتفصيل ، هي معادن الجزيرة العربية في التاريخ القديم ، ومن هنا جاءت رغبة الباحث في اختيار هذا الموضوع ، ولذا طرحت عدد من الأسئلة حتى أجد لها إجابة ، منها ماهي أهم المعادن التي اكتشفها العرب قديماً ؟ ، ومتى اكتشف العرب هذه المعادن ؟ ، وماهي استخداماتهم لها ؟ ، وهل تاجر بها العرب مع الأمم الخارجية ؟ ، وغيرها من الأسئلة التي بذلتُ قصارى جهدي للإجابة عليها في هذا البحث ، وقد اعتمدت في عرض المادة الخبريّة وتنظيمها ، وتحليلها ، ومناقشتها ، واستنباط النتائج على مجموعة من المناهج منها : المنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي ، والمنهج المقارن ، كما اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الأساسية العربية والأجنبية ، وعلى دراسات وبحوث استقيتها من الدوريات ودوائر المعارف والمجلات التاريخية المتخصصة باللغة العربية واللغات الأجنبية .

التمهيد:

كان اكتشاف المعادن نقطة فارقة في تاريخ البشرية، وربما كانت ثورة نقلت الإنسان نقلة نوعية، لا تقل أهميتها عن الثورة الصناعية أو الثورة الإلكترونية، فقد كان اكتشاف الإنسان للمعادن ومعرفة كيفية استخدامها قد غير مجرى حياته، ومكنه من تحقيق نتائج باهرة في مجال تحكمه في الطبيعة، وتسخير ثرواتها لصالحه.

تبدأ العصور التاريخية لكل شعب أو أمة بالاهتداء إلى علامات تتوصل بها إلى معرفة الأشياء، فلقد طور الإنسان في أول الأمور معيشته التي كرسها للاستطلاع ومتشوقاً للاكتشافات، هذه الإرادة القوية تمثلت في اكتشافه للمعدن، وتوصله إلى كيفية تحويلها ومعالجتها ، فأصبحت تمثل المورد الأساسي في تطوير نمط معيشته اقتصادياً واجتماعياً.

تميزت طبيعة جزيرة العرب منذ القدم ، بغنى ثروتها الباطنية ، فإلى جانب خامات النفط التي اكتشفت حديثاً فإن أراضي شبه الجزيرة العربية كانت تحتوي عدداً من المعادن التي عمل الإنسان على استخراجها وتعدينها واستخدامها في قضاء بعض حاجاته منذ فجر تاريخه ، والتي صدّر ما فاض من خاماتها إلى الخارج ، وأدخل بعضها في صناعاته المختلفة ، وقد أشارت المصادر القديمة من يونانية ورومانية وعربية ، إلى هذه المعادن وأماكن وجودها ، واكتشفت البعثات الأثرية الحديثة بعض مناجمها ، وبعض المعامل التي كانت تتم فيها عملية التعدين ، فأحصت هذه البعثات ما يقارب الأربعين مركزاً في عُمان وحدها ، مما يدل على أهمية وغنى هذا الإقليم، وعلى الرقي الذي بلغه في ذلك الحين[3] ، كما أثبتت الأبحاث الأثرية أن وجود المناجم في عُمان يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد[4] ، حيث كانت تستخرج العديد من المعادن أهمها النحاس ، ولقد أطلقت النقوش السومرية على عمان اسم ماجان ، وتعني بالسومرية جبل النحاس[5].

لا نعلم بالدقة متى استخدم الإنسان في الجزيرة العربية للمعادن ، لكن التقديرات تُرجعها إلى عصر يطلق عليه بعصر التعدين ، وهي الفترة التي تمتد بين العصر النيولوتكي وفجر التاريخ[6]، وعلى الأرجح فإن الذهب هو المعدن الأول الذي استخدمه الإنسان ، ثم يليه الفضة والنحاس ، نظراً لتواجدهما في حالتهما الطبيعية ، أما الحديد وسبائكه والبرونز فتاريخ استعمالهما جاء

متأخراً ، وقد تطلب استخلاص المعادن وتحضيرها وتصنيفها خبرةً طويلة[7] .و المعادن[8] جمع معدن ، وهي مواد تتكون في الطبيعة نتيجة بعض العمليات الجيولوجية ، وتمتلكُ بناءً بلورياً وتركيباً كيميائياً خاصاً ، وتُعتبر مواداً صلبة متجانسة غير عضوية ، وتصنف المعادن حسب التركيب الكيميائي إلى معادن عنصرية ، وكبريتيدات ، وأكاسيد ، وهاليدات ، وفوسفات ، وكربونات ، وكبريتات ، وسيلكات ، وتتكون المعادن أولاً من النشاط الناري ، حيث تتمّ عملية التبلور فيه من خلال السائل الانصهاري، حيثُ تبدأ المعادن بالتشكل بعد تبريد هذا السائل ، أو من خلال التبلور من المحاليل الحارّة، ثم عمليات الترسيب ، حيث يتمّ التبلور فيها من خلال ترسيب المركبات الملحية لمياه البحار والمحيطات ، ويتمّ هذا الترسيب نتيجة تبخرِ الماء ، وقد تكون على شكل خامات معدنية رسوبية، ثم عمليات التحوّل ، وقد تتكون المعادن نتيجة تعرضها لتأثير عوامل مختلفة ، وهي الحرارة والضغط وبخار الماء والتفاعلات الكيماوية للمحاليل ، ومن الأمثلة على المعادن التي تتكوّن نتيجة عوامل التحويل الجرافيت الذي يتكوّن من الفحم[9].

تتميز الثروات المعدنية بأنها تتكوّن في الطبيعة تلقائياً ، من دونِ أيِّ تدخّلٍ من الإنسان، وبالصلابة أو القساوة ، وهي تعبّر عن قدرة المعدن على خدش معدن آخر أم لا ، وبأنها مواد نقية لها مكونات كيميائية محددة ، ولها شكل بلوري ، حيث إنَّ ذراتهُ مرتبة في الأبعاد الثلاثية بشكلٍ هندسيٍ منتظم ومتكرّر ، وتتمّيز بعض المعادن بامتلاكها ألواناً مميزة ، وتختلف المعادن فيما بينها من حيث اللون والشفافية والبريق ، ويؤثر ذلك بقيمتها المادية والمعنوية لدى الإنسان ، ونظراً لذلك فإن الإنسان يسعى جاهداً للكشف عن أماكن وجود الثمين منها ، كالذهب مثلاً.

عدد بعض الكتاب الكلاسيكيين مثل أجاثارخيديس (جغرافي ومؤرخ من القرن الثاني قبل الميلاد) وديودور الصقلي(30-80ق.م) واسترابون(64ق.م19-م) ، أنواعاً من المعادن المتوفرة في الجزيرة العربية ، ولم يقتصروا على ذلك بل ذكروا استخدامها في حياة الشعوب العربية اليومية ، وقد جاء في وصفهم استخدامهم للأواني الذهبية والفضية وعربات ومقاعد زُينت بالذهب وزُينت منازلهم بالعاج والذهب والفضة المطعمة بالجواهر[10]، وفي العهد القديم إشارة إلى أن سبأ ستقدم الذهب إلى ملك العبرانيين ، وكافة هذه الإشارات التاريخية تفيد بأن الذهب كان متوفراً وفائضاً عن الحاجة[11].

كانت الجزيرة العربية مصدراً للعديد من المعادن المختلفة ، وخاصةً الذهب والفضة ، حيث كانت تصدر أعداد كبيرة للأمم المجاورة ، وهو ما أدى إلى غناها ، وطمع الأعداء في خيراتها ، ومن ذلك محاولة الملك السلوقي انطيوخوس الثالث(222_187ق.م)[12] عام 205ق.م احتلال مملكة الجرهاء في شمال شرق الجزيرة العربية ، لكنها أشترت حريتها بكميات كبيرة من الذهب والفضة[13].

عُثر على العديد من مراكز التعدين القديمة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وأماكن تركز خامات المعادن المختلفة[14] ، وذلك من خلال ما عثر عليه من بقايا معدنية ، ومخلفات صهر المعادن في مواقع التعدين ، وما كشفت عنه الحفائر ، وما تركه عرب الجزيرة من نماذج للعديد من المصنوعات المعدنية ، ومن أهم مراكز التعدين في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، في مأرب

وصعدة وفي همدان ونجران ، وفي الفاو عثر المنقبون على مجموعة متميزة من التماثيل المعدنية وأجزائها ، فضلاً عن قطع أخرى من المكملات الزخرفية والمشغولات المعدنية ، التي تدخل ضمن الفنون التطبيقية[15] ، كذلك عثر على مراكز للتعدين في الحجاز ، وفي اليمامة ، وحول مدينة ينبع ، ومدينة حقل وتبوك[16] . وفي الشمال الغربي للجزيرة العربية كان التعدين نشاطاً أساسياً وخاصةً في منطقة مدين القديمة بالقرب من مدينة البدع التابعة لمنطقة تبوك حالياً[17] ، وقد ذكرت أرض مدين كمركز من مراكز استخراج المعادن ، في التوراة وفي الأدب العربي ، حيث بدء تصنيعها منذ أقدم العصور التاريخية على أيدي أهل الحضارات القديمة ، منذ ألفي عام قبل الميلاد[18] ، ووجد بها ثلاثة مراكز تعدين كبيرة ، هي مركز تعدين أم القريات في جبل المرو جنوباً ، ومركز تعدين في جبل الأبيض ، ويقع على بعد 40كم من الوجه شمالاً ، ثم مركز تعدين أم الخراب ، وكان تل الخليفة قرب العقبة مكاناً لصهر المعادن وميناءً كبيراً ، وهو ميناء عصيون جابر ، المذكور في التوراة[19] ، وعادةً ما كانت تحتوي مواقع التعدين هذه على منجم ، حيث عملية استخراج الخامة المعدنية ، وفرن حيث عملية الصهر ، وربما احتوت كذلك على ورش التشكيل والتصنيع ، وفي التوراة ورد أن بني إسرائيل قد غنموا الكثير من المعادن من أهل مدين ، من الذهب والفضة ، وهما أثمن المعادن التي كانت تستخدم غالباً في صناعة الحلي والعملات قديماً ، وكذلك النحاس والحديد ، وهما معدنان ضروريان لصناعة أدوات الاستعمال اليومي في المنزل ، أو في الحقل ، أو في صناعة الأسلحة ، وكذلك القصدير والرصاص[20] .

ومن أهم معادن الجزيرة العربية :

1/ الذهب :

هو من المعادن التي استخرجت منذ العصور القديمة ، حيث يعود تاريخ استخدامه إلى 6000ق.م ،[21] وربما أنه كان أول المعادن التي تعرف عليها الإنسان ، نظراً لوجوده منفرداً ونقياً في القشرة الأرضية ، ويبدو أنه كان يجمع كحُلي لغرض التجميل ، ولم يتم التعرف عليه في البداية كمعدن ، وفي هذه المرحلة المبكرة كان لا قيمة له في الأغراض العملية للإنسان[22] ، لأنه لم يكن منافساً للخشب والحجر كأوليات لصناعة الأدوات والأسلحة ، فقد تم تجميع شذرات الذهب بكميات صغيرة من الرواسب السطحية ومجاري المياه ، دون إجراء عملية تعدين حقيقية ومن ثم تشكيلها[23] ، ولذلك فإن اكتشاف الذهب كان غالباً من منطلق المصادفة ، حتى تحول الأمر إلى رغبة لدى الإنسان ، في جمع أكبر قدر من شذرات الذهب ، بعد التعرف على خواصه النادرة[24] ، ويُعد اكتشافه بداية للكشف عن باقي المعادن الموجودة في الطبيعة ، ويُرجح أن الاهتمام به كان قبل نحو 4000ق.م ، وكان وما زال أكثر الفلزات قيمة خلال التاريخ البشري[25]. وهو سيد المعادن ، وأنبلها وأكثرها فخامة[26] ، وهو عند البعض يجسّد الشمس ، بينما يمثّل الجمال والمثالية عند البعض الآخر، ويعتبر رمزاً للخصوبة والثراء والسيطرة[27] ، و للنور والذكاء والمعرفة ، وقد عرفه العرب ، وعرفوا مزاياه وخصائصه ، وكان يتصدر دائماً قائمة مهور الزواج عند القبائل العربية ، وتدل الكثير من أشعار العرب قبل الإسلام على تبجيلهم للذهب ، بسبب البريق واللمعان وعلو

القيمة والثمن ، ومن ذلك قول عنترة بن شدّاد العبسي في وصف الحلي التي كانت تتزين بها عبلة :

أراعي نجوم الليل وهي كأنها قوارير فيها زئبقٌ يترجرجُ
وتحتي منها ساعدٌ فيه دملجٌ مضيء وفوقي آخرٌ فيه دُملُجُ[28]

ويقول بشار بن برد في التشابيه والصور:

قامت تراءائي لي لتقتلني في القرط والخلخال والأشب[29]

وكان أغنياء مكة وساداتهم في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، يستخدمون صحافاً وكؤوساً من الذهب والفضة ، يقول عبيد بن الأبرص:

وظباء كأنهن أباريق لجين تحنو على الأطفال[30]

وفي التفاخر قال أبو فراس:

سيذكر قومي إذا جد جده وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولوسد غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلوا التبر لو نفق الصفراء[31]

وفي الوصف قال أبو نواس:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب[32]

ويقول ابن سيدة:

كأنها من حسن وشارة والحلي حلي التبر والحجارة[33]

ومن بديع الوصف قول ذو الرمة:

كحلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب[34]

ويقول أيضا:

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة وذهب[35]

والذهب قبل كل شيء هو من مظاهر الزينة والجمال ، وظاهرة استخدامه في صنع المشغولات الذهبية ظاهرة قديمة ، عرفتها كل الحضارات في الماضي والحاضر ، وقد لبس الإنسان الحلي الذهبية منذ عصور بعيدة ، واستخدمه في مجالات عديدة من مجالات التزين ، كما شاع استخدامه فيما بعد في التعامل التجاري ، ثم التعامل النقدي ، ثم التعامل العلمي ، كصناعة الأدوية والكيماويات وغيرها ، والذهب معدن غير قابل للصدأ ، ولا يتغير لونه ، لأنه لا يتفاعل مع الأوكسجين ، وهو قابل للطي والحفر والدق والصقل والصب ، ويمكن سحب خيط بطول ثلاثة كيلومترات من غرام واحد منه دون أن ينقطع ، كما يمكن لغرام واحد أن يُدَق ليتحول إلى رقاقة بمساحة متر مربع ، وإذا أضفنا إلى ذلك قابليته لاتخاذ أي شكل وإعادة استخدامه ، وخلو مادته غير القابلة للتحول ، لأدركنا بعضاً من جملة الأسباب التي تجعله مادة لصياغة الحلي من دون منافس قريب ، وما من مادة على وجه الأرض حظيت بالمكانة نفسها التي حظي بها الذهب في كل

الحضارات والثقافات من دون أي استثناء ، وما من مادة حافظت مثل الذهب على هذه المكانة طوال التاريخ المعروف[36].

لقد أثبتت الدراسات الحديثة توفّر العديد من مناجم الذهب في شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، حيث تواجدت في الحجاز واليمامة وشمال اليمن ، ولم يعرف بالضبط معنى كلمة ذهب وأصله ، ولكن البعض ذكر بأن الذهب سمي بذلك ، لأنه سريع الذهاب بطيء الإياب إلى أصحابه ، وقيل: لأنه من رآه بهت ويكاد عقله يذهب[37].

يتواجد معدن الذهب على هيئة حبيبات نقية في عروق المرو[38] ، وصفائح غير منتظمة الشكل أو على هيئة قشور أو كتل (تبر)[39] ، ويوجد أيضاً على هيئة حبيبات صغيرة جداً لا ترى بالعين في الصخور النارية الحاوية له ، ويتم تجوية هذه الصخور وتلك العروق الحاوية للذهب لتتواجد وتتركز في مجاري الأنهار ، وتبلغ مستوى صلابته 3-5,2 حسب مقياس موه للصلابة ، ويساوي وزنه النوعي 3,91 ، مما يجعله يغرق في المياه المتدفقة كالأنهار والجداول ، وتبلغ درجة انصهاره 3601درجة مؤية[40] ، وهو قابل للسحب والطرق[41]، وعند استمرار تسخينه تتصاعد منه أبخرة خضراء أو صفراء ، ويغلي عند درجة حرارة 0792درجة مؤية[42]، ويتميز بعدم تأكسده وتآكله مثل النحاس والحديد[43] ، ولا يذوب في الأحماض ، ولكنه يذوب في الماء الملكي (Acqua riga)[44] ، وتوصل بعض العلماء إلى أدلة قوية تؤكد على أن البكتيريا تلعب دوراً مهماً في عملية تكوين الذهب ، وكذلك استخلاصه من رواسب الصخور[45].وتحتوي اللقى الأثرية الذهبية في أغلب الأحوال على الفضة ، وأحياناً على النحاس ، وربما على فلزات أخرى ، وهذا ساعد على تقليل نقطة الانصهار وزيادة صلابة المنتج[46] ، ويوجد الذهب مع الزئبق بشكل طبيعي في مناطق قليلة[47] ، ويعد خام معدن الكالافرايت أهم مصادر الذهب المركبة ، وبه حوالي 43 % من الذهب، كما يستخلص الذهب ثانوياً من بعض خامات الفلزات القاعدية الأخرى مثل النحاس والرصاص والزنك[48] ، ولا يعتري الذهب تغيير أثناء تجمعه في رواسب الوديان أو الحصى الذهبي ، الذي يعد مصدراً رئيساً حتى السنوات الحديثة ، وذلك لعدم قابليته للذوبان ، وثقله النوعي ، ويتجمع في مثل هذه الرواسب بواسطة عوامل التعرية ، التي تفكك العروق المحتوية عليه ، وتتكون رواسبه قريباً من مكان العروق أو تحمل بواسطة المياه ، لتترسب بعيداً عن المكان الأصلي في مناطق منخفضة ، وغالباً ما يكون ذهب رواسب الوديان أنقى من ذهب العروق[49] ، ويرجع ذلك إلى ذوبان الفضة من سطوح حبيبات الذهب ، ولا توجد خامات رواسب الوديان فوق السطح ، فبعضها قد تكون خلال عصور جيولوجية مبكرة ، وغطى بعد ذلك بصخور نارية مثل الطفح البركاني ، وربما برواسب أحدث عمراً[50] .

تقول الروايات التاريخية القديمة أن الفراعنة والنبي سليمان عليه السلام وملوك بابل والآشوريين ، كانوا يتزوّدون بالذهب من مناجم قريبة من المدينة المنوّرة حالياً ، فقد عثر على أدوات كانت تستخدم لاستخراج الذهب واستخلاصه من الشوائب[51]. وكذلك تشير بعض الروايات إلى أن السبئيين كانوا يستبدلون تبر الذهب بمعادن أخرى ، فقد كانوا يدفعون الضعف منه مقابل

الحديد ، وثلاثة أمثاله مقابل البرونز ، وعشرة أمثاله مقابل الفضة[52] ، وهذا ربما يشير إلى امتلاك سكان هذه المنطقة لكميات كبيرة من الذهب ، ولا تزال هذه الإشارة بحاجة إلى المزيد من التحقيق فيها ، إذ لا يمكن القبول بتلك المعلومات ، ولا بد من التأمل طويلاً في معنى الإقرار بوجود كميات كبيرة من الذهب ، فهل نجح القدماء في اكتشاف طرق تعدينية متقدمة ، سمحت لهم باستخلاص كميات وفيرة من الذهب ، وفرزها عن شوائب النحاس والحديد وغيره ، وأن الحرفيين ربما استفادوا من رسوبيات الأنهار وعروق المناجم ، وهذا القول ينطوي على افتراضيات مهمة مثل النجاح في بلوغ أعماق غير ظاهرة من سطح الأرض ، والوصول إلى رسوبيات نهرية مفترضة، أو اكتشاف أساليب وأفكار عملية للعمل في المناجم ، باعتبار العمل فيها يتطلب وسائل خاصة ومعارف نوعية دقيقة[53] . ولأهمية الذهب فقد عُثر عليه كلُقى أثرية في المدافن النادرة ، الغنية بالذهب ، والتي يُكشف عنها سليمة ، لا سيما القبور الملكية في العديد من المواقع الأثرية ، والتي تعطي رؤية قيمة ومهمة عن النوعية التي امتازت بها الأعمال الذهبية[54].

ذكر لنا الجغرافيون العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب فيها مثل محافظة بيشة[55] ، حيث عثر في موقع العبلاء شمال غربي المحافظة على عدد من القطع الأثرية ، التي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، وكانت تستخدم في استخراج وتعدين الذهب والنحاس وبيعه، ويعرف موقع العبلاء محليًا بمنجم العبلاء، ويقع على مسيل عدد من الأودية والشعاب ، من أهمها وادي رنية ووادي القاع ، ويعتبر من أكبر المواقع الأثرية في جنوب غربي السعودية ، وما يميز العبلاء، وجود منجم قديم أقيم في قمة الجبل يحتوي على ثلاث آبار يصل عمق إحداها إلى ثمانين مترًا، وذلك لاستخراج المعادن من باطنها، وما زالت آثار التعدين بارزة للعيان إلى وقتنا ، كما يوجد في الموقع رحى، إحداها كبيرة بعرض متر وطول متر كانت تستخدم لطحن المعادن المستخرجة من المنجم ، وتقع العبلاء في منطقة الدرع العربية التي تشتهر بوجود كثير من المناجم التي استغلت في استخراج المعادن قبل الإسلام ، حينما ظهرت شهرة الذهب في أرض الجزيرة العربية ، وأصبح مطلوباً للشعوب المجاورة للعرب مثل الفينيقيين والآشوريين والرومان وغيرهم ، وكان من أهم هذه المناجم منجم العبلاء ، ولا تنحصر أهمية موقع العبلاء الأثري في المنجم والتعدين فحسب ، فهو يضم قرية كبيرة وسوقًا تجارية إلى جانب المنجم ، كما يعد أكبر موقع أثري في الجنوب الغربي ، وتبلغ مساحة القرية أكثر من كيلومتر مربع ، وتصنف ضمن المواقع التجارية والزراعية المهمة.

كما تم العثور على بقايا طحن الخامات المعدنية وصهرها داخل الموقع ، وملاحظة كثير من الشقوق الأرضية ، والخنادق التي تدل على استخراج الخامات المعدنية ، ليس من جبل العبلاء فقط ، بل تعدى ذلك إلى الجبال الشمالية من الموقع ، ومن أهمها موقعا المشق وأم العشاش في مركز الجعبة[56]. وإلى جانب تعدين الذهب والفضة والنحاس ، يبدو أن سكان العبلاء قاموا أيضاً بتعدين الحديد ، ويظهر ذلك من كثرة بقايا كرات خبث الحديد ، وعدد من المخلفات المصنّعة من الحديد كالمسامير، وأنصال السكاكين ، والملاعق ، والشوك ، وحلقات الأبواب. ومن المواضع التي عُرفت بوجود خام الذهب مدينة ضنكان[57] ، والمنطقة ما بين القنفذة ومرسى حلج[58] ، كما

اشتهرت أرض مدين[59] بوفرة معدن الذهب ، وأشارت التوراة في سفر أخبار الأيام الثاني ، إصحاح 9: 10، إلى مدينة أوفير على أنها مورد الذهب للنبي سليمان عليه السلام[60] ، كما أن هناك ما يشير إلى وجود الذهب على مقربة من حمضة[61] ، حيث كان يستخرج الذهب من هناك في العصور القديمة ، هذا فضلاً عن اشتهار ديار بني سُليم[62] بوجود معادن فيها ، ومن بينها الذهب[63].

يذكر الكتّاب القدامى من الإغريق ، إلى أن هناك مواضع في جزيرة العرب ، يستخرج منها الذهب نقياً ، لا يعالج بالنار لاستخلاصه من الشوائب ، ولا يصهر لتنقيته ، ولذلك سمي بـ أبيرون ، ويقال بأن العبرانيين أخذوا لفظة أوفير من هذه الكلمة[64] ، وقد ذكر الجغرافي والمؤرخ الكلاسيكي أجاثارخيدس السفودي أن العرب يقايضون بالذهب والفضة للحصول على المعادن الأخرى ، فكانوا يدفعون ثلاثة أضعاف وزن البرونز ذهباً ، كما يدفعون الضعفين للحديد[65] ، وتحدث ديودورس الصقلي عن وجود الذهب في الجزيرة العربية وأنه كان خالصاً نقياً ولا يحتاج إلى صهر[66] ، ويشير استرابون[67] وكذلك بليني[68] إلى وجود الذهب في بعض الأماكن على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، كما يذكر لنا الكاتب اليوناني أرتميدوروس في وصفه لسكان المنطقة التي تقع إلى شمالي سبأ ، أن بعض هؤلاء السكان يحصلون على الذهب في هيئة كتل أو كرات صغيرة ، عن طريق الحفر «يقصد التعدين بالضرورة» ، وهم إما أن يأخذوا هذه الكرات كما هي ، ولا يصنعون فيها شيئًا أكثر من ثقبها ، لكي يصنعوا منها عقودًا وأساورَ، أو أنهم يبيعونها «بسعر رخيص إلى جيرانهم، بسبب عدم مقدرتهم على صياغة الذهب»[69] ، كما يذكر الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب إلى أن الفرس الساسانيين ، قاموا بالتنقيب عن الذهب والفضة في وسط الجزيرة العربية وجنوبها الغربي ، وفتحوا طريقاً برياً لنقلهما إلى فارس[70] .

كذلك تحدث كتاب العصر الكلاسيكي ، عن استخراج الذهب من باطن الأرض ، وأطلقوا عليه مصطلح الأبير ، وأنه يستخرج على شكل شذرات نقية مختلفة الأحجام ، يصنع منها أجمل الحُلي ، وكذلك استخدموا الذهب في صناعة الأبواب ، والأسوار، والسقوف ، والجدران ذات العُمُد التي كانت في منازل بني سبأ ، والمرصعة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وكذلك بعض أوانيهم ، وتؤيد ذلك المصنفات اليونانية والرومانية والعربية في إشارتها عن وجود الذهب في حالته الطبيعية[71] ، وكانت أحجام قطع الذهب تتراوح بين نواة حبة الزيتون وثمرة الجوز[72] ، ويشير بلينيوس إلى امتلاك السبئيين مناجماً للذهب والفضة[73] ، وغالباً ما كان من الذهب البكر الذي لم تمسه النار ، وإنما يستخرج مباشرةً من الأرض[74]. وقد عثر في مهد الذهب[75] والذي يقع إلى الشمال من المدينة المنورة حالياً ، على أدوات استعملها القدامى في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ، مثل رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح ، فضلاً عن آثار القوم في حفر العروق التي يتكون منها الذهب ، مما يدل على أن الموقع إنما كان منجماً للذهب في عصور ما قبل الإسلام ، ولعله من المناجم التي أرسلت الذهب إلى سليمان عليه السلام[76] . ومن المناجم الأخرى في الجزيرة العربية منجم بلغة ، والذي يقع في المدينة المنورة كذلك ، على مسافة 65 كم نحو الجنوب من مصنع المعالجة في الصخيرات ، وهو أحد أهم مناجم الذهب ، وكذلك منجم الصخيبرات في منطقة القصيم

حالياً ، والذي يقع على بعد حوالى 750 كم شمال شرق مدينة جدة ، و على بعد 30 كم جنوب طريق المدينة المنورة السريع حالياً ، وكذلك منجم الحجار في الجنوب بالقرب من محافظة العقيق حالياً ، ومنجم الأمار في على بعد 195 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ، فضلاً عن معادن الذهب في شرق الجزيرة العربية وتحديداً في جبال عمان وغيرها[77] .

تؤكد الدراسات وجود مواقع للذهب في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وتحديداً في صخور الأَساس[78] ، وفي مناطق أُخرى كعاهم[79] ، ووادي حرض[80] ، بعلان[81] ، وادي شرس (محافظة حجة) ، وادي الحريرة (محافظة حجة) ، الفيض[82] ، وادي مروان (محافظة صعدة) ، وادي العرض (محافظة صعدة) ، حيدان (محافظة صعدة) ، وادي النشور (محافظة صعدة) ، المحفر (محافظة صعدة) ، صبرين (محافظة الجوف) ، اللوذ (محافظة الجوف) ، وادي الكحيل (محافظة الجوف) ، فلحان (محافظة الجوف) ، وادي عطف رباق (محافظة الجوف) ، وادي النماصة (محافظة الجوف) ، والمطمة (محافظة الجوف) ، الريان (محافظة الجوف) ، نجد الملاجي (محافظة شبوة) ، شطبه (محافظة أبين) ، معجب (محافظة أبين) ، إم صره (محافظة أبين) ، بحره ، يام ، نقيل غيلان (محافظة صنعاء).

كما يتواجد معدن الذهب في الصخور البركانية في العديد من المناطق في جنوب غرب الجزيرة العربية ، ووفق الدراسات الاستكشافية الحديثة التي نفذت في الصخور البركانية ، فإنها أكدت تواجد الذهب في مناطق شهارة (محافظة عمران) ، ومناخة (محافظة صنعاء) ، وعاثين (ذمار) ، وتمعدنات أُخرَى للذهب ضمن الصخور البركانية المتأثرة بتغيرات حرمائية ، نتيجة تأثرها بالمياه والأبخرة الحارة مثل مناطق ورقة ، وعتمة (محافظة ذمار) ، والوازعية (محافظة تعز) ، بالإضافة إلَى تواجد الذهب ضمن الصخور البركانية في كلٍّ من مديرية عتمة ، ورقة ، عاثين (ذمار) بنسبة 0.12 جرام إلَى 3.2 جرام ذهب في كُلّ طن من الصخور الحاوية للذهب ، وفي مديرية الوازعية (تعز) بنسبة 0.6 جرام ذهب في كُلّ طن من الصخور الحاوية للذهب ، وفي شهارة (عمران) بنسبة 0.5 جرام ذهب في كُلّ طن من الصخور الحاوية للذهب وفي منطقة خولان ـ مناخة (صنعاء) بنسبة 0.3جرام إلَى 0.5 جرام ذهب في كُلّ طن من الصخور الحاوية للذهب، وفي مديرية القفر (إب) بنسبة 0.5 جرام ذهب في كُلّ طن من الصخور الحاوية للذهب[83].

كان معدن الذهب يتصدر قوائم صادرات العرب ، كما كان يتصدر لوائح النقود والسلع التي كانت القبائل العربية تدفعها كجزية أو هدايا إلى ملوك آشور وبابل وبلاد الشام ، حيث تتوافر بعض الإشارات ضمن النقوش المسمارية ، التي خلفها الملك الآشوري تجلات بلايسر الثالث(-744 727ق.م) ، تشير إلى أن أهل تيماء والسبئيين وغيرهم في شمال غرب الجزيرة العربية قد دفعوا إتاوة تمثلت بكميات غير محدودة من الذهب والفضة والجمال والنوق ، وأنواع مختلفة من المواد العطرية ، ونقش آخر للملك الآشوري سرجون الثاني(705-772ق.م) ، الذي حاول فرض سيطرته على طرق التجارة ، حتى تمكن في سنة 720ق.م من احتلال غزة ، التي ينتهي عندها طريق البخور القادم من أقصى جنوب غرب الجزيرة العربية[84] ، ويشير النص إلى أنه تسلم إتاوة

قوامها الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وغيرها من الأصناف من فرعون مصر ومن شمسي ملكة بلاد العرب ، ومن يثع أمر ملك سبأ ، كما أهدى الملك كرب إيل وتر ملك سبأ ، هدية قيمة من الذهب والفضة للملك سنحاريب(681-705ق.م) ، ودفع أب يثع جزية شملت أصنافها معدن الذهب إلى الملك الآشوري آسرحدون(669-681ق.م)[85].

كان هذا المعدن يُستخدم في تزيين البيوت ، وصناعة الآنية ، والحلي والمجوهرات للمرأة ، والعربات[86] ، وصناعة المسكوكات ، وبعض التماثيل والقطع الفنية ، كما استخدم في تطعيم بعض التماثيل المصنوعة من الرخام ، وفي صناعة الأسلحة كالسيوف[87] ، كما كانت بعض القبائل في الجزيرة العربية تهتم بهذا المعدن بشكل كبير ، فكان له قدسيته الخاصة به ، حيث كان يضمه ضمن مقتنياته في أثاثه الجنائزي ، وربما يشير ذلك إلى أهميته الدينية[88] .

ذُكر الذهب في سبع آيات من آيات الكتاب العزيز ، التي أكد بعضها أن الذهب هو من حلي أصحاب الجنة ، كثواب للذين عملوا الصالحات ، لقوله تعالى: ﴿أولئك لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (الكهف، آية31) ، ولأن الخالق - عز وجل- قد حذرنا في الوقت نفسه من عواقب الاندفاع في جمعه واللهث وراء حب القناطير المقنطرة من الذهب قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: آية34) ، والآية السابقة قمة الإعجاز القرآني ، لأنها سبقت الدراسات العلمية والنظريات الاقتصادية الحديثة بمدى طويل ، هو عمر القرآن الكريم المعجز نفسه ، فكثيرًا ما يكون بريق الذهب الأخاذ خداعا كالسراب ، فإن الاندفاع وراء هذا البريق فساد للعباد والبلاد، وقد أجمعت النظريات الاقتصادية الحديثة والدراسات العلمية التي بنيت على شواهد هذا العصر، بأن اكتناز الذهب يعطل جزءًا غير يسير من ثروة البلاد ، ويحول دون إنفاقها على مصالح المجتمع ، ومن هنا تبرز أهمية المعاني العظيمة والحكيمة التي جاء بها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[89]. ويُذكر أن النبي –صل الله عليه وسلم- قد صالح أهل خيبر على الضواء والبيضاء والحلقة (الذهب والفضة والدروع)[90] ، وفي عبارة مأثورة على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولكن الله يرزق الناس بعضهم ببعض)[91] ، والإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- لم يجد سوى الدر والمرجان والذهب ليشبه كرم المولى - عز وجل- إذ يقول: «ولو وهبت ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثار الدر و حصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده ولا نفد سعة ما عنده»[92]. ومن الأمثال الشهيرة التي يرددها العرب ، ويُذكر فيها الذهب ، قولهم : (ليس كل ما يلمع ذهباً) وأيضا (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) ، (طلب الأدب أولى من طلب الذهب) ، (ليس الفقير من فقد الذهب وإنما الفقير من فقد الأخلاق والأدب) وغيرها[93] . ولقد أباح الإسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة ، على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، وعدّ الله تعالى الزينة من نعمه علينا التي يذكّرنا بها ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[94].

وكان للعرب المسلمين مصاحف مذهبة فاخرة ، ومن ذلك المصاحف الذهبية التي كان يكتبها ملوك وأمراء غرناطة بأنفسهم ، ويضعونها في إطار مذهب فاخر ، ويرسلونها إلى جانب الرسائل إلى المدينة المنورة ، كما سعى علماء العرب المسلمين إلى كشف أسرار المعدن الأصفر البراق ، وقد اهتموا بالتمييز بين الأنواع المغشوشة ، واستعماله لأغراض متعددة بعد سبكه مع معادن أخرى ، فأثبتت التحليلات العلمية الحديثة معرفة المسلمين للميزان المضبوط ، سيما في صنع عملاتهم الذهبية[95].

ويعتبر الصباح الكندي - جد الفيلسوف المشهور يعقوب الكندي - من أقدم خبراء العرب في هذا المجال ، وإلى جانبه برزت أسماء لامعة أخرى ، كمعون العبادي ، وأيوب البصري ، والحسين بن عبد الله ابن الجصاص وغيرهم ، كما ظهرت فيما بعد أسماء كثيرة من نوابغ المسلمين في علم المعادن والذهب والأحجار الكريمة ، نذكر منهم يعقوب بن اسحاق الكندي، الذي من المحتمل أن يكون أول كيمياوي من العرب والمسلمين ، رفض فكرة استحالة وتحويل المعادن البخسة إلى ثمينة ، كما نذكر أسماء أخرى معروفة مثل محمد بن يحيى بن زكريا الرازي ، وجابر بن حيان ، والحسين بن علي المسعودي ، والحسين بن عبد الله بن الحسن ابن سينا ، ومحمد بن أحمد البيروني ، ويحيى بن محمد بن أحمد ابن العوام ، وغيرهم[96].

عُرف الذهب بأسماء عدة كان يطلقها العرب عليه قبل الإسلام ، منها الأصفران وهما الذهب والزعفران ، والصفراء أي الذهب للونها ، وكذلك العقيان[97] وهو الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة ، وإنما هو ذهب ينبت نباتاً[98] ، وكذلك الشذر ، وهو قطع من الذهب يلقط من المنجم من غير إذابة الحجارة ، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر ، والشذر أيضاً صغار اللؤلؤ[99] ، ويُقال لتراب الذهب السحالة[100] ، ويطلق لفظ العسجد على الذهب وهو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت ، والعسجدية ركاب الملوك وهي إبل كانت تزين للنعمان[101] ، كما يطلق على الذهب الصافي الخالص لفظ السيراء[102] ، والاسم الآخر للذهب هو النضير ، والنضار والأنضر اسم الذهب والفضة ، وقد غلب على الذهب وهو النضر ، والسام عروق الذهب والفضة في الحجر ، وقيل السام عروق الذهب والفضة ، والأعرف من كل ذلك أن السام الذهب دون الفضة[103] ، ومنها ما كان اسمه يُنسب للقبائل ، إضافة إلى أسماء أخرى ، مثل الخالِص والزُّخْرُف وغيرها ، ولعل أجمل الأسماء التي أُطلقت على الذهب، وأكثرها إبرازاً لجماله ، هو الاسم اللاتيني الذي أطلقه عليه الرومان AURUM أي الفجر، لأنه يشبه بلونه الشمس عند بزوغها ، ولا يزال رمزه الكيميائي مستمداً من التسمية نفسها Au[104] .

تعدَّدت الطُّرق قديماً في استخراج الذهب من الطبيعة واستخلاصه ، ولم يكن ذلك ممكناً للبشر لولا هداية الله لهم لمعرفة خصائص هذا المعدن الثَّمين ، وأماكن تواجده ، ومن ثمَّ طرق استخلاصه ، حيث إنّنا سنذكر أشهر الطُّرق التي اتَّبعها المنقِّبون قديماً :

أ. أماكن تواجده في الصخور: لاحظ البشر قديماً أن معدن الذَّهب يتواجد في الطبيعة في أماكن معيَّنة ، كما أنه غالباً ما يكون مختلطاً بعناصر ومعادن أخرى ، حيث إنّهم

مع الخبرةِ والاستكشافِ وجدوا أن الذَّهب يكون في صخور الكواتز، والبازلت ، وغالباً ما يكون متَّحداً مع معادن أخرى ، كالنحاسِ والفضَّة.

ب أماكن تواجده جغرافياً : فتَّشَ القُدماء عن هذا المعدن الثَّمين في كل مكان ، فلاحظوا أنّه يتواجد بكثرة في مصبَّات الأنهار، وأسفل الجبال ، وأحياناً على شكل عروقٍ مدفونة ، فبدأت عمليات المناجم والتنقيب بالحفر والاستخراج[105] .

2/ الفضة :

هي من المعادن المعروفة في الجزيرة العربية ، فقد كانت سوقاً ومصدراً لهذا المعدن منذ القدم ، ولها الكثير من المواضع لاستخراجها[106] ، وقد اقترنت في بعض المناطق بالذهب ، وكانت معه مقياساً للثروة والغنى ، وعُرفت باسم صرفن بالمسند أي فضة خالصة[107] ، كذلك وردت بلفظة ورق ، ليشير إلى عملة نقدية مصنوعة من الفضة[108] ، وقد استخدمت في تزيين البيوت وصناعة الآنية والحلي والعربات[109] ، وكذلك في صناعة العملات النقدية[110] ، وفي التمائم وبعض التماثيل والمجسمات ، وفي تطعيم بعض المصنوعات المعدنية المختلفة ، حيث اكتشفت العديد من النماذج الأثرية ضمن الأثاث الجنائزي لعدد من المقابر ، مثل حفريات موقع الحُصمة[111] .

اكتشف سكان الجزيرة العربية منذ العصر الحجري الحديث[112] تقريباً ، أن العديد من رسوبيات خامات كبريتيد الرصاص الطبيعي كانت تضم كميات وافرة من الفضة ، فخام الفضة يوجد مختلطاً بخامات معادن أخرى كالنيكل والرصاص والكوبالت والنحاس ، وقد توصلوا إلى طريقة استخراج الفضة من هذا المصدر[113] ، إذ كانت كبريتيد الرصاص توضع في فرن كبير ، مما ينتج عنه تبخر الرصاص أو امتصاصه من قبل طبقة سميكة من الرماد ، بينما كانت الفضة التي تتواجد في البداية ككبريتيد تختزل للمعدن[114] ، ويعتقد أنه تم اكتشاف معدن الفضة أثناء صهر خام الرصاص الحامل للفضة ، ويعزز هذا الاعتقاد أن القطع الأثرية الفضية الملتقطة تحمل نسبة كبيرة من الرصاص[115] . والفضة بكسر ففتح ، معدن ذو لون رمادي فاتح جداً حتى يلامس البياض ، يتميز بلمعانه السطحي القوي جداً ، إلى درجة أنه في حال صقل هذا السطح جيداً ليصبح بملمس زجاجي ، يختفي اللون تقريباً ، إذ تعكس الفضة أكثر من 90% من الضوء الساقط عليها لتصبح شبيهة بالمرآة ، والفضة تُصنع منها الحلي والأواني ، وتضرب منها أصناف من النقود ، وللفضة أسماء أخرى كاللجين ، والغرب ، واللجة ، والْقدر ، واللجول ، والصولج ، والصولجة ، والسلام، والسيم ، والسيما ، وارجوسا ، وكمش، ودوب ، والْورق ، والصريف وغيرها[116]. وعلى الرغم من بهاء بياضها اللماع ، وقيمتها الكبيرة ، إلا أن الفضة لم تتمكن من تجاوز مكانة الذهب ، فبقيت في ظله ، مكتفية بالمرتبة الثانية في كل شيء تقريباً ، ولكنها لم تبتعد عنه يوماً ، فحضرت حيثما حضر الذهب سواءً أكان ذلك في المناجم تحت سطح الأرض ، أم على ألسنة الناس في الحِكَمْ والأمثال الشعبية ، وصولاً إلى عالم المال والاقتصاد.

وقد برع الشعراء في الحديث عن الفضة ، مثل قول أبو الطيب المتنبي :

فَمَضَتْ وقد صَبَغَ الحَياءُ بَياضَهَا لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ[117]

ويقول الشاعر العباسي منصور بن محمد الكريزي :

والنَّاسُ صنفانِ ذو عقل وذو أدبٍ كمعدِن الفِضَّة البيضاء والذَّهبِ[118]

ويقول الشاعر الأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال[119]

كما ذُكرت الفضة عند العديد من علماء العرب ، مثل ابن سينا[120] ، وعيسى بن ماسه[121] ، وإسحاق بن عمران[122] وغيرهم ، وللفضة أصناف عدة حسب مصادرها ، من ضمنها الفضة النقية أو الصافية ، والقوية أو الصلبة ، والمصقولة أو اللامعة ، وكانت الفضة تُصاغ في أشكال عديدة شأنها في ذلك شأن باقي المعادن ، وكان يتخذ منها قطعاً تحدد أوزانها وتستخدم كوسيلة للتعاملات المالية[123] .

تُستخرج الفضة النقية من خام كبريتيد الفضة ، الذي يوجد مختلطاً مع خامات معادن الرصاص والنحاس والقصدير ، المستخرجة من مناجم التعدين ، وأهمها خام الرصاص ، الذي يحتوي على 45 % من الفضة[124] ، ويعتبر كحل الإثمد (الأنتيمون) هو المصدر الخام الأساس لاستخراج الفضة[125] ، وتمتص الفضة المنصهرة كميات هائلة من الأكسجين ، وعند التبريد يتصاعد منها بخار يُحدث في سطحها بعض الشقوق ، لذلك يوضع مسحوق الفحم النباتي على سطح الفضة أثناء تجمدها – تبريدها لامتصاص البخار ومنع التشقق[126] . ومن بين معادن الفضة الـ06 المعروفة وخامات الرصاص الحاملة للفضة ، يلعبان الجالينا والسيروسيت دائماً دوراً حاسماً - وهذه هي الحال حتى اليوم – ومع ذلك ، لا ينبغي التقليل من أهمية الخامات الغنية بالفضة في العصور القديمة[127] ، ويعتقد أن معظم الفضة المستخدمة في الجزيرة العربية كانت تُستخرج من خامات الرصاص ، وخاصةً الجالينا (كبريتيد الرصاص) والسيروسيت (كربونات الرصاص) ، والطريقة التي يتم من خلالها استخراج الفضة من خامات الرصاص هي صهر هذه الخامات التي من خلالها يتم أكسدة الرصاص إلى المرتك Lithargr أي أول أوكسيد الرصاص ، وهو المدراسنج في اللغة أيضاً[128] ، مخلفاً ورآه الفضة ، ولهذا يتم تسخين الرصاص تحت أكسدة قوية في فرن التسخين ، وربما تكرر هذه العملية عدة مرات لتنقية الفضة وتخليصها من الشوائب العالقة بها ، وتمتاز الفضة المستخرجة من الجالينا باحتوائها على نسبة من الذهب حوالي 5،0 % ، ومؤخراً تم القبول بأن عملية فصل الفضة عن شوائبها تكون عن طريق الصهر بالحرارة العالية ، وإضافة معدن الرصاص لاستخلاص الفضة من النحاس[129] ، ويتم الحصول على الفضة بمجرد الصهر البسيط لهذه الخامات، بداية من درجة حرارة 065درجة مؤية[130]. ويذكر البعض أن كحل الأثمد دليل على وجود معدن الفضة ، مشيراً أن بخارها ، وفي حال تم الحفر يتم العثور على الفضة ، وبالتالي يتم تكسير الخام كسراً صغيرة ، أو طحنه ليتم استخراجه بالصهر[131] ، أما عن كيفية صهر المعدن ، فمفاد تلك الطريقة الآتي :

الخطوة الأولى : بناء فرن صغير في باطن الأرض ، يوضع فيه خشب القرظ أو العرعر ، وكسر المعدن المستخرج في هيئة طبقات متناوبة ابتداءً من أسفل الفرن وحتى أعلاه ، ولهذا الفرن

فتحتان في جانبيه أحدهما فتحة صغيرة تعرف بالمنسم ، يخرج منها زلاق إلى حوض يقع خلفها ، والفتحة الثانية عليها منفاخان كبيران ، يقوم عليهما شخصان فتيان يتناوبان على عملية النفخ لإضرام النار ، وابقائها ملتهبة لصهر المعدن ، فإذا انصهر المعدن فإنه يتجمع في هيئة سائلة ، فيتم فتح المنسم (الفتحة الصغيرة) فيخرج منها الرصاص إلى الحفرة المجاورة ، ثم يتم تبريد الفرن ويستخرج منه ما تبقى من شذرات الرصاص ، وتصفى بالماء، وتضم إلى ما تم استخراجه في الحفرة المجاورة للفرن[132] .

الخطوة الثانية : يعمد إلى كير يُعرف بكير الإخلاص ، تكون أرضيته على هيئة جفنة مرصوفة بالحجارة ، يوضع فوقها رماد العراب أو رماد العرعر ، المصفى من الشوائب بالمنخل ، ويتم رشه بالماء ، ثم يرصع جيداً بقطعة حجرية مخصصة لذلك ، ويترك حتى يجف ، فتوضع فيها كتلة الرصاص المستخرجة في الخطوة الأولى ، ويوضع فوقها الفحم (الحطب) ، وتشعل النار وينفخ عليها بمنفاخ كبير ومتين ، حتى يذوب الرصاص ، فيستمر في وضع الفحم علي وإشعاله حتى يحترق الرصاص ويصبح مرتكاً (أي يتأكسد ويصير أكسيد الرصاص) ، وتبقى الفضة ، فيقوم ببل خرقة ثم يضعها عليه ويصب الماء عليها ، فيتم نزع المرتك وتبقى الفضة ، فيستخرجها ، وكلما كانت نسبة معدن الفضة أكثر كان استخراجها أبسط ، وكلما كانت نسبتها أقل صعب استخراجها ، واحتاج إلى بذل جهد كبير في استخراجها ، وذلك بتكرار العملية السابقة[133] . وبالتأكيد كانت الفضة تصفى بعملية البوتقة ، وكانت هذه العملية تنجز بخطوتين وبدرجات حرارة سفلية ، وكان أول ما يتطاير هو بعض أول أوكسيد الرصاص في درجة حرارة منخفضة ، أما في الخطوة الثانية ، فهي البوتقة الحقيقية ، وكانت تتم في درجة حرارة عالية ، ولا ينبغي أن يتطاير منها كل أُكسيد الرصاص بالحرارة المستمرة، فإن بعضه ينبغي أن يبقى ليتخلل البوتقة ، ويمتص الأكاسيد الأخرى معه لتنقية معدن الفضة ، ليس من الرصاص فحسب ، بل من جميع العناصر العالقة به أيضاً[134] .

من الناحية المعدنية ، من السهل نسبياً صهر خامات الفضة الغنية ، ويمكن القيام بذلك نظرياً في عملية بدائية من خطوة واحدة ، حيث لا يجب حتى القيام بأكسدة المعدن أثناء التعدين ، كما هو الحال في النحاس[135] ، ومع ذلك فمن الصعب جداً حتى الآن الحكم إلى أي مدى تم ذلك على الإطلاق في العصور القديمة ، وحتى الآن لم يتم التفكير في هذا إلا على أساس نظري، ولم يتم حتى الآن القيام بدراسة تحليلية للقى الأثرية الفضية كالعملات ، لمعرفة جودة الخامات المصنوعة منها حتى الآن[136] . والفضة هي أخف المعادن الثمينة الأربعة وزناً ، إذ يبلغ ثقلها النوعي 10.49، كما أنها رغم ليونتها وصلابتها السطحية الضعيفة ، فإنها عندما تكون نقية هي أصلب بقليل من الذهب ، ومن بين كل المعادن الفلزية ، تتمتع الفضة بأكبر قدرة على النقل الحراري حالياً ، ومن بين كل العناصر الكيميائية هي الموصل الأفضل للكهرباء ، حتى أنها أفضل من النحاس في هذا المجال ، ولكنها لا تحل محله بسبب ارتفاع ثمنها ، إلا في الأجهزة والأدوات الصغيرة الحجم ، حيث يمكن تبرير التكلفة بالعائد الأفضل ، تبلغ حرارة ذوبان الفضة 961.78

درجة مئوية تقريباً ، وحرارة غليانها 2162 درجة ، وهي غير قابلة للتفاعل مع الهواء والماء[137]. ولأن الفضة كانت دائماً أرخص ثمناً بشكل ملحوظ من الذهب ، فقد سمح ذلك باستخدامها في صناعة الحلي الموجهة إلى شرائح اجتماعية أكبر من شريحة القادرين على اقتناء الذهب ، وأيضاً في صناعة أدوات تزيينيه ضخمة ، بتكلفة تقل كثيراً عن تكلفة صناعتها من ذهب، من دون أن يعني ذلك أن الفضة هي ذهب الفقراء .

أما طبياً فتتمتع الفضة بخاصية تجعلها سامة بالنسبة إلى بعض أنواع الجراثيم والفيروسات والفطريات ، كما هو حال بعض المعادن الثقيلة مثل الرصاص أو الزئبق ، ولكن من دون السميَّة العالية بالنسبة للإنسان التي تحملها هذه المعادن ، وعُرف هذا الأمر عن الفضة منذ ما قبل الميلاد ، فقد كتب اليوناني أبقراط Hippocrates (064-773ق.م) ، الملقب بأبو الطب ، أن الفضة تشفي من بعض الأمراض ، وأن الفينيقيين يحفظون الماء والسوائل القابلة للفساد في قوارير من فضة لحمايتها من ذلك ، وحتى القرن العشرين ، فقد كان الناس في بداياته يضعون قطعة نقد من فضة ضمن قوارير الحليب ، لإطالة مدة صلاحيته للاستهلاك ، وقد أكد الطب الحديث هذه الخصائص للفضة ، بعدما اكتشف أن إيونات الفضة تشكل جزيئات ، تلتحم بعناصر أخرى تحتاجها الجراثيم للتنفس ، مثل الجزيئات المحتوية على الكبريت والنيتروجين والأكسجين ، وعندما تلتحم الفضة بهذه الجزيئات تجعلها غير صالحة لأن تتنفسها الجراثيم فتموت[138]. وقد ورد ذكر الفضة في القرآن الكريم ست مرات في أربع سور، ومن ضمنها ذكرت الآنية الفضية في آيتين متتاليتين من سورة «الإنسان»: (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) [139]. وورد ذكر الفضة أيضاً كجزء من متاع الدنيا وزينتها: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[140] ، وهذه الآية هي واحدة من آيتين ورد فيهما ذكر الفضة بعد الذهب ، ففي الآية الثانية نجد تحذيراً من اكتناز الذهب والفضة كغاية بحد ذاتهما ، بدلاً من استخدامهما في عمل الخير: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[141] ، أما الآية التي يتطلب تفسيرها علماً كبيراً فهي قوله تعالى: (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)[142] ، فلماذا سقف من فضة لبيوت الكافرين؟ ، ورد في تفسير هذه الآية: «أي لولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الرزق ويصيروا أمة واحدة ، لخصصنا هذه الدنيا بالكفار، وجعلنا لهم القصور الشاهقة المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش، سقفها من الفضة الخالصة»[143]. وفي السنة النبوية الطاهرة ورد ذكر الفضة في أكثر من حديث ، منها قوله صل الله عليه وسلم : « الْفِضَّةَ بِالْفِضَّةِ ، وَالذَّهَبَ بِالذَّهَبِ ، وَالشَّعِيرَ بِالشَّعِيرِ ، وَالْحِنْطَةَ بِالْحِنْطَةِ مِثْلًا بِمِثْلٍ»[144] ، وقوله صل الله عليه وسلم : « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ , خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا»[145] ، وقوله صل الله عليه وسلم : « إِنَّ الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ , إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»[146].

كانت الفضة من المعادن المعروفة في الجزيرة العربية ، وخاصةً داخل منطقة الدرع العربي المحاذية للبحر الأحمر ، وأشهر هذه المكامن سمرة في مقاطعة الدوادمي[147] ، وحجلان[148] ، وأم حديد[149] ، ووادي الغول[150] ، كما ينتج الفضة كمنتج جانبي في العديد من مناجم الذهب ، مثل مهد الذهب ، والصخيبرات[151] ، والأمار[152] ومنجم الحجار[153] ، ومنجم المصانع بمدينة نجران حالياً، ومنجم النقرة جنوب غرب مدينة بريدة حالياً ، وغيرها .

كما عُرفت الفضة في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وموضعها بالرضراض[154] ، وفي مكان قريب من صنعاء وجد العقيق والذهب والفضة ، وكذلك في ألهان(محافظة ذمار) ، التي كان معدنها من أفضل وأجود ما كانت تنتجه اليمن من الفضة ، وكذلك في جبلة في إب ، ورازح بالقرب من مدينة صعدة ، وذمار ، ومنجم شبام سخيم[155] ، وقلعة وادي ضهر ، وتوجد مناجم الفضة في نهم ، وعلى جبل الصلب في ثعيبة وادعة ، وفي بلاد سارع ، وفي خشران التي تقع في جهران ، وفي الأرض السوداء على جبل البلق في مأرب ، وفي بلاد برط ، كما يتواجد هذا المعدن في بران ، وجبل هيلان ، ووادي الهرار ، ووادي المجنى ، وكذلك غرب مدينة عزان بمحافظة شبوة ، وفي منطقة باتيس أبين وغيرها[156] .

تشير أدوات التعدين التي تم العثور عليها في مواقع المناجم والتعدين ، إلى أن العرب حاولوا معالجة الخام وفقاً للمراحل المتعارف عليها كما ذكرنا سابقاً ، بدءاً من جمع ركاز الخام ، وسحق القطع الكبيرة إلى جزيئات بحجم الرمل الخشن بواسطة استخدام المطرقة والسندان ، حيث كانت أحجار المطرقة ذات أوزان وأحجام تسهل رفعها بكلتا اليدين ، ويدل على ذلك أنماط التآكل التي تظهر بوضوح كأجزاء مجوفة في وسط وجه المطرقة حيث تم ضرب الخام ، وتوجد أكوام من أحجار المطارق في ورش التعدين ، وتنتشر أيضاً بشكل عشوائي فوق المواقع ، وبمجرد اكتمال التكسير الأولي ، كان يتم طحن الخام تدريجياً إلى قطع أصغر باستخدام المجارش ، ومن ثم المطاحن البيضاوية للسحق ، حيث تشير الشقوق التي سببتها عملية الطحن في أسطح تلك المطاحن ، إلى احتباس بعض جزيئات الذهب في جنباتها ، وكان يتم الفصل النهائي لها بالغسل ، وغالباً ما كان يستخدم الماء كمادة مساعدة ومبردة في عملية القطع والتكسير والغسل للخام[157] .

كانت الحضارات المجاورة للجزيرة العربية مثل الآشوريين في بلاد ما بين النهرين ، والأنباط، والحبشة وغيرها ، تستورد المعادن من مناطق السبئيين وغيرها ، ومن ضمنها معدن الفضة ، بجانب العديد من المنتجات الأخرى التي تشتهر بها المنطقة[158] .

3/ النحاس :

وهو من المعادن المهمة التي يعود استخراجها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، وذلك من خلال اكتشاف القطع الأثرية من النحاس ، مثل الأدوات ، والأسلحة ، والحلي والمجوهرات ، كما استُخدم النحاس بشكل بارز كعملة منذ عام 280 ق.م ، ويُعتبر النحاس عنصر من العناصر الكيميائية ، ويكون على شكل فلز مصبوغ بالأحمر، ونقول مصبوغ لأنه عند الانصهار تذهب هذه الحمرة ، ونظراً لمتانته فإنه قابل لمختلف عمليات الطرق والتشكيل والضغط [159]، وهو لا

يوجد كفلز خالص في الطبيعة مثل الذهب ، ولكنه يستخلص غالباً بطرق صناعية من خاماته[160] ، والنحاس من المعادن المهمة لجسم الإنسان[161] ، ومن أهم خامات النحاس : الملاكيت Malachite ، والآزوريت Azurite ، وكلاهما يتركب من كربونات النحاسيك القاعدية ، والكوبريت Cuprite أكسيد النحاسوز ، والأتاكميت Atacamite كلوريد النحاسيك القاعدي ، والكالكوسيت Chalcocite كبريتيد النحاس ، وخام الكالكوبيريت Chalcopyrite كبريتيد النحاس والحديد ، وغيرها من مركبات الأكاسيد والكبريتيدات والكبريتات والكلوريدات[162]. وكانت عملية استخلاص النحاس من خاماته تمر بثلاث مراحل رئيسية[163] ، أولهما التحميص Roasting : عن طريق كسر الخامة إلى قطع صغيرة حتى يسهل صهرها ، وتعريضها لحرارة من الشمس أو في أفران بسيطة ، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة الصهر Smelting ، فيتم فيها تعريض الخامة إلى درجة حرارة عالية في فرن الصهر، حيث تتحول إلى الحالة السائلة المنصهرة ، وينصهر النحاس عند درجة حرارة 1083درجة مؤية، ويطفو الخبث Slag بعد انصهار الخامة ، في صورة مادة زجاجية ، فوق سطح المصهور المعدني ليتم كشطه، ويؤخذ المصهور المعدني السائل غير النقي تماماً ، والمملوء بالفقاعات الهوائية، وتُجرى له عملية التنقية وإعادة الصهر Resmelting ، وهي المرحلة الثالثة في عملية الاستخلاص ، وتنتهي باستبعاد الشوائب والخبث ، وتتم في بواتق كبيرة ، حيث يتم تقليب المعدن وتحريكه بأفرع خشبية للتقليل من الغازات المنتشرة فيه ، ويتميز المعدن الناتج بدرجة نقاء عالية مع بقايا من فلزات أخرى توجد كشوائب[164] . ويعد النحاس أول عنصر (معدن) مكن الإنسان من الخروج من العصر الحجري إلى عالم الحضارة والمدنية ، وهو من أهم العناصر الفلزية التي استخدمها الإنسان ، واستخلصها من خاماته المعدنية (حوالي 200 معدن) الموجودة في القشرة الأرضية ، وكانت سلطنة عمان حالياً تسمى قديماً باسم مجان ، وهي الكلمة التي تعني النحاس باللغة السومرية ، ولأن معدن النحاس وجد في الطبيعة ، على عمق قريب من سطح الأرض ، فقد اكتشفه الإنسان القديم بسهولة ، فهو يوجد في الطبيعة على شكل كتل غير منتظمة ، وبلورات النحاس مكعبة الشكل[165] .

هناك الكثير من الخصائص التي منحت النحاس قابلية للاستخدام ، وجعلته جاذبًا عن المعادن الأخرى ، منها مثلًا أنه معدن ليّن جدًا ، يُمكن طيه وتشكيله بأي شكل ، ويمكن صهره وإدخاله في تركيبات بعض الأشياء الأخرى ، وهي خصية لا تتوافر في معادن جوهرية أخرى ، مثل الحديد ، فبالرغم من أهميته إلا أن طيه يحتاج إلى جهد ومعدات وأشياء من هذا القبيل ، كما أن معدن النحاس غير قابل للتآكل في نفس الوقت[166].

قام سكان الجزيرة العربية منذ القدم بحل مشكلة النحاس ، فقاموا بصهره واستخدامه في العديد من الأغراض المعيشية لهم ، ومن ذلك تحضير العديد من السبائك ، وأهمها البرونز الذي يتكون من النحاس والقصدير، بالإضافة إلى الزنك الذي يتكون من الخارصين والنحاس ، كما يدخل في تصنيع المعدات الموسيقية ، وتصنيع الدروع ، ويدخل في تصنيع المصاغات ، والتحف الفنية التي توضع في البيوت ، كما يدخل في تصنيع التماثيل والقدور ، ويدخل النحاس في صناعة الآلات الحربية والأسلحة ، بالإضافة إلى أن هذه الآلات عندما يحدث بها أي كسر لابد من توافر معدن النحاس من

أجل تصليحها[167]. وقد تعددت مواطن وجوده ، ففي جبال عُمان[168] عدد كبير من مناجمه[169]، كما أن تمعدن النحاس يُعتبر من أوسع المعادن انتشاراً في الوحدات الصخرية بالدرع العربي ، فقد اكتشفت أعداد كبيرة من القطع النحاسية في نجران ، والتي من أهمها مكمن المصانع[170] ، وفي جنوب غرب الجزيرة العربية بصفة عامة كذلك[171] ، حيث تعتبر منطقة سوار[172] بمحافظة عمران من أهم مواقع النحاس في الجنوب الغربي ، ضمن صخور القاعدة(صخور قاعدية وفوق قاعدية).

كما اشتهرت أرض مدين[173] في شمال الجزيرة العربية ، بعمل أهلها بالنحاس[174] ، ويُعتبر جبل صايد[175] من جبال المدينة المنورة حالياً ، أحد أهم مناجم النحاس المكتشفة في الجزيرة العربية ، وهو منجم تحت سطحي . وفي وسط الجزيرة العربية أُستخرج النحاس من عدد من المدن ، منها جبل سمران ، والنقرة ، وحلاحيلة ، وجبل شيبان ، وجبل الخوار ، في مدينة الرياض حالياً ، كما وجودت امتدادات كبيرة لمعدن النحاس في محافظة الدوادمي حالياً ، غرب العاصمة الرياض ، كذلك توجد مناجم أخرى للنحاس بالقرب من وادي عينونة ، وموقع الديسة بمنطقة تبوك شمال غرب الجزيرة العربية ، ويرجع تاريخ الموقعين للألف الأول قبل الميلاد ، وهناك مواقع أخرى في تبالة والعبلة والعقيق في منطقة الباحة جنوب غرب الجزيرة العربية ، التي تحتوي على مجموعة مناجم يمكن تأريخها للقرن الأول قبل الميلاد ، وهي مواقع لتعدين الذهب والنحاس والحديد ، وقد كانت هذه المواقع في الغالب معدة لاستخراج المعدن المصهور على شكل قوالب للتصدير[176].

ذُكر معدن النحاس في القرآن الكريم ، قال تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)[177] ، فقد أمر ذو القرنين بأن يأتوه بقطع الحديد الضخمة ، فلم آتوه إياها ، أخذ يقوم بالبناء شيئا فشيئا حتى جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في العلو ، ثم قال للذين يبنون : انفخوا بالكير في القطع الحديدية الموضوعة بين الصدفين ، فلما تم ذلك وصارت النار عظيمة، قال للعمال للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة وغيرها: آتوني القطر وهو النحاس المذاب ، أفرغه عليه فيصير مضاعف القوة والصلابة، وهي طريقة استخدمت حديثاً في تقوية الحديد ،فوجدوا حديثا ان إضافة النحاس أو القطر إلى الحديد يضاعف من قوة السبائك[178].

4/ الرصاص :

هو عنصرٌ كيميائي يصنف من المعادن ، ويعد من أقدم العناصر المكتشفة ، فقد تمكّن الإنسان قديماً من استحصاله ، وخاصّة من معدن غالينا galena (كبريتيد الرصاص الطبيعي) ، الذي يعدّ المصدر الرئيسي لاستخراج الرصاص ، وبما أنّ الفضّة غالباً ما ترافق الرصاص في خاماته ، لذلك كان السعي للحصول على الفضّة سبباً في معرفة الرصاص واستخدامه في مجالات الحياة اليومية ، وكان هو بالإضافة إلى معدني الزرنيخ والإثمد أحدَ الفلزّات التي جرى تجريبها في العصر البرونزي الأول ، من أجل تحضير البرونز، إلى أن أُكتشف القصدير[179]. والرصاص معدن ثقيل ، رمادي اللون، مائل للزرقة ، أو رمادي فضي ، صلب بأشكاله المختلفة ، وهو معدن طري ، قليل النفاذية ، له

بريق عندما يقطع حديثاً ، ويفقد بريقه في الهواء الرطب ، ليشكل غلافاً رمادياً باهتاً ، والرصاص معدن لين جداً قابل للسحب والطرق ومقاوم للتآكل ، ويوجد معدن الرصاص في القشرة الأرضية مع عدد كبير من المعادن ، وينتج الرصاص اقتصادياً عبر سلسلة من العمليات ، وهي استخراج الفلز من المنجم ، ثم فصل المعدن عن الشوائب الأخرى ، بواسطة السحق الجاف والطحن الرطب ، ولقد وجد أن متوسط تركيز الرصاص ، في القشرة الأرضية يساوي 6.31 جزءاً بالمليون ، أما في التربة كان متوسط تركيز الرصاص 0,02 جزءاً بالمليون في الأحوال الطبيعية أيضاً ، ويعتبر الرصاص أحد العناصر الثقيلة ، نظراً لأن كثافته عالية نسبياً ، إذ تبلغ 11,49جم/سم مكعب ، ويرمز له كيميائياً بالرمز pb (رمزه الكيميائي جاء من اسمه اللاتيني plumbum)[180].

وقد ورد ذكر معدن الرصاص في الكتاب المقدّس[181] ، كما تم استعماله في صنع العملات المعدنيّة وأواني الطبخ ، إلى أن تبيّن أنه مادّة سامّة[182] ، كما أُستخدم في التجميل ، وفي تثقيل شباك صيد السمك ، وفي صناعة الزجاج ، والمينا المزجج ، وكذلك في صناعة أغراض الزينة ، وفي صناعة التمائم ، والأصباغ والسبائك وغيرها ، ويتواجد في الطبيعة بشكل نادر نسبيّاً ، ويمتاز بلونه الأبيض المائل للفضي ، ويوجد الرصاص في الطبيعة على شكل مركّب الغالينا المعروف بكبريتيد الرصاص، إذ يعدّ المصدر الأساسي لعنصر الرصاص، حيث يحتوي على عنصري الرصاص والكبريت ، ويتم الحصول عليه بشكلٍ نقيّ من خلال عمليّة تحميص الغالينا في أفران خاصّة ، ثم القيام بصهرها للتخلص من الشوائب والحصول على الرصاص النقي[183]. وقد كثر وجوده في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وتحديداً في صنعاء وشبوة وحضرموت ، حيث ارتبط معظمه بالمنخفض التركيبي الكبير، والمعروف بمنخفض رملة السبعتين (الجوراسي-الباليوسين) ، وذلك على هيئة شقوق وجيوب في الصخور الكربوناتية ، وتعتبر منطقة جبل صلب بمحافظة صنعاء من أهم مواقع تمعدن الرصاص في اليمن ، كما وجد تمعدن الرصاص ضمن الصخور الرسوبية الجيرية الدولوميتية (مجموعة عمران)، وبصوره خاصة في مناطق حواف الأحواض ، وقد استخدم هذا المعدن بكثرة في أعمال البناء مثل صناعة المسامير ، التي تستخدم في تثبيت القطع الحجرية ، وفي أساسات الأعمدة ، كما استخدموا رصاص الآنك ، وهو الرصاص الخالص الذي استعمل في طلي الاواني[184].

كما وجد معدن الرصاص بكثرة في صخور الدرع العربي ، حيث عثر مؤخراً على أكثر من 282 موقعاً كان يستخدم لاستخراج هذا المعدن[185] .

5/ الكبريت :

يعتبر من المعادن الطبيعية العنصرية اللافلزية (ذات العنصر الواحد) ، وقد يحتوي هذا المعدن أحيانا على كميات قليلة من عنصر السيلينيوم ، الذي له قابلية الإحلال محل بعض ذرات الكبريت ، ويتبلور هذا المعدن في ثلاثة أشكال بلورية ، أكثرها انتشارا الذي يتبلور في فصيلة المعيني القائم ، والمعدن له نوعان آخران يتبلوران في فصيلة أحادي الميل , وهما نادران جدا في الطبيعة غير انه من الممكن الحصول عليهما بطريقة صناعية ، ولون المعدن اصفر , وعند احتوائه على شوائب تتدرج ألوانه فتميل إلى اللون الأخضر أو الرمادي أو الأحمر , وذلك حسب الشوائب

الموجودة فيه , البريق صمغي أو راتنجي ، والمعدن شفاف إلى نصف شفاف , والكبريت معدن هش , وينصهر بسهولة عند 113 سيليزيه ، ويشتعل بلهب ازرق وينتج غاز ثاني أكسيد الكبريت ، وغالبا ما يوجد حول فوهات البراكين النشطة والخامدة , وكذلك في مناطق الينابيع الحارة نتيجة خروج غاز كبريتيد الهيدروجين منها وتأكسده جزئيا ، ويتكون أيضا نتيجة فعل بعض أنواع البكتيريا المختزلة ، التي تقوم باختزال الكبريتات وبخاصة الجبس ، وقد وجدت كميات من هذا الكبريت في صخور العصر الثلاثي مرتبطة مع معدن الانهيدرايت والجبس والحجر الجيري[186] .

عُرف الكبريت منذ أقدم العصور ، وذلك لأنه يوجد في الطبيعة على هيئة حرة طليقة ومتبلورة ، وقد ذكره الشاعر الإغريقي القديم هوميروس[187] في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، كما أُستخدم في الصين وفي مصر لتبيض الأنسجة ، وللمحافظة على اللحوم عن طريق تدخينها ، كما أُستخدم الكبريت في تبيض الأقمشة وفي بعض الصناعات الأخرى ، وكذلك في إنتاج حمض الكبريتيك ، الذي أطلقوا عليه زيت الزاج ، وكان يُحرق في الطقوس الوثنية القديمة لطرد الأرواح الشريرة ، ويوجد الكبريت بكميات كبيرة على حالة منفردة خصوصا في الأماكن البركانية نتيجة لتفاعل غاز كبريتيد الهدروجين وثاني أكسيد الكبريت اللذان يتصاعدان ضمن الغازات الأخرى ، كما يوجد الكبريت في حالة اتحاد مع كثير من الفلزات مكوناً كبريتيداتها واكثرها انتشاراً هو : بيريت الحديد FeS2 و بيريت الحديد والنحاس ويعرف بالشالكوبيريت CuFeS2 والجالينا PbS وبلند الخارصين ZnS، ويوجد كذلك على هيئة كبريتات أهمها كبريتات الكاليسوم المائية ، وهي الجبس CaSO4.2H2O، ويكون عنصر الكبريت حوالى 30.0 % من وزن القشرة الأرضية ، وتحتوي البحار والمحيطات على حوالى 90.0 % من الكبريت على هيئة كبريتات ، وكثيرا ما تحتوي الشهب على بعضا من كبريتيد الحديد ، ويحتوى الفحم الحجري على حوالى (1- 5.1 %) من الكبريت على شكل مركبات عضوية أو على هيئة بيريت[188].

لعب معدن الكبريت دوراً هاماً عند العرب ، وكان يظن أنه جزء أساسي في كل المعادن ، وأن المواد تتكون من الزئبق والكبريت ، واستعاروا اسماً له ، وقد اكتشف الكيميائيون أنواعاً كثيرة منه ، وأطلقوا عليها مسميات جمة مثل العروس الصفراء ، والسر الإلهي والزعفران ، والكبريت مصطلح عربي مأخوذ من كلمة كبريتو الآكاديه عن طريق اللفظ الآرامي كوبهرينا ، وقد عُرف كل من الكبريت الرسوبي والبركاني.

يفصل الكبريت من المواد المعدنية المختلطة بسهولة وذلك لانخفاض درجة انصهاره ، وتعتمد طريقة الاستخلاص على نوع الخام ومكان وجوده ، وقد وجد هذا المعدن بكثرة في جنوب غرب الجزيرة العربية وتحديداً في منطقة ذمار ، وقد كان العرب يطلون جمالهم به مخلوطاً بالدسم ، كما وجد في الجنوب الغربي عيون جارية ذات مياه كبريتية ، ولها رائحة الكبريت[189] ، كما كان يستخدم في الزراعة لمعادلة قلوية التربة ، وانتاج المنسوجات ، وبعض أنواع الأسمدة ، ويستخدم الكبريت في صناعة الثقاب (ثقابُ الاشتعال). وقد تحدث مجموعة من الأطباء المسلمين عن فائدة الكبريت الطبية ، منهم الطبري وابن البيطار والكندي وابن سينا ، فالكبريت كعلاج يشفي من

الكحة والتقيحات ، ويلصق بالصدر لعلاج الربو ، ويعالج الجذام وأمراض الجلد بالكبريت ، ولو خلط بالنطرون[190] أفاد في علاج الجرب ، ويستعمل ضد لسعة الحيوانات السامة ، وضد اليرقان والبرد والعرق والنقرس وآلام الأذن والصمم والتيتانوس ، كما يعتبر الكبريت مادة مسهلة وملينة للأمعاء[191] .

كما وجد معدن الكبريت في العديد من مدن الجزيرة العربية ، وخاصةً في الشريط الرسوبي الساحلي الغربي ، مثل منطقتي البدع ومقنا[192] حالياً ، ومنطقة الراكة بالقويعية[193] في صخور الغطاء[194] الباليوزوى ، كما يمكن استخلاص الكبريت من معدن البيريت[195](كبريت الحديد Fes2) الكتلي الموجود في وادي وسط بمنطقة نجران حالياً.

6/ الملح :

هو معدن شفاف هش استخدم منذ العصور القديمة ، لإعطاء الطعام مذاقه ، ولذلك كان يعتبر من ضمن المواد التموينية أو الغذائية ، ولا يمكن لأي كائن حي أن يعيش بدون توافر كمية مناسبة من المعادن في جسمه ، ومنها الملح ، كما يتضح ذلك من رفات الحيوانات البحرية بعد تحليلها ، وعليه قام البشر منذ بداية العصور التاريخية ، بفصل الملح عن غيره من المعادن الأخرى ، من أجل إضافته على وجباتهم الغذائية في صورته البلورية ، كما استخدم معدن الملح في حفظ العديد من الأطعمة من التلف ، لفترة طويلة ، خاصة اللحوم الحيوانية والأسماك والطيور.

كذلك استخدموا الملح كعنصر أساسي في بعض الصناعات الغذائية ، فقد برعوا في تمليح الأسماك وتجفيفها ، واستخراج البطارخ من بعض أنواعها ، حيث كان للسمك المجفف أهمية كبيرة ، ويتكون منه الطعام الرئيسي للفقراء ، وكان يتم تمليح الأسماك بأن تغمر في الملح ، وتوضع في إناء من الفخار ، وتغلق بشكل آمن ، وكانوا يتناولون هذه الوجبات في المواسم والأعياد ، وكذلك أجادوا صناعة الفسيخ والملوحة والسردين[196] .

كذلك كان للملح تأثير هام وبارز في الوصفات الطبية ، سواء كان يستخدم بمفرده أو كإحدى المكونات الطبية للوصفات العلاجية ، واستخدمه في التطهير وخاصة ملح النطرون وملح الطعام ، وكذلك الشب ، وأملاح الحديد ، وأملاح الرصاص ، واستخدم الملح بشكل خاص في وصفات طبية لإعداد عقاقير للعديد من الأمراض ، كالقرحة وتورم الأطراف ، بالإضافة إلى استخدامه لعمل قطرة العين ، وربما استخدم الملح في الجزيرة العربية لغرض التحنيط ، فقد كانت تُنقع في محلول الملح المركز ، كذلك استخدمه العرب في العلاج من عضة الكلب ولسعة العقرب[197] ، وفي إيقاف النزيف بوضعه على الجرح[198] ، وقد ذكر الرازي في الحاوي أن الملح يُجفف تجفيفاً قوياً[199]، كما ذكر نفعه في علاج نهش الهوام[200] .

يذكر ابن القيم فوائد جمة للملح ، حيث يقول : «الملح يصلح أجسام الناس واطعمتهم، ويصلح كل شيء يخالطه حتى الذهب والفضة ، وذلك أن فيه قوة تزيد الذهب صفرةً ، والفضة بياضاً ، وفيه جلاء وتحليل ، وإذهاب للرطوبات الغليظة ، وتنشيف لها ، وتقوية للأبدان ، ومنع من عفونتها ، وفسادها ونفع من الجرب المتقرح»[201].

كذلك كان للملح مكانة عالية في الطقوس الدينية ، حيث كان البعض يتقرب إلى آلهتهم بتقريب الملح من الماء ، ويعتقد البعض أن تلك الطقوس كانت منشأ وأصل الماء المقدس في المعتقد المسيحي وغيرها من المعتقدات ، حيث كانوا يقومون برمي الملح على النار لإصدار بعض الفرقعات عند حلول الأشهر القمرية ، واستخدم الملح كذلك في طهارة المنازل وطرد الأرواح الشريرة، فكان يرش المنزل بالماء والملح لطرد أي شيء مكروه من المنزل[202] ، حتى سماه أفلاطون المادة العزيزة على الآلهة[203] ، كما كان العرب يعظمونه ويقسمون به ويتعاهدون عليه ، فكانوا إذا أرادوا أن يستحلفوا الرجل أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً[204] ، وقال ابن الأعرابي : والعرب تحلف بالملح والماء تعظيماً لهما[205] ، ويُقال بين فلان وفلان ملح وملحة إذا كان بينهما حُرمة[206] ، وقيل كانوا يعقدون الحلف بإيقاد النار ، ويدعون بالحرمان والمنع على من ينقض العهد ، ويلقون عليها الملح والكبريت ، فيزيد اشتعالها فيخوفونه بذلك ، وأنه تهديد منها كي يحافظ على العهد[207]. ولأهمية الملح ، فقد أُستعيرت هذه الكلمة للعلم والعلماء ، كما جاء في اللسان : «الملح : العلم والملح : العلماء» ، فقد أُثر عن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين : «يا معشر الحواريين الحق أقول لكم : إن الدنيا لا تصلح إلا بالملح ، والطعام لا يطيب إلا به ، فإذا فسد الملح فسد الطعام وذهبت المنفعة به ، وكذلك العلماء ملح الأرض لا تستقيم الأرض إلا بهم، وإذا فسد العلماء فسدت الأرض»[208] ، كما شبهوا به النحو ، فقالوا : النحو ملح العلم ، وقالوا : النحو في الكلام كالملح في الطعام[209] ، والمالحة : المؤاكلة ، أي التشارك في الأكل ، وقد سموا المؤاكلة ممالحة ، لأن الملح ضروري للأكل لا يصلح بدونه[210] ، ولما كان الملح رمزاً للعهد والحرمة والذمام ، استعير كذلك للصداقة والعشرة الطيبة ، التي ينبغي المحافظة عليها من أي شائبة ، واستعارة الملح ليكون رمزاً للصداقة يبرز جانباً من جوانب تعظيمه ، فلم يكن الحصول على الملح أمراً يسيراً في الأزمان الغابرة ، وكذلك الظفر بصديق وفيّ يرعى حرمة المودة أمر عزيز[211] ، كذلك ارتبط الملح بالتماس البركة والتفاؤل ، قال المعري : وإن كانت العرب قد ذكرت الملح في القسم ، فإنما ذلك لأنها عندهم من البركة[212].

يتركب الملح من عنصري الصوديوم والكلور ، ويعرف علمياً بكلوريد الصوديوم ، وصيغته الكيميائية Nacl واسمه المعدني الهاليت ، ويكون الملح عادة بلورات صافية في شكل مكعبات كاملة التكوين تقريباً ، والشوائب في الملح تعطيه اللون الذي قد يكون أبيض أو رمادياً أو أصفر أو أحمر، ويبدو ملح الطعام أبيض اللون ، ولكنه في الحقيقة يتكون من مكعبات صغيرة شفافة[213]. والملح من المعادن التي وجدت بكثرة في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية ، على هيئة مناجم مطمورة في الأرض ، مثل المناجم التي عثر عليها في شبوة ، وفي مأرب ، حيث كان جبل الملح الذي امتاز بصفائه ، وهو ملح صاف كالبلور ، وكان الرسول صل الله عليه وسلم قد أقطعه الأبيض بن جمال ، وقد استغل التجار (مكر) في الجنوب الغربي تجارة الملح ، فأخذوا يستغلون مناجمه ، ويحملونه منها قوافل إلى الأسواق ، ونظراً إلى سعة هذه التجارة على كثرة الملح المستخرج ، ظهرت جماعة عُرفت بـ (زلا) أو (سلا) في لغة المسند ، تخصصت بكيل الملح وتعبئته في الجوالق لإرساله إلى الأسواق[214] .

كذلك وجد معدن الملح في تيماء ، وفي برك جنوب القنفذة وأبو عريش حالياً ، وكذلك في السبخات المنتشرة في شمال وشرق ووسط الجزيرة العربية[215]، ومن ذلك وادي السرحان ، الذي عُرفت قراه بقُرى سبخات الملح ، ومن ممالح تهامة ، وكل ما قارب الساحل أملاح إلا اليسير ، ويُعتقد أن ظهور مدينة ثاج قد ارتبط بوجود سبخة للملح هناك ، وبكونها مركزاً تجارياً له[216]. ومصدر كل الملح بما في ذلك الترسبات الملحية الموجودة تحت سطح الأرض هو «الأُجاج» ، أي المياه المالحة من البحار والبرك والأجسام المائية الأخرى ، والواقع أن ترسبات الملح الموجودة الآن قد تكونت تحت الأرض بتبخر مياه البحر منذ ملايين السنين[217]. والسبخات هي عبارة عن الأراضي المنخفضة والمستوية المتعرضة لمعدل عال من تبخر المياه ، وتعرف التربة السبخية بأنها التربة الغنية بالأملاح ، نتيجة تبخر محتواها المائي ، تاركة وراءها الأملاح المختلفة بتراكيبها الكيميائية ، التي تشكل في النهاية طبقة ملحية تشكل القشرة الصلبة للسبخة ، ويتفاوت سمك طبقة الأملاح حسب الظروف الداخلية والخارجية المؤثرة في تكوين السبخة ، والتي من أهمها اختلاف درجة الحرارة والرطوبة ، ومعدل سقوط الأمطار ، ودرجة ملوحة السبخة ، وعمق مستوى منسوب المياه الجوفية ، وتوجد طبقة الأملاح الصلبة عادة فوق طبقات من الرمال ومن الطمي أو منهما معاً ، وتتكون التربة السبخية عادة من طبقة أو عدة طبقات من رسوبيات غير متجانسة ، تكون غالباً من الرمال المسامية وذات النفاذية العالية ، التي تسمح بمرور المياه الجوفية إلى سطح السبخة ، مما يؤدي إلى زيادة ملوحة تلك المياه ، وبالتالي تبلور المعادن مكونة السطح الخارجي للسبخة المتماسك نسبياً ، والذي يفقد تماسكه وقوته عند وصول الماء إليه[218] .

تتميز التربة السبخية بعدة صفات من أهمها :

- ملوحة مياهها الجوفية القريب من سطح الأرض.
- الطبقات المتعاقبة من التربة والملح ذات سمكات مختلفة.
- عدم تجانسها وتغير خواصها الفيزيائية والكيميائية.
- قلة كثافتها وضعف قدرتها التجميلية في حالتها الطبيعية[219].

والملح نوعان ، أحدهما ملح بحري يستحصل عليه من مياه البحر ، حيث يوضع في أحواض واسعة تبنى على شواطئ البحار أو قربها ، فيتبخر الماء بأشعة الشمس ، ويبقى الملح كتلاً بلورية ، تنقل إلى معامل خاصة تنظفها وتطحنها وتعدها للاستهلاك ، والنوع الثاني هو ما يعرف بالملح الاندراني والذي يوجد في مناجم على الأرض متبلوراً على هيئة كتل صخرية بلورية ، تقطع وتنقل أيضاً إلى معامل خاصة لتصفيتها وطحنها قبل عرضها للبيع[220]. والملح ضروري للصحة الجيدة ، ويحتوي دم الإنسان على الملح ، كما يجب أن يكون في خلايا الجسم ملح ، حتى يمكنها أن تؤدي وظائفها بطريقة صحيحة ، غير أن بعض الدراسات أوضحت أن كثرة الملح أو مركبات الصوديوم الأخرى في طعام الإنسان ، يمكن أن تؤدي إلى الارتفاع في ضغط الدم ، ولهذا السبب يحاول كثير من الناس أن يقللوا من مقدار الملح الذي يتناولونه ، كما يستخدم بعض الناس بدائل الملح التي لا تحتوي على الصوديوم.

كان الملح سلعة ثمينة منذ العصور القديمة[221] ، حيث تشير المصادر إلى أنه أول وسائط التبادل وسبب لقيام الحروب[222] ، وكان يستبدل به الذهب أوقية مقابل أوقية ، وكان الصينيون القدامى يستخدمون عملات مصنوعة من الملح في التداول ، وفي مناطق كثيرة حول البحر الأبيض المتوسط ، كانت أقراص الملح تستخدم عملة متداولة ، وفرضت عدة حضارات قديمة الضرائب أيضاً على الملح ، والملح كمادة ثمينة خضع طويلاً للاحتكار ولضرائب باهظة فرضت عليه ، وقد أُشير في المسند إلى الملح ، والتجارة به ، وإلى وجود كيالين كانوا يكيلونه ويرسلونه إلى الأسواق لبيعه فيها . ورد ذكر الملح في القرآن الكريم مرتين ، في سورة الفرقان في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا)[223] ، وفي سورة فاطر في قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[224].
وفي الحديث الشريف روى ابن ماجة في سننه من حديث أنس ما يرفعه: «سيد ادامكم الملح»[225] ، وسيد الشيء هو الذي يصلحه ويقوم عليه ، وفي مسند البزار مرفوعاً عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم كان يقول لهم : «سيوشك أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام ولا يصلح الطعام إلا بالملح»[226] ، وفي حديث عبادة بن الصامت قال : قال الرسول صل الله عليه وسلم : «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل ، يداً بيد ، سواء بسواء ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»[227] ، كما روي أن الرسول صل الله عليه وسلم كان يصلي : «فلدغته عقرب فتناولها رسول الله صل الله عليه وسلم بنعله فقتلها ، فلما أنصرف قال : لعن الله العقرب ما تدع مُصلياً ، ولا غيره أو نبياً أو غيره ثم دعا بملح وماء فجعله في إناء ثم جعل يصبه على إصبعه حيث لدغته ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين»[228].

7/ الحديد :

يُشكل الحديد حوالي 5 % من قشرة الأرض ، وهو رابع أكثر العناصر وفرة بعد الأكسجين، والسيليكون ، والألمنيوم ، ويعتبر الحديد العنصر الرئيسيّ في تكوين الحضارة الحديثة ، حيث استطاع الإنسان تسخير الحديد واستخدامه لأكثر من 3000 عام ، وإنّ المادة الخام للحديد هي الصخور ، التي من خلالها يستطيع الإنسان استخلاص الحديد منها بطرق اقتصاديّة ، والصخور الأكثر وفرة هي مثل الهيماتيت ، أو المغنيتيت[229] ، والحديد عنصر فلزي معدني انتقالي ثقيل ، له خاصة مغناطيسية ، مطواع ، أبيض ذو لمعان فضي[230] ، وهو معدن معروف من أقوى المعادن[231].
والحديد من المعادن المهمة ، ولكن يقلّ وجوده في الجزيرة العربية ، وقد عثر على أكثر المصنوعات الحديدية في مرتفعات جنوب غرب الجزيرة العربية[232] ، وتحديداً في نقم وغمدان حول صنعاء ، كما في جبل الحديد بعدن ، وصنعوا منه الادوات الانتاجية الزراعية ووسائل الري ، كما اشتهرت بصناعة السيوف وصقلها في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، فالسيوف اليمانية وخاصة المصنوعة من حديد بيحان ، هي السيوف المشهورة بالجودة ، حيث اكتسبت سمعة طيبة في الجاهلية والاسلام[233] ، وكانت شبه جزيرة العرب تحصل على السيوف من اليمن[234] ، ويضرب بسيوف

اليمـن المثـل فيقـول الشـاعر :

مقاديـم جوالـون في الـروع خطوطهـم بـكل رقيـق الشـفرتين يمـان[235]

كـما وجـد الحديـد كذلـك في أرض بنـي سُـليم ، واشـتهر بنـو أسـد كذلـك بصناعـة الحديـد ، وكان يقـال لهـم القيـون ، لأن أول مـن عمـل بالحديـد بالباديـة الهالـك ابـن أسـد بـن خزيمـة[236] ، وقـد كانـت العـرب تسـمي صاحـب هـذه الصنعـة القـين[237] .

يُعتـبر معـدن الحديـد مـن أقـدم العنـاصر استكشـافاً وتعاملاً بـين النـاس ، وهـو العنـصر الـذي اسـتخدمه النـاس بكـثرةٍ في بـادئ الأمـر في العـصر الحديـدي ، وتطـوّر اسـتعماله ، وتـمّ التطويـر عليـه وتحسـينه عـن طريـق إضافـة مـوادٍ أخـرى مختلفـة ، حتّـى أصبـح عـلى مـا هـو عليـه الآن ، في عـدّة أشـكالٍ مختلفـةٍ ، يسـتخدم كلٌّ منهـا في تطبيقـات مختلفـةٍ ، كالبنـاء والأنابيـب المختلفـة كأنابيـب الميـاه والغـاز وغيرهـا[238] ، وقـد اسـتفاد العـرب مـن الحديـد منـذ القـدم في صناعـة الـدروع والرمـاح والـتروس والدبابـات ، وكذلـك في سـكك الحراثـة والسـكين والفـأس وغـير ذلـك ، ومـا مـن صناعـة إلا والحديـد آلـة فيهـا[239] . وقـد تطـوّر اسـتخراج الحديـد عـبر الزمـن ، إذ إنّ الإنسـان الأول لم يكـن قـادراً عـلى اسـتخراج الحديـد مـن باطـن الأرض ، ولذلـك قـام بالحصـول عـلى الحديـد الموجـود عـلى سـطح الأرض ، وفيـما بعـد تـمّ إنشـاء المناجـم المختلفـة مـن أجـل اسـتخراج الحديـد مـن باطـن الأرض ، فكانـت المناجـم عبـارةً عـن أنفـاق ضخمـة ، تحفـر في داخـل الأرض في أماكـن تواجـد الحديـد ، مـن أجـل اسـتخراج الحديـد الخـام ، ومـن ثـمّ تطـورت عمليـة اسـتخراج الحديـد في وقتنـا الحـالي ، فدخلـت عليهـا المعـدّات الحديثـة والثقيلـة ، مـن أجـل اسـتخراج الحديـد مـن المناجـم ، التـي أصبحـت أيضـاً أكـثر تطـوراً عـمّا كانـت عليـه في السـابق. ومـع أنّ الحديـد يتـم اسـتخراجه مـن باطـن الأرض ، إلّا أنّ مصـدره الرئيـسي لا يعـود إلى الأرض عـلى الإطـلاق ، إذ إنّ الحديـد لا يمكـن لـه أن يتكـوّن عـلى سـطح الأرض أو أن يوجـد عليهـا في الأسـاس ، فيتكـوّن الحديـد في النجـوم العملاقـة عنـد موتهـا في عمليـة احـتراق السـيليكون ، والتـي هـي عبـارةٌ عـن مجموعـة مـن الاندماجـات النوويـة ، التـي يتكـوّن في نهايتهـا الحديـد ، وبعـد ذلـك يصـل الحديـد إلى سـطح الأرض عـن طريـق النيـازك التـي تسـقط عـلى سـطح الأرض[240]. وبعـد أن يتـم اسـتخراج الحديـد تتـمّ عمليـة إنتاجـه واسـتخراجه مـن خاماتـه ، إذ إنّـه لا يكـون في العـادة نقيّـاً وموجـوداً في الطبيعـة ، بـل يكـون متّحـداً في الغالـب مـع الأكسـجين عـلى شـكل أكاسـيد الحديـد ، أو كـما تعـرف أيضـاً بالصـدأ، فيتـم اسـتخراج الحديـد وفصلـه عـن المـواد الأخـرى في العـادة عـن طريـق الفـرن اللافـح ، الـذي يتـم فيـه رفـع درجـة حـرارة الحديـد الخـام إلى درجـات حـرارة عاليـة جـداً ، بحيـث يتـم فصـل الأكسـجين عنـه ويُـترك الحديـد النقـي أو القريـب مـن النقـاء بذلـك ، وبعدهـا يتـم تشـكيل الحديـد ، ومعالجتـه ، وتحسـينه بحسـب الاسـتخدامات المـراد فيهـا ، ويتـم في العـادة التحكّـم بخصائـص الحديـد عـن طريـق إضافـة الكربـون ، والـذي مـن خـلال إضافتـه إلى الحديـد يقـوم بتغيـير خصائصـه إلى أشـكال الحديـد المختلفـة التـي نراهـا كالفـولاذ ، والحديـد المطـاوع ، والحديـد الزهـر ، حيـث يتـم اسـتخدام هـذه الأنـواع المختلفـة مـن الحديـد بشـكل مختلـف وذلـك بحسـب خصائصـه. وردت كلمـة حديـد في عـدة مواضـع في القـرآن الكريـم ، كـما أن الحديـد هـو اسـم لسـورة مـن سـور القـرآن ، قـال تعـالى : (لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ

وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[241] ، ويعتقد المسلمون بموجب هذه الآية القرآنية أن الحديد يعتبر من المعجزات القرآنية ، إذ اثبتت ان الحديد لم يكن موجودا على الارض اطلاقا من قبل ملايين السنين ، بل تم انزاله للأرض عبر النيازك ، وذلك منذ فترات تكوين الأرض[242] ، وكذلك قوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)[243] ، وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن البشرية عرفت أهمية الحديد الصناعية منذ قدم التاريخ ، كذلك ورد لفظ الحديد في سورة الحج آية رقم 21 ، وفي سورة سبأ آية رقم 10 ، وفي سورة ق آية رقم 22 ، وفي سورة الرحمن آية رقم 35 ، وفي سورة الأنبياء آية رقم 80 ، وفي سورة الإسراء آية رقم 50.

8/ القصدير والبرونز :

القصدير هو أحد الفلزات الأولي في حياة الأنسان ، وكان اكتشافه سبباً في تطور حياته[244] ، وهو يستخلص من معدن رئيسي يسمي الكاسيترايت ، ويمتاز هذا الأخير بمقاومته العالية للتغيرات الجوية خلال العصور الجيولوجية ، حتى أنه عثر عليه في أقدم أنواع الحصي ، ما زال علي حالته الأصلية ، وهو معدن أبيض وفضيّ ونقيّ ، ويتميّز بخفّة وزنه وسهولة إذابته ، ونادراً ما يتم استخدامه بشكله النقي حيث يتم دمجه مع معادن أخرى ، وذلك من أجل صنع سبائك تحتوي على خصائص القصدير ، مثل مقاومة الصدأ والتآكل ، وسهلة الضغط والتمديد ، وقد حصل الانسان علي القصدير قبل تمكنه من صهر الحديد بمدة طويلة ، إذ أنه من اليسير اختزال اكسيد القصدير (الكاسيترايت) إلى الفلز (القصدير) ، بواسطة التسخين مع الفحم الخشبي ، في افران بدائية من الحجر والطفل[245] ، وسبك القصدير مع النحاس يعطي البرونز[246] ، الذي هو أصلب من القصدير و من النحاس ، وقد تصل نسبة القصدير فيها حتى 20 %[247] ، وربما كان للصدفة دورها في اكتشاف البرونز القديم[248] ، ويمكن القول أن خلط النحاس مع القصدير كان أجود الأنواع[249] .

يمتاز البرونز بصلابته ، وتماسكه ، وسهولة صهره ، وقابليته للطرق[250] ، وهذا بعدما تعرف الحدادون القدماء قبل 5000عام على مادة القصدير أولاً ، ثم أضافوه إلى النحاس ، لإعطائه المتانة والصلابة ، ويتراوح لونه بين الأحمر الذهبي ، والأصفر الذهبي ، كما يمتاز بمناعته ضد الصدأ أو التآكل[251] ، وإضافة الرصاص إليه تقلل من درجة انصهاره ، وتساعد كثيراً على سيولته ، وبالتالي يصلح في صب التماثيل ويخرج تفاصيلها بكل دقة[252] . ويفضل البرونز المنصهر في صب أو سبك التماثيل ، لأنه أسهل في عملية الصب عن النحاس ، لكونه أكثر سيولة[253] ، كما أن حجمه يزداد قليلاً عند تحوله من حالة الانصهار إلى حالة التصلد أو التجمد ، لذا فهو يعطي كل تفاصيل السطح الداخلي للقالب عند التصلد ، عكس النحاس الذي ينكمش ، كما أن البرونز لا يمتص الغازات وهو ساخن بل يطردها عند التصلد ، لأن وجود القصدير يمنع امتصاص غاز الأكسجين أو الغازات الأخرى ، ويعلل هذا خلو التماثيل القديمة المصبوبة تماماً وعلى وجه التقريب من فقاقيع الغازات[254] ، وقد صنعت من البرونز تماثيل نذرية صغيرة ومتوسطة في الجزيرة العربية

قبل الإسلام ، إلا أن صناعة التماثيل البرونزية الكبيرة ، وخاصة المجوفة لم يكن بالأمر الهين ولم يكن متقناً كما في الحضارات القديمة الأخرى[255] ، وربما كان البرونز مفضلًا للتقديم للآلهة ، وذلك لقيمته المادية ولبريقه ولجمال لونه[256] . وجد معدن القصدير والبرونز في الجزيرة العربية بكثرة في صخور الجرانيت[257] ، ورواسب معادن الأساس مثل النحاس والزنك في الدرع العربي ، وهي مصاحبة للصخور البركانية أو الفتاتية بركانية الأصل ، كما وجد هذين المعدنين في الجنوب الغربي ، وتعتبر منطقة جبل صلب[258] بمحافظة صنعاء حالياً من أهم المواقع ، وهي ضمن الصخور الرسوبية الجيرية الدولوميتية ، وبصوره خاصة في مناطق حواف الأحواض ، كما وجد في مناطق أخرى من الجزيرة العربية مثل عُمان والإمارات العربية المتحدة حالياً ، حيث أن عروق هذه المعادن تتوفر في صخور جبالهم بكميات كافية ، مما سهل استغلاله واستخدامه في صنع أدوات الحياة اليومية ، كصناعة التماثيل البرونزية والمرايا البرونزية ، والعديد من الأواني أهمها أوعية الطهي ، وأواني حفظ رماد المتوفي ، والمصفاة ، والصحون وأوعية الـ kyathos ، وكانت تستخدم لغرف النبيذ ، وكذلك أواني لغسل اليدين وغيرها[259]. ومعدن البرونز يفضل عن النحاس في مقاومته للعوامل الجوية والأكسدة، كما يتميز بخاصيتين هما :

أولاً : إن إضافة القصدير بنسب صغيرة لا تتعدى 4 % تزيد من صلابة النحاس ، أما إذا زادت نسبة القصدير عن ذلك ، فتصبح السبيكة هشة[260] .

ثانياً : درجة انصهار البرونز أقل من درجة انصهار النحاس ، وهذا يسهل كثيراً عملية الصهر والصب ، فالنحاس معدن لا يصلح تماماً للصب ، وذلك لأن حجمه ينكمش عند التبريد ، وأيضاً لأنه يميل لامتصاص الأكسجين والغازات الأخرى ، لذا فقد استخدم البرونز في تشكيل الأواني التي يلزم استعمال القالب في تشكيلها[261].

استخدم معدن القصدير بكثرة في عملية اللحام ، وكصفائح للأطعمة ، والمشروبات ، لأن القصدير مقاوم للصدأ والتآكل ويسهل تشكيله كما ذكرنا سابقاً ، كما يستخدم القصدير في صنع البرونز ، وهو عبارة عن سبيكة من النحاس والقصدير ، ويستخدم في صنع التماثيل ، والآلات الموسيقية ، والعديد من الأمور الأخرى.

استخدام المعادن :

يُعد التعدين من المهن الأساسية التي اشتغل بها العرب منذ العصور القديمة ، وقد بدأت حركة التعدين بجمع سطحي للمواد الخام ، ثم تطورت هذه إلى عملية قشط للطبقة الخارجية الحاملة للمعدن ، ومنها انتقلت عمليات التعدين إلى حفر الأنفاق والممرات في تجويف الأرض ، وقد وصل الحفر القديم للتعدين في بعض المناجم إلى عمق زاد عن ٨٥ متراً ، وقد كان المعدن الخام يفتت قرب المنجم ، وتكسر القطع الحاملة له إلى قطع صغيرة أو طحنها ، وقد استخدمت عدة أدوات مثل الألواح الحجرية والرحى التي وجدت متناثرة ، ويعود استخدامها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت الرحى تصنع من الحجر الجيري أو الديورايت أو البازلت ، وهي صخور متوفرة بكثرة في الجزيرة العربية[262] ، يلي ذلك حرق للمعدن لتخليصه من المواد المختلطة به مثل

الكبريت الذي يوجد مختلطاً بالنحاس في عمان[263] ، أو مختلطاً بالذهب في بعض المناجم في منطقة غرب الجزيرة العربية ، وقد يلزم الأمر تكرار عملية الحرق ، وتتم هذه العملية في أفران متلاصقة في بعض المناطق ، وكانت هذه الأفران تحفر في الصخور وتبطن بمادة صلصالية[264] ، وفي حالة عدم وجود مناطق صخرية قريبة ، فإن الأفران تُبنى من الحجارة وتُبطن[265] .

إن الحرق الذي كان يتعرض له المعدن كان بدرجة عالية ، وكان الوقود المستخدم في عمليات الحرق هو الخشب والفحم ، يلي ذلك عملية صهر الخام في أفران مخصصة لذلك ، ويوجد أمام الفرن حوض يجمع فيه المعدن المنصهر ثم منه ينقل لمناطق التصنيع[266] . وتختلف أساليب استخلاص المعدن وصهره بحسب درجة نقاوته وخلوه من الشوائب ، فبعض المعادن يكون مختلطاً بالحصى أو الرمل ، فيتم الحصول عليه بطريقة بسيطة وهي غربلة هذه المواد المختلطة به حتى تتبقى جزئيات المعدن ، ثم يصهر ويصب سبائك ترسل للتصنيع في داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وقد تستخدم كما هي[267] ، وقد يوجد المعدن مختلطاً بعروق الكوارتز والمرو ، وفي هذه الحالة يجب تكسير القطع الحجرية إلى قطع صغيرة ثم طحنها بالرحى وتحويلها إلى تراب ناعم يُذاب في الماء فتذوب الأتربة الناتجة عن طحن الصخور ويبقى المعدن[268] .وقد مارس العرب كذلك عمليات فصل المعدن من المعادن المختلطة به ، كما في حالة معدن الذهب المختلطة بالنحاس أو الرصاص وهي ما تعرف بطريقة Cepellation أو من الفضة وهي ما تعرف بـ Cementation [269].

الصناعات المعدنية :

استخدم العرب المعادن التي نقبوا عنها في باطن الأرض ، في صناعات مختلفة[270] ، وذلك بعد تشكيلها بالطرق وأساليب صبها ، مستخدمين ثلاث طرق رئيسية : الطرق على البارد ، والطرق على الساخن ، والصب في قوالب مفتوحة مصنوعة من الفخار ، وقد يضيف الصانع إلى تلك المعادن، قطعاً من مواد أخرى لزخرفتها ، مثل إضافة الأحجار الثمينة ، كالعقيق والياقوت والزمرد واللؤلؤ ، وأحياناً الزجاج إلى تلك المشغولات[271] ، وقد عثر على العديد من تلك القطع ، المصنوعة من الذهب والبرونز والنحاس في المراكز الحضارية المختلفة من شبه الجزيرة العربية ، مثل مأرب والبتراء والبحرين والفاو[272] ومنها على سبيل المثال :

1/ التماثيل المعدنية :

وهي تماثيل صغيرة من الذهب أو البرونز أو النحاس أو غيره ، كانت تُصنع لتقديمها للآلهة كقرابين تقرباً منها أو شكراً لها ، وكانت على صورة إنسان أو حيوان ، وقد عثر على أعداد كبيرة من هذه التماثيل في شمال الجزيرة العربية وفي جنوبها[273] .

2/ صناعة اللوحات البرونزية :

وهي لوحات تحمل نقوشاً بحروف بارزة ، امتازت بها حضارة جنوب غرب الجزيرة العربية ، وقد وجدت منها عدة نماذج ، واحتوت هذه اللوحات على ثقوب استخدمت في تعليقها على الجدران ، وكانت تزين بها جدران المعابد[274] .

3/ صناعة الأواني المعدنية :

مثل القدور والأطباق والسكاكين ومقابض الأواني والأكواب والأقداح والصواني والمرايا والمسارج ، وكانت هذه الأواني تُصنع من البرونز والنحاس ، كما كانت تصنع من الذهب والفضة للطبقات الأرستقراطية[275] ، وقد جاء في وصف استرابون للأنباط والسبئيين والجرهائيين استخدام هذه الشعوب للآنية الذهبية[276] ، وقد تفنن العرب في صناعة بعض هذه الأواني ، بدقة ومهارة ، وبأشكال مختلفة ، كهيئة الحيوان والطير، وبزخارف هندسية رائعة وبكتابات وتصاوير مختلفة .

4/ صناعة الآلات المعدنية :

كالبناء والنحت والزراعة وغيرها ، ومنها على سبيل المثال : المسامير المعدنية من الحديد أو الرصاص أو النحاس ، وقد استخدمت هذه المسامير في تثبيت الأحجار الكبيرة المستخدمة في أعمال البناء مثل بناء المسارح والقصور والسدود وغيرها[277] ، ومن الآلات كذلك الفؤوس والمزاميل والعتل والمطارق ، وفي الزراعة استخدمت بعض الأدوات المعدنية التي يدخل في صناعة أجزائها المعادن ، مثل المسحاة والفؤوس والمحراث والمحش[278] ، كما تطلبت تجارة القوافل بعض الصناعات المعدنية، كبعض أجزاء السروج والألجمة مثل الحلقات والمقابض والسلاسل وغيرها[279] ، كما استخدمت المعادن في صناعة وحدات الأوزان المعدنية[280] .

5/ صناعة الأسلحة :

مثل الخناجر والسكاكين والسيوف والنبال والدروع ، وهو ما أثبتته المصادر الأثرية والأدبية، كما كانت الجزيرة العربية تصدر بعض هذه الأسلحة إلى الخارج ، كما يظهر ذلك من رواية صاحب كتاب الطواف حول البحر الآريثيري[281] ، وقد ذكر بعض المؤرخون مثلًا أن سيوف الحديد اليمنية تصنع من حديد جبل نقم[282] ، كما وجدت مراكز لتصنيع الأسلحة في مدينة نشق بجنوب غرب الجزيرة العربية[283].

كما دخلت المعادن في صناعة قطع الأثاث المنزلي وأثاث المعابد ، فكانت القصور والمعابد الكبرى تُزين بقطع من الأثاث المرصعة بالذهب والفضة ، كما صنعت منها المركبات الملكية[284]، كذلك صنعت الحلي والمجوهرات من المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، أو الرخيصة كالنحاس والبرونز ، مثل السلاسل والقلائد والأقراط والأساور والمرايا والمسارح والزجاج[285] ، وقد اشتهر عرب الجنوب الغربي بهذه الصناعة أكثر من غيرهم ، ووصلت مستوى عالياً من الرقي وأصبحت تشكل مورداً اقتصادياً مهماً[286] ، كذلك صنع من المعادن مقابض للأبواب على هيئة رؤوس حيوانات كالأسد ، أو على أذرع المقاعد وبعض المفاتيح[287] .

6/ صناعة المسكوكات :

وهي من أهم الصناعات عند العرب ، نظير اهتماهم بالتجارة ، وعلاقاتهم مع الأمم خارج الجزيرة العربية ، فقد ادركوا منذ وقت مبكر يعود لبداية القرن الثالث قبل الميلاد أنه من الضروري أن تُسك عملات خاصة بهم ، وذلك لزيادة نشاطهم التجاري ودورهم العالمي فيه ، وقد استخدم في سك العملات الذهب والفضة والنحاس والبرونز ، وإن كانت الفضة والبرونز تشكل النسبة الكبرى منها[288] .

كانت العملات العربية تحمل علامات أو حروفاً أو رموزاً ، منها ما يشير إلى اسم المدينة التي سكت فيها العملة ، أو إلى رمز الدولة الرسمي كرمز الإله الرسمي لها ، ومما يلفت النظر أن بعض العملات العربية كانت تحمل اسماً أو رمزاً يدل على الأسر المسؤولة عن القيام بهذا العمل ، مما يدل على وجود أسر متخصصة في سك العملات[289] .

أدوات الصنع والزخرفة :

لقد تطلب لصناعة شتى أنواع الفنون المعدنية طرق وتقنيات عديدة ، لذا تطلب لصناعتها دقة ومهارة وجهد كبير من الصانع ، اقتنى معظمها في بداية الأمر من الطبيعة كاستعماله للحجر في طرق المعدن ، ثم استعان بعد ذلك بأدوات متعددة ومختلفة كالمطارق والأزميل ، والمخارز والقوالب ، بالإضافة إلى أدوات القياس وغيرها ، ومن أهم هذه الأدوات :

1/ السندان :

وهو عبارة عن قطعة حديدية مختلفة الأنواع والأشكال(شكل رقم1) ، وهذا حسب التحفة المراد تشكيلها وتتم فوق عملية الطرق ، ولتحويل المعدن إلى أشكال متعددة وهو على عدة أشكال مختلفة منها ، سندان وتدي برأسين ، يستخدم فيه كل رأس على حدى ، خاصةً في أعماق الأشغال المفرغة الكبيرة الحجم ، إلى جانب سندان تسوية مدبب ، الذي يستعمل في تشغيل المسطحات الصغيرة والمخروطية ، كما نجد سندان مربع السطح ، والذي يتخذ سطحاً لامعاً وقاعدة وتدية ثقيلة مقوسة أحد طرفيه ، ويستعمل في تقويس الحافات العليا للأضلاع المستديرة[290] ، بالإضافة أيضاً إلى مطارق حديدية ذات الشكل المربع والمستطيل والمثلث والدائري ، وهذا حسب متطلبات الطرق والتصفيح والزخرفة[291] .

2/ المطارق :

وتسمى كذلك الدقماق ، وهي أداة معدنية استعملت أساساً لطرق وتصفيح السبائك(شكل رقم3) ، التي توضع على الجهة المسطحة من السندان ، ويطرق عليها بشكل عمودي ، باستعمال المطرقة ، كما تختلف أشكالها باختلاف طريقة استخدامها ، فهناك المطرقات الصغيرة لتسوية الصفائح وتعديلها[292] ، نتيجة الضربات التي نجمت عن ضربات المطرقة ، كما أنه هناك أنواع أخرى غير معدنية مصنوعة من الخشب ، وتمتاز بعدم قابليتها لتشقق ومقاومتها لصدمات ، وتستعمل للطرق على الأزميل لإحداث زخارف على سطح الآنية[293] .

3/ الأزاميل :

عبارة عن قطع معدنية مدببة الرأس وهي أنواع كثيرة(شكل رقم4) ، منها الأزاميل القاطعة ، وأزاميل التقبيب وأزاميل الحز ، التي هي مخصصة لفتح التجاويف ، وإبراز الزخارف على سطح الآنية ، ويتم ذلك بالطرق على رأس الأزميل ، بواسطة مطرقة متبعة خطوط الزخارف المراد الحصول عليها ، وذلك بنقش وحفر الأشكال الزخرفية ، عن طريق وضع نماذج بارزة[294].

4/ الملاقط والمقاطع :

بعد عملية التذويب والصهر ، يحتاج الصانع إلى وسيلة ليمسك بها البوتقة ، لذا يستعمل عادة الملاقط ، أو أنواع من الكماشات ، كما تعتمد في استخدامات أخرى كالتلحيم أو لتمديد وجذب الخيوط[295] .

أما بالنسبة للمقاطع ، فتستعمل في قطع وإتمام عمليات الإصلاح والتشطيب ، وهي تتكون من الرأس والساق وحد قاطع ، كما تستعمل المقاطع في تنحية أجزاء المعدن ، حيث يتم في الأول حز المعدن بواسطة الحد القاطع فتظهر عليه بروزات ، وكلما زاد حد القاطع تمزق المعدن، كما تستعمل في تسوية السطوح المستوية[296].

5/ المقص والمبارد :

تستعمل المقصات لقص الصفائح المعدنية(شكل رقم5) ، وتحويرها إلى أشكال مختلفة ، كقصها على شكل دائري ، أو على شكل مربع ، والمثلث ، بالإضافة إلى تصحيح الحواف ، وهذا بعد تعيين الحدود الخارجية عن طريق المدور ، إذا كان بصدد صناعة أطباق ، ومن أنواع المقصات الكلابة(شكل رقم2) ، وضيفتها قص الخيوط ، أما المبارد هي أداة من الصلب متوسطة أو صغيرة الحجم ، تستعمل في شتى مراحل الصناعة ، تفيد في صقل وتهذيب الزوائد الناتجة عن القص والتلحيم[297] .

6/ الكاوية :

وهي عبارة عن قضيب معدني ، يبلغ متوسط طوله 40سم ، بأحد أطرافه مقبض خشبي عازل ، أما الطرف الآخر فمعقوق به شق صغير ، تثبت به المادة المراد لحمها كأسلاك النحاس ، ومن الممكن أن يستخدم في كثير من الحالات دون أن يثبت به شيء ، أي أنه يحمى على النار ثم تكوى به مادة اللحام على الجزء المراد تلحيمه[298] .

7/ الغداف :

وهي أداة مصنوعة من الحديد شبه أسطوانية ، يتم إدخال الخاتم في أحد طرفيها ، ليتم تشكيله وفق التصميم المطلوب[299] .

8/ البوتقة :

عبارة عن وعاء خاص من الفخار الناري مختلف الأحجام ، يستخدم لصهر المعادن الثمينة، حيث تسكب بعد صهرها بقالب فولاذي[300] .

9/ قوالب الصب :

وهي كتل من الصلب تحفر فيها عادة تجاويف لتشكيل المطروقات(شكل رقم8-7-6) ، ويصنع قالب التشكيل عادة من جزأين ، في كل منهما تجاويف مشكلة ، وهي من الأدوات الرئيسية التي يعتمد عليها كثير من الصناع في تنفيذ أعمالهم ، ويحصلون من خلالها على أحجام وأشكال متعددة من الأسلاك والقضبان والصفائح المعدنية ، التي تصنع منها الأدوات بشكل مباشر[301] .

10/ قوالب التشكيل :

وهي قوالب تستخدم في عمليات السك ، أو لتحديد الشكل ، وتأتي أما على شكل قالب مسطح مفتوح ، لا تحفر فيه تجاويف ، أو يكون فيه تجاويف بسيطة جداً[302] .

11/ الحِملاج (الكير) :

وهو منفاخ صغير عبارة عن حديدة مجوفة ينفخ فيها الصائغ للإذابة بفعل الحرارة ، والسبك على الشكل المطلوب[303] ، وقد يكون أداة من جلد أو نحوه ، أو قصبة تُغطى فوهتها بطبقة من الطين(شكل رقم9) ، الذي يجب أن يتجدد ويتغير كل مدة[304].

12/ المبارد :

وهي عبارة عن أداة معدنية تتميز بأحجامها وأشكالها المتنوعة(شكل رقم10) ، وتستخدم لبرد أسطح المصنوعات المعدنية ، بعد تشكيلها لإزالة ما فيها من نتوءات أو بروزات تطرأ عليها ، ولتسوية الأجزاء الملحمة فيها بعد الانتهاء من صناعتها ، وكذلك تستخدم لعمل بعض الأخاديد ، أو الفتحات ذات الطابع الوظيفي أو الزخرفي في القطعة المصنوعة[305] .

13/ الأتون :

وهو الفرن الذي توقد النار أسفله ، ويستخدم لإذابة المعادن وإحالتها إلى سائل ، فهو عبارة عن وعاء من الفخار أو الخزف مرفوع على قاعدة ، ومملوء بالفحم النباتي المتقد[306] .

14/ الزفت :

وهي مادة عبارة عن نوع من أنواع الجير الطري ، الذي ينصهر ويتحول إلى سائل عند توجيه النار قريباً منه ، يستخدمها الصائغ مع المطرقة الصغيرة ، حيث يضعها على القاعدة حسب حجم قطعة الذهب المراد نقشها ، وتكون سميكة ، ثم يوجه النار لكي يجعل سطحها أملس ومستوياً دون تعرجات ، ثم يقوم بتسخين قطعة الذهب المراد نقشها ، حتى تسخن جيداً ، ويضعها على الزفت فتلتصق وتترك لتبرد ، ثم تبدأ مرحلة النقش اليدوي بواسطة الطرق للزخرفة المطلوبة ، وتنتزع المادة الزفتية بواسطة تسليط الحرارة حولها بهدوء لحين الذوبان ، ثم بعد ذلك تنظيفها[307] .

كما أن الصواغ القدماء عرفوا بعض الأدوات الصغيرة ، التي تدخل في نقش الخواتم والأساور أثناء تصنيعها ، ومن الوارد أن هناك أدوات معدنية أخرى ، كان الصاغة يستخدمونها في صناعة حليهم تتباين أشكالها ومسمياتها ، وتختلف من صائغ لآخر على حسب احتياجاته يصنع أدواته ومن منطقة إلى أخرى ، لم نعرفها ولم تصل إلينا مسمياتها ، ولم يطرأ تغيير جوهري على هذه الأدوات فالتقنية هي نفسها[308] .

كانت أساليب تشكيل المعادن متعددة ، ويندرج تحت كل نوع رئيسي حزمة من الطرق والأساليب ، التي تجمع بينها خصائص معينة مشتركة ، ولعل أقربها إلى الدقة أربعة أنواع رئيسية، وقد يستخدمها الصائغ كلها في انتاج قطعة واحدة[309] :

1. تشكيل المعادن على الساخن : حيث يسخن المعدن حتى ينصهر ويصبح عجيني القوام ، ويمكن صبه وسبكه أو طرقه ودرفلته إلى مجسمات وهيئات وأشكال معينة ، وتستخدم أساليب هذا النوع عموماً في العمليات الأولية .
2. تشكيل المعادن على البارد : وهو يماثل أساليب التشكيل على الساخن ، كما يستخدم هذا الأسلوب في تشكيل المعادن التي تطاوع دون الحاجة إلى تسخينها.
3. قص وتخريم المعادن : غالباً ما يتم القص والتخريم للمعادن بنفس أنواع المكابس المستخدمة في التشكيل على البارد.
4. قطع المعادن : ويقصد بها إزالة الزائد من المعدن ، لإنتاج سطوح ناعمة مشطبة.

يتضح من خلال دراسة الأساليب الفنية والتقنية للحلي المعدنية ، التي تم العثور عليها في مواقع مختلفة في الجزيرة العربية ، أن الصاغة أبدعوا في توظيف عناصر الزخرفة الرئيسية ، مثل الخط والنقطة والفراغ ، كما تنوعت الأساليب الفنية المستخدمة في صياغة الحلي بين الواقعية والتجريد ، واستخدم الصاغة كذلك زخارف ذات أسلوب بسيط وغير معقد في عدد كبير من الحلي والمجوهرات ، إلى جانب أساليب معقدة وذات دقة عالية ، حيث الرصانة في الخطوط وجمال النسب ، مما يشير إلى أن صناعة المشغولات المعدنية تطورت تدريجياً بأساليبها الفنية والتقنية وفق قدرات الصائغ وتزايد خبراته ، كما يشير التفاوت في الأساليب الفنية والتقنية إلى وجود فروقات فردية بين الصاغة[310] .

أما أشهر الطرق والتقنيات التي استخدمها الصائغ القديم لإنتاج قطع الحُلي المعدنية، فهي تقنية الصهر والصب في القوالب ، تقنية صناعة الصفائح المعدنية ، تقنية صناعة الأسلاك بالسحب ، تقنية البرم ، تقنية تشكيل أنصاف الكرات والتحبيب ، تقنية الطرق والدق ، تقنية التلحيم ، تقنية ترصيع الأحجار الكريمة ، تقنية النقش ، وعملية الصقل والتنعيم للشكل النهائي للحلية[311].

تجارة العرب بالمعادن :

إن استقرار الأوضاع السياسية نسبياً عند العرب قبل الاسلام ، أدى إلى ازدهار النشاط الاقتصادي لاسيما في مجال التجارة ، فلقد كان هناك اهتمام بالقوافل التجارية ، ومراقبة الطرق المؤدية إلى مختلف البلدان ، وعقد الاتفاقيات بين القبائل لسلامة مسير تلك القوافل ، ويمكن القول أن تشجيع حركة التجارة وتأمين طرق القوافل ، من أهم العوامل التي أدت إلى زيادة الدخل ، وتكاد تكون التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي تميزت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وقد عدها القوم من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً[312] ، قال المؤرخ والجغرافي الاغريقي استرابون عن العرب أنهم : «تجار وسماسرة ، وقوم تجارة وبيع وشراء ، ولذلك لم يكونوا أمة حرب لا بالبر ولا بالبحر»[313] .

تاجر عرب الجزيرة قبل الإسلام بالمعادن ، وعملوا على استخراجها وبيعها كما هي ، أو تصنيعها كأسلحة أو دروع أو مصوغات وأدوات زينة وتحف ، ومن ثم بيعها ، فكانت القوافل تسير محملة بالبضائع والسلع إلى مختلف المراكز التجارية ، داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وهذا يتضح أثره في تشجيع الصناعين على زيادة انتاجهم واستمرارية الاستهلاك ، ويذكر المؤرخون أن في يثرب كان سوقاً للصاغة[314] ، وأن صناعات حرفية انتشرت في مكة ، بينها صناعة الصياغة والحلي والمجوهرات وصناعة الأسلحة وصقل السيوف والنجارة ، ونشأة صناعات حرفية مماثلة في كل من يثرب والطائف[315] ، كما استخدم عرب الجزيرة قبل الإسلام في تعاملاتهم التجارية ، الدينار وهو عبارة عن قطعة من الذهب ، والدرهم وهو قطعة من الفضة ، وهو دليل آخر على أهمية المعادن في تعاملات العرب الاقتصادية . ورث عرب الجزيرة الكثير من الأموال في تجارة المعادن، وقد بلغت شهرتهم الآفاق في العالم القديم آنذاك ، حيث تاجروا بها عن طريق البر والبحر ،

كما ظهرت طبقة من الأثرياء العرب ، اشتهرت بتجارة المعادن ، واستخدامها في حياتهم اليومية ، والتباهي بها ، مثل عبدالله بن جدعان القرشي ، الذي لم يكن يشرب إلا بكأس من الذهب ، فعُرف باسم حاسي الذهب ، والوليد بن المغيرة المخزومي ، وعبدالله بن هاشم الذي بلغ ثمن الحلل التي كُفن بها ألف مثقال من الذهب[316] ، وخباب بن الأرث ، وكان من صانعي السيوف وصقلها ، وكان للعاص بن هشام المخزومي قيناً يعمل الحديد ، وقد روي عن حكيم بن حزام أنه قال لرجل من قريش: «رأيت أباك قيناً يضرب الحديد بمكة» وغيرهم[317] .

الخاتمة :

يرجع تاريخ التنقيب عن المعادن في الجزيرة العربية إلى أكثر من 900عام قبل الميلاد ، وذلك من خلال تواجد مناجم الذهب القديمة ، التي تم استغلالها بنشاط ملحوظ خلال تلك الفترات ، والتي أُكتشفت مؤخراً.

استغل عرب الجزيرة قبل الإسلام أغلب المناجم في بيئتهم ، من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها ، في صناعات محلية للاستخدام اليومي ، أو بيعها كمعادن أو مصنوعات سواءً داخل الجزيرة العربية أو خارجها.

إن استفادة عرب الجزيرة قبل الإسلام من وجود المعادن في أراضيهم ، وتسخيرها لما فيه مصلحة لهم ، لهو دليل على الرقي والتقدم الذي حرص عرب الجزيرة عليه منذ القدم ، فلم يكتفوا فقط باستخراجه وبيعه للحضارات المجاورة ، بل استغلوه في صناعات محلية ، تمثلت في صناعة التماثيل والسيوف والرماح والأواني وغيرها .

عرف عرب الجزيرة قبل الإسلام طرق صياغة الحلي ، فتعددت أنواعها ، منها ما اتخذ لتزيين الرأس والأذنين والأنف والجبين والعنق ، ومنها ما يزين الصدر والوسط ، ومنها ما وضع في اليد والأصابع وحول الساق ، واشتهر عندهم القلائد من الذهب أو الفضة أو اللؤلؤ ، وكذلك السوار الذي تضعه المرأة في معصمها ، كما عرفت الحجول المصنوعة من الذهب أو الفضة ، وتلبس في الأرجل ، كما عرفت الخواتم التي تلبس في أصابع اليد والرجل وتسمى الأفتاخ ، كما عرفوا العديد من الصناعات المعدنية المختلفة ، كالتماثيل واللوحات والأواني والآلات والأسلحة وغيرها ، وهذا دليل على تقدم ورقي حضارة عرب الجزيرة منذ القدم ، وأنها لا تقل عن الحضارات المجاورة.

إن وجود المعادن في الجزيرة العربية ، واستخدام العرب لها واهتمامهم بها منذ القدم ، أمر مؤكد ولا يمكن انكاره والتشكيك في ذلك ، فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ، وأحاديث المصطفى صل الله عليه وسلم ، والكتاب الكلاسيكيين ، والأدب العربي ، ووردة في العديد من الأمثلة العربية ، فضلاً عن التنقيبات الأثرية مؤخراً في العديد من المواقع التي تنتشر فيها المعادن ، وعثورهم على المناجم والمصانع وأدوات الصاغة ، التي كانت تستخدم في صناعة المعادن بأنواعها .

عندما ذكر استرابون أن العرب تجار وسماسرة ، لم يبالغ في ذلك ، بل أجاد في الوصف ، فلم يكونوا مستهلكين فحسب ، بل تاجروا بكل السلع ومن ضمنها المعادن بأنواعها المختلفة ، وجنوا من ذلك أرباحاً طائلة ، بل كانت هذه السلع سبباً في إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع العديد من دول العالم القديم.

خريطة رقم1 توضح مواقع ورد ذكرها في البحث كان يُستخرج منها المعادن قبل الإسلام ، وهي الآن تقع ضمن حدود المملكة العربية السعودية. نقلاً عن الشبكة المعلوماتية - موقع ويكي السعودية.

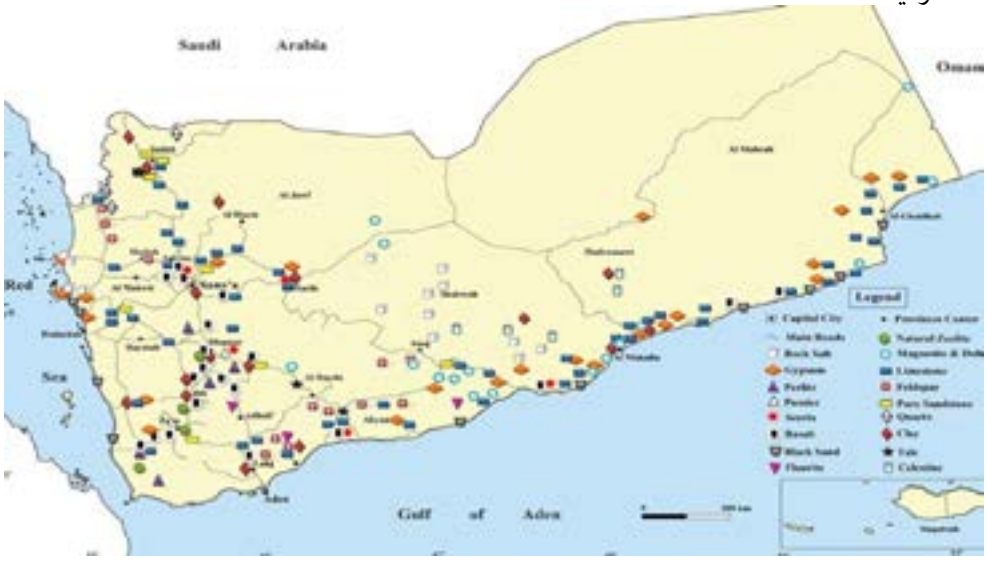

خريطة رقم2 توضح أهم المواقع التي كان يُستخرج منها المعادن في جنوب غرب الجزيرة العربية قبل الإسلام وحتى اليوم . نقلاً عن وزارة النفط والمعادن اليمنية.

خريطة رقم3 توضح أهم مواقع المعادن في جنوب شرق الجزيرة العربية(ماجان) قبل الإسلام وحتى اليوم . نقلاً عن وزارة الطاقة والمعادن فى سلطنة عُمان.

خريطة رقم4 توضح منطقة الدرع العربي في الجزيرة العربية الغنية بالمعادن منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم. نقلاً عن الشبكة المعلوماتية - موسوعة المجرة السعودية.

- **أشكال أدوات الصاغة :**

(شكل رقم1)السندان

(شكل رقم2)الكلابة

(شكل رقم3)المطرقة

(شكل رقم4)الأزميل

(شكل رقم5) مقص قديم

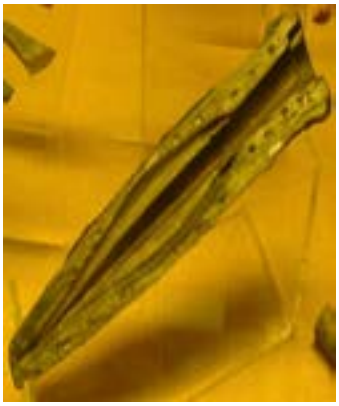

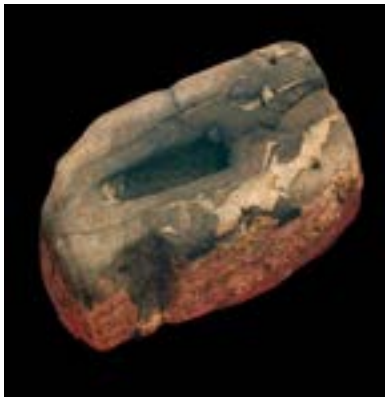

(شكل رقم6-7)نماذج من قوالب الصب القديمة (المصدر الشبكة المعلوماتية ويكيبيديا)

(شكل رقم8)قالب صب للمعادن

(شكل رقم9)الحِملاج (الكير)

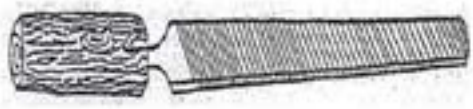

(شكل رقم10)مبرد (المصدر عبد الله العمير:ص45)

(المصدر عبدالله العمير:الروابط الفنية ، ص45)

الهوامش:

(1) فتحي محمد أبو عيانة : دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 1994م ، ص95.

(2) . L. Dudley Stamp: 1931, Asia;:An economic and regional geography, Dutton; 2nd edition,p.133.

(3) علي معطي : تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ/2003م ، ص65.

(4) Weisgeber , G . "Evidence of Ancient Mining Sites in Oman" JOS , 1974 , VOL . 4 , pp 15_28.

(5) عبد العليم عبد الرحمن خضر : الإنسان والأرض في الخليج العربي عند الجغرافيين المسلمين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1987م ، ص59.

(6) . France, A.L., Ancient Metals, ICCROM, Rome, Italy, 1980, p.9.

(7) عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني ومحمد أبو الفتوح غنيم : ترميم الآثار المعدنية وصيانتها ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع ، 1434هـ/2012م ، ص7.

(8) يمكن تقسيم المعادن إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

المعادن الفلزية: وتضم الحديد، النحاس، الألومنيوم، الرصاص، القصدير، الزنك، الزئبق، الذهب، الفضة، البلاتين، المنجنيز، الكروم، النيكل، المولبيدنيوم، التنجستن، الفاناديوم، الكوبالت، اليورانيوم، الراديوم ، وغيرها.

المعادن اللافلزية: وتشمل الفوسفات، البوتاس، الكبريت، الملح، البوكسايت، المغنيزايت، الدياتوميت، البرليت، الدولوميت، الولاستونيت، التالك، الرمال، الحصى، الطين، الجبس، الجرانيت، البارايت، الحجر الجيري، الحجر الرملي، الرخام، المايكا، البازلت، الفلورايت، الإسبستوس، الجرافيت، الرمل الزجاجي، الأوليفين، الكيانيت، البنتونيت، الإلمنيت، الزركون، الزيوليت، الكروميت، الجارنت، الكاولين، البوزولان، رماد الصودا وغيرها الكثير والأحجار الكريمة ومنها الألماس والياقوت والزمرد وهناك أحجار نصف كريمة مثل الزبرجد والعقيق والفيروز والأوبال وغيرها. للمزيد راجع بشار بغدادي : علم الفلزات ، منشورات جامعة دمشق ، كلية العلوم - جامعة دمشق ، 1442هـ/2020م.

(9) محمد سميح عافية : التعدين في مصر قديماً وحديثاً ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2006م ، ص10.

(10). Van Wissmann, H., "Himyar: Ancient History", Le Museon, LXXV11, 2-4, 1964, p441.

(11) الكتاب المقدس ، سفر حزقيال ، الاصحاح 27 ، آية 23.

(12) هو الحاكم السادس من حكام الامبراطورية السلوقية ، وقد اعتلى عرش الحكم وهو في سنته

الثامنة عشرة ، شمل حكمه سوريا الكبرى وغرب آسيا ، وقد حقق العديد من النجاحات العسكرية ، وكان يُلقب بالأعظم . للمزيد راجع طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1 ، شركة دار الوراق للنشر ، بيروت ، 2009م ، ص656.

(13) هي مملكة عربية اتخذت من ثاج عاصمةً لها ، ازدهرت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى أواخر القرن الأول الميلادي ، وامتد حكمها ليشمل كل المناطق المطلة على الخليج العربي، حتى عُرف الخليج باسمها آنذاك أي خليج الجرهاء ، اُشتهرت بالتجارة البرية والبحرية ، وأقامت علاقات مع كل الدول والإمبراطوريات القائمة آنذاك . للمزيد راجع سلطان أحمد الغامدي : مدينة الجرهاء وعلاقاتها الخارجية من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي – دراسة تاريخية حضارية ، دار ملامح للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2022م، ص141-140.

(14) محمد سهيل طقوش : تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، 1430هـ/2009م ، ص58.

(15) مها عبد الله السنان : الفنون المعدنية من قرية الفاو دراسة فنية مقارنة ، رسالة دكتوراة غير منشورة من قسم الآثار والمتاحف ، كلية السياحة والآثار ، جامعة الملك سعود ، 1430هـ/2009م ، ص7.

(16) مايكل إنجراهام وآخرون : التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية ، حولية أطلال، الرياض ، عدد5 ، 1401هـ/1985م ، ص53.

(17) هتون أحمد الفاسي : الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي ، الرياض ، 1414هـ/1993م ، ص197.

(18) عواطف أديب سلامة : أهل مدين دراسة الخصائص والعلاقات ، الرياض ، 1422هـ/2001م ، ص231.

(19) العهد القديم ، سفر الملوك أول 9 ، ص26 .

(20) العهد القديم ، سفر العدد ، الإصحاح 31 ، ص25-22.

(21) عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية المملكة العربية السعودية ، ج1 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1422هـ/2002م ، المملكة العربية السعودية ، ص286.

(22) . Bromehead, C. E. N. "The Evidence for Ancient Mining", The Geographical Journal 96, No. 2, 1940, p101.

(23) . Forbes, R.J. Metallurgy in Antiquity, A Notebook for Archaeologists and Technologists, Brill Leiden, 1950, p142.

(24) سليمان أبو غوش : اكتشاف الذهب ، مجلة البحثة ، نشرة إدارة الكويت الثقافية ، السنة6 ، عدد7 ، 1952م ، ص339.

(25) هنري هودجز : التقنية في العالم القديم ، ترجمة رندة قاقيش ، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان-الأردن ، ص61.

(26) Hauptmann, A.: Archaeometallurgy – Materials Science in Archaeology. Place of Publication not identified: Springer, 2020. 57.

(27) هيام فنحي دربك : المجوهرات في الشعر العربي ، المجلة العربية ، جمادى الأول 1419هـ ، ص61.

(28) مصطفى محمد سليم الغلاييني : رجال المعلقات العشر ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، 1332هـ ، ط2 ، ص46.

(29) للمزيد راجع شرح ديوان بشار بن برد ، شرحه ورتب قوافيه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1971م.

(30) هيام فتحي دربك : المجوهرات في الشعر العربي - المجلة العربية ، جمادى الأول 1491هـ ، ص 61.

(31) عبد العزيز عتيق : علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1405هـ/1982م ، ص102.

(32) علي بن محمد بن عيسى : شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ/1998م ، ص305.

(33) مرتضى الزبيدي : : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ، ج19 ، وزارة الاعلام ، الكويت ، 1979م ، ص339.

(34) محمد بن محمد بن حسن شراب : شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري» ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1427هـ/2007م ، ص178.

(35) ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي ، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، ج3 ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الإيمان ، جدة ، ط1 ، 1402هـ/1982م ، ص848.

(36) للمزيد راجع علي شفيق علي : الذهب في التراث العربي الاسلامي ، المنهل ، ذو الحجة 1408هـ؛ راجع حنان عبدالفتاح مطاوع : الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2011م ، ص185 ؛ راجع حسان حلاق : مقدمة في تاريخ العلوم والتكنلوجيا ، د:ت ، ص79.

(37) علي شفيق علي : الذهب في حياة العرب - المجلة العربية ، صفر 1416هـ ، ص 54.

(38) عبد الحكيم أحمد عثمان : معادن الذهب والذهب في اليمن : مع تأصيل للتراث العربي الإسلامي ، مكتبة دار الهدهد ، صنعاء ، ط1 ، 2003م ، ص37.

(39) التبر : من أسماء الذهب الخالص ، وتأنيثها تبرة ، ويكون التبر بأشكال وأحجام غير منتظمة، فمنه القطع الكبيرة الحجم ، ومنها ما هو دقيق لا يدرك إلا بالزئبق. للمزيد راجع نشوان الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1999م ، ص713

(40) إبراهيم مضوي بابكر : علم المعادن ، الكتاب الثاني ، شركة مطابع العملة السودانية المحدودة، الخرطوم ، ط1 ، 2004م ، ص2.

(41) ناجي شوقي بطرس : الذهب في مصر هل ذهب مع الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط1 ، 2015م ، ص22-21.

(42) كريم محمد قدال : تطور تقنية سباكة المعادن في فن النحت وأثره على التشكيل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة الإسكندرية ، 1998م ، ص21.

(43). De Jesus P., Dardeniz., G.: "Archaeological and Geological Concepts on the Topic of Ancient Mining", Bulletin of the Mineral Research and Exploration 151, 2015, p140.

(44) باهرة عبد الستار أحمد القيسي : معالجة وصيانة الآثار دراسة ميدانية ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، 1981م ، ص22.

(45) كمال إبراهيم عبد الفتاح : الذهب من أين جاء إلى الأرض ؟ وكيف تكون؟ ، مجلة الإعجاز العلمي، مكة المكرمة ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عدد52 ، 1437هـ ص42-36.

(46) . Jand., B., Altsudarabische Inschriften Auf Metall, Epigraphische Forschungen Auf Der Arabischen Halbinsel, Band4, , Ernst Wasmuth Verlag Tubingen – Berlin, 2009, p17.

(47) عبد الحكيم أحمد عثمان : المعادن ومركبات الزئبق ومخاطر مخلفاتها على البيئة والانسان ، مكتبة دار الهدهد ، صنعاء ، ط1 ، 2001م ، ص21.

(48). Macdonald, E. H., Handbook of Gold Exploration and Evaluation, Cambridge: Woodhead, 2007, p4.

(49) غازي جميل عبد الحي : الثروة المعدنية بالمملكة ، مجلة العلوم والتقنية ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، السنة13 ، عدد45 ، 1998م ، ص32.

(50) محمد فتحي عوض الله : الإنسان والثروات المعدنية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد33 ، 1980م ، ص174-173.

(51) د/ علي شفيق علي : المرجع السابق ، ص 54.

(52) أجاثار خيديس الكنيدي والجزيرة العربية ، ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار والحسن عبد الله ، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، 2017م ، ص48.

(53) عبد الرحمن يوسف الجاويش : الذهب والفضة في نقوش وآثار اليمن القديم ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، مجلد23 ، عدد1 ، 2022م ، ص87.

(54) Potts, T., Mesopotamia and the East an Archaeological and Historical Study of Foreign Relations CA, 3400-2300, Oxford, 1994, p164.

(55) تعد بيشة التي تقع على حافة هضبة نجد، من المناطق الغنية بالآثار التي يعود عمرها إلى أكثر من ألفي عام، لأنها كانت ممرًا للقوافل وتوالت الحضارات عليها، إذ تم اكتشاف كثير من الآثار، مثل تبالة والثنية والعبلاء غرب بيشة، وقريتي الخضراء والمعدن اللتين تبعدان

عـن محافظـة بيشـة 80 كيلومـترا جنوبًـا، وجـرى اكتشـاف بعـض المواقـع والقطـع الأثريـة والنقـوش القديمـة أيضًـا، مـا يـدل عـلى كثافـة السـكان منـذ العصـور الجاهليـة الأولى.

(56) ومـن المواقـع الأثريـة والتاريخيـة في بيشـة قـصر شـعلان، وقريـة الكليـات بتبالـة، وحوطـة مطويـة، وطريـق الفيـل، والطريـق التجـاري القديـم بالثنيـة، وغيرهـا مـن مواقـع الرسـوم والنقـوش والكتابات الصخريـة، حيـث تعـد مـن أهـم المواقـع الأثريـة في المحافظـة.

(57) ويزيـد عـدد المواقـع الأثريـة في محافظـة بيشـة عـن 203 مواقـع، منهـا 89 موقعًـا للرسـوم والنقـوش الصخريـة، تحتـوي عـلى 5090 رسـمة و931 نقشًـا كتابيًـا، تتصدرهـا النقـوش الإسـلامية بـ539 نصًـا يعـود تاريـخ معظمهـا إلى القـرن الأول الهجـري، ثـم 334 نصًـا تعـود للنقـوش الثموديـة، فنقـوش المسـند الجنـوبي بـ49 نصًـا، ثـم نقـوش الخـط النبطـي وعددهـا تسـعة نصـوص. للمزيـد راجـع حنان عبـد الهـادي القـاضي القحطـاني : واقـع وآفـاق زراعـة النخيـل وصناعـة التمـور في بيشـة ومـدى تنميتهـا بـين المعوقـات والحلـول ، مجلـة مركـز البحـوث الجغرافيـة والكارتوجرافيـة ، كليـة الآداب – جامعـة المنوفيـة ، عـدد32 ، 2021م ، ص509-460.

(58) هي إحدى مراكز محافظة بيشة حالياً ، تقع في شمال غرب المحافظ على مسافة 85 كيلًا.

(59) تقـع ضنـكان حاليـاً في بـلاد المنجحـة مـن تهامـة عسـير ، جنـوب غـرب الجزيـرة العربيـة ، إلى الـشرق مـن مدينـة القحمـة ، وموقعهـا يتوسـط منطقـة جبليـة ، وتحيـط بهـا سلاسـل مـن الجبـال الشـاهقة، أهمهـا: جبـال أثلـة ، وجبـال المسـيدرة. للمزيـد راجـع هاشـم سـعيد عـلي النعيمـي : معـدن ضنـكان، مجلـة اليمامـة للبحـث والترجمـة والنشر ، مـج18 ، عـدد8-7 ، 1404هــ/1983م ، ص523-517.

(60) ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، ج2 ،دار صادر ، بيروت ، 1955_1957م ، ص333.

(61) تقـع مديـن بالقـرب مـن مدينـة البـدع، وهـي مدينـة تابعـة لمنطقـة تبـوك الواقعـة في شـمال غـرب المملكـة العربيـة السـعودية، علـماً أنّهـا تبعـد عـن مدينـة تبـوك حـوالي 170كـم، وتقـع عـلى السـاحل الغـربي للبحـر الأحمـر بـين مدينـة ضبـا مـن الجنـوب، وخليـج العقبـة مـن الشـمال، في حـين أن مسـاكن أهلهـا قربيـة مـن مسـاكن قـوم صالـح في الحجـر، وهـي واقعـة بـين خطـي طـول 34-30 و 30 35- درجـة شـمالاً، وخطـي عـرض 28-00، و29-00 شرقـاً. للمزيـد راجـع هـاري سـانت جـون فيلبـي : أرض مديـن ، مكتبـة العبيـكان ، 2003م.

(62) محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 1988م ، ص123.

(63) تقـع مدينـة الحمضـة القديمـة عـلى بعـد نحـو 45 كـم جنـوب غـرب محافظـة تثليـث، وتبلـغ أبعـاد الموقـع نحـو (50 × 150م). تتكـون آثارهـا مـن مبـان طينيـة، وأطـلال لوحـدات سـكنية، وأبـراج مراقبـة مربعـة الشـكل تطـل عـلى وادي تثليـث، وجميـع هـذه البقايـا الأثريـة واقعـة فـوق ربـوة مرتفعـة عـن الأرض. للمزيـد راجـع فضـل عبـد الغنـي أحمـد المعايـن : تحليـل واقـع اسـتعمالات الأرض الزراعيـة للإنتـاج المحصـولي في محافظتـي أبهـا وتثليـث بمنطقـة عسـير – المملكـة العربيـة السـعودية ، مجلـة مركـز البحـوث الجغرافيـة والكارتوجرافيـة ، كليـة الآداب – جامعـة المنوفيـة ، عـدد32 ، 2021م ، ص439-407.

(64) بنـو سـليم قبيلـة عربيـة عدنانيـة قيسـية ، كانـوا ومـا زالـوا يقيمـون في الحجـاز ونجـد، وقـد هاجـرت بطـون منهـم إلى ليبيـا وتونـس، وبقيـت بطـون منهـم مـن فـرع بنـو الحـارث بـن بهثـة بـن سـليم في ديارهـم الأصليـة في الحجـاز مـا بـين مكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة خاصـة في محافظـة الكامـل وفي وادي سـتارة و وادي سـاية و وادي قديـد وفي حـرة بنـي سـليم عـلى طريـق الهجـرة النبويـة مـن مكـة المكرمـة إلى المدينـة المنـورة. للمزيـد راجـع محسـن شـذر الربيعـي : قبيلـة بنـي سُـليم ومكانتها في تاريـخ العـرب قبـل الإسـلام ، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة ، كليـة الآداب – جامعـة بغـداد ، 1423هـ/2002م.

(65) الحسـن بـن أحمـد الهمـداني : صفـة جزيـرة العـرب ، تحقيـق محمـد عـلي الأكـوع ، الريـاض ، 1974م، ص113 ؛ كـذا ص153.

(66) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1 ، ص193.

(67) . Nigel Groom , Frankincense and Myrrh , London Longman , 1981 , p69_70.

(68) . Diodorus , Siculus ., Library of History , Trans by Russel M. Geer and C.H. old father London Ioeb Classical , BK2 , 1979 , p49.

(69) . Strabo., The Geography of Strabo, Tans by H.L. Jones London, Loeb Classical Library, 1983, XVI,4:18.

(70) . pliny the Elder, Naturral History, “ROCKMAN, H., Trans, 1942” London, 1942, VI150

(71) . strabo: XVI.4:18.

(72) انظر الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص149.

(73) أ . جـي بريـل وآخـرون : موجـز دائـرة المعـارف الإسـلامية ، مـادة سـبأ ، ترجمـة إبراهيم زكي خورشـيد وآخـرون ، ج18 ، مركـز الشـارقة للإبـداع الفكري ، الشـارقة ، ط1 ، 1998م ، ص5520-5518.

(74) أجاثـار خيديـس الكنيـدي ، ترجمـة عبـد اللـه عبـد الرحمـن العبـد الجبـار والحسـن عبـد اللـه ، مرجـع سـابق ، ص48.

(75) بلينيـوس والجزيـرة العربيـة ، ترجمـة عبـد اللـه عبـد الرحمـن العبـد الجبـار و عـلي عبـد المجيـد ، دارة الملـك عبـد العزيـز ، الريـاض ، 2017م ، ص128.

(76) ربـرت هيلنـد : تاريـخ العـرب في جزيـرة العـرب مـن العـصر البرونـزي إلى صـدر الإسـلام 3200ق.م-630م ، ترجمـة عدنـان حسـن ، قدمـس للنـشر والتوزيـع سـوريا ، ط1 ، 2010م ، ص142.

(77) يزيـد إجـمالي أطـوال الطرقـات في المنجـم عـن 60 كلـم ، وقـد بلـغ إنتـاج الذهـب في العـام 2008م حـوالي 60,464 أونصـة ذهـب و 154,467 اونصـة فضـة و 922 طنـا مـن النحـاس و 937 طنـا مـن الزنـك و 252 طنـا مـن الرصـاص . للمزيـد راجـع تنيضيـب الفايـدي : مهـد الذهـب موطـن المعـدن النفيـس والتاريـخ العريـق ، دار المفـردات للنـشر والتوزيـع ، الريـاض ، 2020م .

(78) جواد علي : المرجع السابق ، ج1 ، ص193.

للمزيد راجع حسين صابر : نشأة رواسب الذهب في المملكة العربية السعودية وأهميتها في استكشاف الذهب واستغلاله ، مجلة علوم الأرض ، جامعة الملك عبد العزيز ، المجلد3 ، العدد1، 1410هـ/1990م.

هي صخور صلبة وقاسية نسبياً ، ترتكز عليها عادة صخور أقل صلابة ورواسب ، أو تربة ، وقد تقع صخور الأساس على بعد مئات الأمتار تحت سطح الأرض. للمزيد في هذا الموضوع راجع هالة عبد الله الشطفة : بيبلوجرافيا المكتبة الجيولوجية ، مراجعة سعاد أحمد عبده ، هيئة المساحة الجيولوجية والثروات المعدنية ، الإدارة العامة للمعلومات ، الجمهورية اليمنية، 2004م.

(79) هي إحدى عزل مديرية كشر في محافظة حجة اليمنية.

(80) هي إحدى قرى عزلة بني الحداد ، بمديرية حرض التابعة لمحافظة حجة.

(81) هي إحدى قرى عزلة بني منبة ، بمديرية يريم التابعة لمحافظة إب.

(82) في محافظة البرك ، التابعة لمنطقة عسير حالياً .

(83) للمزيد راجع حمد الجاسر : المعادن القديمة في بلاد العرب ، مجلة العرب ، ج11 ، السنة2 ، 1968م ، ص989 ؛ كذا راجع واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981م ، ص197-195؛ كذا راجع أحمد قائد بركات : المعادن في اليمن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، صنعاء ، ط1، 1996م ، ص104 ؛ كذا راجع رضوان الشرجبي : مقدمة تاريخية عن التعدين ، هيئة المساحة الجيولوجية والثروات المعدنية ، صنعاء ، 2001م ، ص21-6 وكذا ص88-66 ؛ كذا راجع أدولف جرومان : الثروة المعدنية والمناجم في بلاد اليمن ، ترجمة كامل الرشاحي ، مجلة الإكليل ، عدد39 ، 2011م ، ص74-72

(84) رضا عبد الجواد كمال رسلان : الذهب والفضة في العربية الجنوبية في ضوء المصادر الكلاسيكية، ضمن كتاب الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة ، جامعة الملك سعود ، مجلد1 ، 2012م ، ص155-153.

(85) سعيد فايز السعيد : حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية ، الجمعية التاريخية السعودية ، الرياض ، 2000م ، ص20-19.

(86) الحسن الهمداني :الجوهرتين العتيقتين المائعتين : الصفراء والبيضاء ، تحقيق كريستر نرتول ، ط2 ، وزارة الإعلام ، صنعاء ، 1985م ، ص122_124.

(87) خالد علي العنسي : القبر الملكي دراسة أثرية للقبر الملكي في العصيبية ، العالمية للطباعة والنشر ، صنعاء ، ط1 ، 2012م ، ص8 ؛ وكذا ص26 ؛ وكذا ص64-45.

(88) عبد الرحمن يوسف الجاويش : المرجع السابق ، ص97.

(89) علي وافي : المال والملكية العامة في الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ، سلسلة بحوث إسلامية ، ص 15.

(90) جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، مج1 ، الجزء4 ، ص46.

(91) للمزيد راجع الحافظ ابن رجب الحنبلي : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

(92) علي شفيق صالح : خفايا الذهب والأزمة الاقتصادية العالمية مع الإشارة للدور العربي ودول الخليج ، مكتبة القانون والاقتصاد ، الرياض ، ط1 ، 1435هـ/2014م ، ص81.

(93) للمزيد حول هذا الموضوع راجع عبد المجيد قطامش : الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراة ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، 1975م.

(94) سورة الأعراف : آية رقم 32.

(95) علي شفيق علي: المرجع السابق ، ص 55.

(96) الهام الصالحي: الذهب ، مجلة الفيصل ، العدد 202، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإنسانية ، 1993م ، ص 42.

(97) ابن منظور : لسان العرب ، ج13 ، ص228.

(98) جواد علي : المرجع السابق ، ج7 ، ص512.

(99) ابن منظور : لسان العرب ، ج4 ، ص399.

(100) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، ص372.

(101) ابن منظور : لسان العرب ، ج3 ، ص290.

(102) المصدر السابق ، ج4 ، ص390.

(103) المصدر السابق ، ج12 ، ص313.

(104) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، ص273.

(105) محمد فتحي عوض : الإنسان والثروات المعدنية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1990م ، ص107؛ كذا راجع Les cahiers de la fonderie , “les metaux , au fil de I,histoire” C . N . A . s , p10.

(106) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص125_129.

(107) عبد الله أحمد مكياش : نقوش عربية جنوبية دراسة مقارنة ، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغات – جامعة بغداد ، 2002م ، ص384.

(108) جاك ريكمانز ووالتر مولر ويوسف محمد عبد الله : نقوش خشبية قديمة من اليمن ، جامعة لوفان الكاثوليكية ، لوفان الجديدة – المعهد الشرقي ، 1994م ، ص43-42.

(109) الحسن الهمداني :الجوهرتين العتيقتين ، ص122_124.

(110) محمد عبد الله باسلامة : مدخل إلى المسكوكات اليمنية ، مجلة الإكليل ، السنة5 ، عدد1، 1987م ، ص98.

(111) صلاح سلطان عبده الحسيني : طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقابر موقع الحُصمة - شُقرة ، الجمعية السعودية للدراسات الآثارية الرياض ، 2013م ، ص344-342.

(112) يسمى عصر إنتاج القوت ، بدأ هذا العصر في حوالي 7500ق.م ، وانتهى في نحو 500ق.م. للمزيد راجع يوسف مختار الأمين : العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية : دراسة تقويمية ، مجلة أدوماتو ، الرياض ، 1424هـ/2003م ، ص7_40

(113) إبراهيم مضوي بابكر : علم المعادن ، الكتاب الثاني ، شركة مطابع العملة السودانية المحدودة ، الخرطوم ، ط1 ، 2004م ، ص5.

(114) Ministry of Energy., Mineral Resources of Saudi Arabia, Ministry of Energy, Industry and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources, Saudi Arabia, 2016, p240.

(115) . De Jesus, Dardeniz., Archaeological and Geological, p239.

(116) مانويل جوميت مورينو : الفن الإسلامي في إسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والسيد عبدالعزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف ، والترجمة ، القاهرة ، 1968م ، ص402.

(117) أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري : اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي ، تحقيق محمد سعيد المولوي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1429هـ/2008م، ص364.

(118) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص219.

(119) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ص193.

(120) للمزيد راجع برنارد كارا دوفو : ابن سينا ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2017م .

(121) أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص257 وما بعدها.

(122) وفيقة أحمد سعيد وصالح محروس محمد : الطبيب اسحق بن عمران مؤسس مدرسة طب القيروان ودوره في تأسيس الطب الأوروبي الحديث ، المجلد7 ، عدد2 ، 2023م ، ص249-336

(123) الحسن الهمداني :الجوهرتين العتيقتين ، ص196.

(124) الهيئة العامة للصناعات الحرفية – الحرف العمانية دراسة توثيقية ، الهيئة العامة للصناعات الحرفية ، عُمان ، ط1 ، 2009م ، ص187.

(125) الحسن الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص154-148.

(126) أحمد زكي حلمي : أساسيات تكنولوجيا التصنيع تشكيل المعادن بدون قطع ، سلسلة المواد الفنية والهندسية ، الدار المصرية للعلوم ، القاهرة ، ط2 ، 2008م ، ص39.

(127) . Hauptmann, : Archaeometallurgy – Materials, p336.

(128) الحسن الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص247-234.

(129) رعد سالم المعماري : الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 2006م ، ص121.

(130) أحمد زكي حلمي : المرجع السابق ، ص39.

(131) الحسن الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص148.

(132) المصدر السابق ، ص149.

(133) المصدر السابق ، ص149.

(134) مارتن ليفي : الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين ، ترجمة محمود فياض المياحي وآخرون ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1980م ، ص247.

(135) . Meyers, P.:"Production of Silver in Antiquity: Ore Types Identified based upon Elemental Compositions of Ancient Silver Artifacts", In: Lambertus ZV (ed.) Patterns and Process. Festschr Honor of EV Sayre, Smiths Center for Materials Res and Educ, Suitland, MD. 2003, p271-288.

(136) عبد الرحمن يوسف الجاويش : المرجع السابق ، ص108-107.

(137) الفريد لوكاس : المواد والصناعات في مصر القديمة ، ترجمة زكي اسكندر و زكريا غنيم ، القاهرة ، 1991م ، ص387.

(138) ومن فوائد استخدام الفضة على صحة الإنسان طرد البلغم ومن قلاع الفم، وتطهير العين، والتخلص من رائحة الفم الكريهة، ومشكلات التعفن في المعدة والأمعاء، وخفقان القلب، وعسر التبول، والبواسير، والأمراض الجلدية، والحروق، وحكة الجلد، ولتقوية الجهاز المناعي، وكذلك الجهاز العصبي ، ويستخدم مسحوق الفضة الناعم لعلاج الخفقان، والحكة والجرب، وعسر التبول. كما يستخدم طلاء الفضة عندما يمزج بالزئبق لعلاج البواسير على هيئة مرهم، كما يستخدم محلول الفضة المائي (نترات الفضية) الذي يوجد في أمبولات للإصابة بقلاع الفم وغيرها. للمزيد راجع عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج ويعرف بالمادة الطبية لأحمد أفندي بن حسين علي الرشيدي ، ج3 ، دار الطباعة الخديوية ، القاهرة ، 1866م.

(139) (الآيتان 15 و16).

(140) سورة آل عمران، الآية 14.

(141) سورة التوبة، الآية 34.

(142) سورة الزخرف، الآية33.

(143) محمد أحمد إسماعيل المقدم : تفسير القرآن الكريم ، ج103 ، مؤسسة خزائن الرحمن العلمية ، سورة الزخرف ، ص2.

(144) حمود عبد الله حمود التويجري : الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض، ط1 ، 1409هـ ، ص31.

(145) أحمد حطية : شرح رياض الصالحين ، ج19 ، موقع الشبكة الإسلامية ، ص12.

(146) محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422هـ.

(147) تقع مقاطعة الدوادمي قرب الحافة الشرقية للدرع العربي على بعد 650 كيلومترا شمال شرق جدة وحوالي 300 كيلومتر غرب مدينة الرياض ويعتقد أنها من المناطق الأغنى بالفضة على مستوى الجزيرة العربية . للمزيد راجع سعد محمد سعد الطخيس : الدوادمي ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، وكالة شؤون الشباب ، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية ، المملكة العربية السعودية ، سلسلة هذه بلادنا ، ط1 ، 1412هـ/1992م.

(148) يقع مكمن حجلان في الركن الشمالي الشرقي من مربع حلابان ويبعد بحوالي 40 كيلومتر غرب قرية القويعية حالياً ، وعلى بعد 30 كيلو متر شمال غرب الأمار. جرت أعمال حفر تعود إلى عام 1985 في الموقع ولكن المحتوى من الفضة لم يزد على 60 جراماً في الطن ولا يوجد دراسات تدل على إمكانية الوقوف على كمية الاحتياطي من الخام. للمزيد راجع محمد عبد الله الصالح : الخريطة الجيوموفولوجية لحوض وادي القويعية بالمملكة العربية السعودية ، مجلة كلية الآداب – جامعة الملك سعود ، مج13 ، عدد1 ، 1426هـ/2001م ، ص196-167

(149) يقع مكمن أم حديد في الجزء الشرقي من الدرع العربي، ويبعد حوالي 120 كيلو متر جنوب قرية حلابان وحوالي 359 كيلو متر جنوب غرب مدينة الرياض. تعرف الباحثون على كميات من الخام تصل إلى 458 ألف طن بمتوسط 3.54 جراما في الطن فضة، وسجل الذهب أيضاً ولكن بقيمة أقل من نصف جرام في الطن. للمزيد راجع أحمد محمود الشنطي : جيولوجية الدرع العربي ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز – جدة ، ط1 ، 1413هـ/1993.

(150) يمثل مكمن وادي الغول أحد المكامن التي تم اكتشافها عام 1985 خلال برنامج تنقيب عن الذهب في الصخور البركانية الرسوبية في متكون القطن في منطقة الغريف بمحافظة الخرمة بمنطقة مكة المكرمة ، وسُجلت قيم عالية من الفضة تصل إلى 2295 جراما في الطن، سجلت عينات سطحية قاطعة بواسطة 13 حفر تصل إلى 52 متر عمق وتتراوح نسبة الفضة ما بين 60-2 جرام في الطن. للمزيد راجع عبد الله سعد الحُضبي السبيعي : الخُرمة ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، وكالة شؤون الشباب ، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية ، المملكة العربية السعودية ، سلسلة هذه بلادنا ، ط1 ، 1994م.

(151) يقع منجم الصخيبرات في منطقة القصيم ، وعلى بعد 750كم شمال شرق مدينة جدة، و30 كم جنوب طريق المدينة القصيم السريع ، ويبعد عن مدينة بريدة حوالي 280 كم. للمزيد راجع تقرير مجلس الإدارة للعام المالي 1432هـ1433-هـ ، شركة التعدين العربية السعودية (معادن) ، 2011م .

(152) يقع في منطقة الرياض ، ويبعد 195 كم إلى جنوب غرب مدينة الرياض حالياً.

(153) يقع منجم الحجار في منطقة عسير في الجنوب الغربي ، على بعد 710 كم إلى الجنوب الشرقي من الرياض ، المنجم يقوم بإنتاج الذهب والفضة والنحاس والزنك. للمزيد راجع التعدين في عسير ، سلسلة تقارير شهرية ترصد واقع القطاعات الاقتصادية بمنطقة عسير، التقرير الأول ، 2019م ، يصدر عن مركز البحوث والمعلومات بغرفة أبها ، المملكة العربية السعودية.

(154) يقع في السفح الشمالي لجبل صلب في شعب يسمى المجني من أرض نهم ، تبلغ مساحة المنجم حوالي عشرة هكتارات. مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، ج5 ، مادة الرض.

(155) محمد عبد الله باسلامة : شبام الغراس دراسة تاريخية أثرية ، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء ، ط1 ، 1990م ، ص13.

(156) فلوريان تيريجول : إنتاج الفضة في اليمن في العصور الوسطى – منجم الفضة في جبلي ، كتاب اليمن موطن الآثار ، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، باريس ، 2020م ، ص281-375.

(157) Abdulmageed, A.R.: "Geologic Survey and Mineral Exploration Activities in the Republic of Yemen", Proceedings of the 13th International Arab Mineral Resources Conference and Its Accompanying Exhibition, Marrakech, Morocco, April 28-30, 2014: Rabat, Morocco, Arab Industrial Development and Mining Organization, 2014, p910.

(158) هشام عبد العزيز ناشر : التجارة بين شبه الجزيرة وسورية في الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة عدن ، 2003م ، ص129-128.

(159) Les cahiers de la fonderie , op . cit , p10.

(160) . الفريد لوكاس : المرجع السابق ، ص327.

(161) يُعتبر النحاس من المعادن الأساسية الضرورية لصحة العظام و الأعصاب و العضلات ، و على الرغم أن نقص النحاس نادر، لكن في حال حدوثه قد يُلحق أضرار عديدة للجسم، والنحاس ضروري لإنتاج مادة الهيموغلوبين، و خلايا كريات الدم الحمراء ، كما يلعب دوراً هاماً في عمليات الاستقلاب، و الحفاظ على صحة الأنسجة الضامة ، كما يُعتبر النحاس ضرورياً للحفاظ على مستويات الطاقة، و الوقاية من الشيخوخة المبكرة و للحفاظ على توازن الهرمونات ، ولا يستطيع الجسم تصنيع النحاس ، لذلك يجب الحصول عليه من الأطعمة المتناولة ، و على اعتبار أن الجسم يقوم باستهلاك النحاس بشكل متكرر ، إذاً فمن الضروري الاعتماد على تناول الأطعمة الغنية بالنحاس ، و الذي يتوفر في العديد من الأطعمة ، حيث يتواجد في اللحوم و المأكولات البحرية و المكسرات و البذور مثل بذور السمسم و بذور الشيا، و الحبوب الكاملة، و الحمص و الكاكاو و الأفوكادو و الزبيب ، ويقوم الجسم بتخزين معدن النحاس بشكل أساسي في العظام و العضلات ، و يعمل الكبد على تنظيم كمية النحاس في

مجرى الدم ، كما يمكن استخدامه لعلاج بعض المشاكل الصحية. للمزيد راجع محمد عبد الرحمن الوكيل : أهمية النحاس لصحة الإنسان ، أغسطس 2009م .http://www.organicfacts net/health-benefits/minerals/health-benefits-of-minerals.html

(162) محمد عز الدين حلمي : علم المعادن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1994م ، ص269-267.

(163) Hodges, H., Artifacts, An Introduction to Early materials and Technology, Canada, 1988, pp.68-69.

(164) عبد الناصر الزهراني ومحمد أبو الفتوح غنيم : ترميم الآثار المعدنية وصيانتها ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع ، 1434هـ/2012م ، ص107-106.

(165) منى كامل العسوي : المشغولات المعدنية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 2008م ، ص90-89.

(166) Geza Fehervari, Islamic Metal Work of the Fifteenth Century in the Keir Collection, Faber and Faber, London 1976, p21.

(167) بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1987م ، ص882.

(168) تُطلق هذه التسمية على سلسلة التلال ، التي شكلت فيما مضى ما يعرف حالياً بشرق العاصمة عمان ، والتي كانت أساس العاصمة حتى بداية ثمانينيات القرن العشرين ، حين بدأت العاصمة بالتوسع بشكل كبير نحو الغرب ، وهذه الجبال هي : القصور، الجوفة، التاج، النزهة، النصر، النظيف، الأخضر ، ويوجد في منطقة جبل القصور (القصور الملكية العامرة) : قصري رغدان العامر وبسمان الزاهر ، أما بخصوص مناخ تلك المناطق ، فيعتمد ذلك على ارتفاع المنطقة ، إذ يبلغ مُعدل ارتفاع تلك الجبال قُرابة 825 متراً عن سطح البحر ، وتمتد من ارتفاع 750 متراً وحتى 870 متراً ، ويبلغ مُجموع الأمطار السنوي في تلك المناطق قرابة الـ375 ملم ، أما مُعدل درجة الحرارة العظمى في شهر آب فيبلغ 31 مئوية ، وفي شهر كانون ثانٍ يبلغ 11 مئوية لنفس الارتفاع. للمزيد راجع الموسوعة العُمانية ج3 ، وزارة التراث والثقافة، مسقط ، 2013م ، ص896.

(169) . De Jesus Prentiss , S . etal "Preliminary Report of the Ancient Mining survey 1981" , Atlal Riyadh , DASMA 1982 , Vol 6 , p79.

(170) يقع على بعد 75 كم شمال غرب نجران.

(171) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص236 ؛ كذا ص364.

(172) تقع منطقة سوار على بعد حوالي 80 كم شمال غرب العاصمة صنعاء.

(173) تقع في مدينة البدع التابعة لمدينة تبوك حالياً ، وهي مدينة أثرية تحتوي على بيوت ومعابد أثرية منحوتة داخل الصخور والجبال ، وهي شبيهة بآثار مدينة الحِجر أي مدائن صالح ، حيث يرى بعض من علماء الآثار أنّ هذه المدينة تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد،

وتسمّى المدينة بأسماء أخرى مثل مدائن شعيب ، أو مغاير شعيب ، وقد ذُكرت المدينة في الكتب السماويّة مثل التوراة ، والقرآن الكريم ، وذكر أيضاً أنّ سيدنا موسى عليه السلام لجأ إليهم وصاهرهم ، وذكر أنّ الله سبحانه وتعالى بعث إلى أهل مدين نبياً منهم وهو سيدنا شعيب ، ورفض قوم مديَن دعوة سيّدنا شعيب أن يؤمنوا بالله وحده ولا يشركوا به ، وأن يتركوا تجارة الحرام والغش ، وبعدها ذهب إليها سيّدنا موسى بعد هروبه من قوم فرعون. للمزيد راجع عدنان العطار : مدين التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية – أرض الحويطات وجذام وبني عطية – أرض النبي شعيب (يثرو) وصلات مدين بمصر وسيناء وسورية ، سلسلة تاريخ الأرض والإنسان العربي ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 2009م.

(174) رشيد سالم الناضوري : حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر» ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1404هـ ، ص73.

(175) يبعد 120 كم جنوب شرقي المدينة المنورة. يبلغ ارتفاعه 1,073 م (3,520 قدم).

(176) للمزيد راجع التعدين والمناجم القديمة في المملكة العربية السعودية ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، المملكة العربية السعودية ، 1420هـ/1999م.

(177) سورة الكهف : آية رقم 96.

(178) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، ص303.

(179) Wilhem Pelkan , les sept metaux , sans ed , p16.

(180) علي الطاهر المحمودي وعلي محمد أبو صلوعة ومحمد أبو الجام : قياس كمية الرصاص الذائب من الأواني الخزفية بالسوق الليبي ومدى ملاءمتها للمواصفات القياسية العالمية ، مجلية كلية التربية – جامعة الزاوية ، ليبيا ، العدد الخامس ، 2016م ، ص280.

(181) الكتاب المقدس ، سفر حزقيال (12:27) ، وكذلك سفر التكوين (24:19) .

(182) للرصاص تأثيرات حادة ومزمنة على صحة الإنسان ، وهو مادة سامة لأجهزة متعددة في الجسم ، يمكن أن تكون لها تأثيرات عصبية وقلبية وعائية وكلوية ومعدية معوية ودموية وإنجابية ، ويعتمد نوع التأثيرات وحدّتها على مستوى التعرض ومدته وتوقيته ، ويتراكم الرصاص في العظام ، وقد يشكل مصدراً للتعرض في وقت لاحق من العمر ، وتكون مركبات الرصاص العضوية ، مثل مركبات الرصاص الثلاثية الألكيل ومركبات الرصاص الرباعية الألكيل، أكثر سميةً من الأشكال غير العضوية للرصاص ، أما في البيئة فإن الرصاص مادة سامة للنباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة ، ويتراكم بيولوجياً في معظم الكائنات ، وفي المياه السطحية قُدِّرت أوقات مكوث الجسيمات البيولوجية المحتوية على الرصاص بما يصل إلى سنتين ، ورغم أن الرصاص ليس له قابلية عالية للحركة في التربة ، فإنه قد يدخل إلى المياه السطحية كنتيجة لتفتّت جسيمات التربة المحتوية على الرصاص ، ودفن النفايات المحتوية

على منتجات الرصاص. للمزيد راجع بشرى خالد حسن : قياس التلوث بالرصاص على الهواء والإنسان والتربة والنبات في ناحية الدوره ببغداد ، مجلة التقني ، الجامعة التقنية الوسطى ، بغداد ، المجلد 25 ، عدد2 ، 2012م.

(183) Dossier enseignant "le fer et 1 , acier . Voyage en industrie" cap science , 2001 , p18.

(184) جواد علي : المرجع السابق ، ج7 ، ص516.

(185) للمزيد راجع تطور الاستكشاف المعدني في المملكة ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، وكالة الوزارة للثروة المعدنية ، المملكة العربية السعودية ، 1419هـ/1999م .

(186) . Fazili IS, Masoodi M, Ahamad S, Jamal A, Khan JS, Abdin MZ. The biosynthesis of the oil and its associated factors in the development of mustard seed (Brassica juncea L.) is also affected by sulfur fertilization. J Trim Sci Biotech (2010), 13: pp39-46.

كذا راجع مجلة عالم الذرة ، هيئة الطاقة الذرية السورية ، عدد 136 ، (الكبريت) ، دمشق ، 2011م ، ص57-52

(187) لمعرفة المزيد عن هذا الشاعر راجع باري بي باول : هوميروس ، ترجمة محمد حامد درويش ، مراجعة شيماء طه الريدي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2019م.

(188) . Evans A Jr, The effects of cracking natural carbon and sulphates on aluminum packing in wood pellets. Soil Soc Am J, 1986, 50: pp1576-1578.

(189) كذا راجع للمزيد منير بيطار وأحمد كاسر إبراهيم : الصناعات الكيميائية اللاعضوية ، منشورات جامعة البعث ، 1984م.

(190) جواد علي : المرجع السابق ، ج7 ، ص517.

(191) النطرون عبارة عن مادة صلبة بيضاء إلى عديمة اللون عندما تكون نقية ، والتي تصبح رمادية اللون إلى صفراء عند وجود الشوائب ، توجد ترسبات النطرون أحياناً في أحواض البحيرات المالحة ، التي تنتشر في المناطق الجافة القاحلة ، وهو معدن طبيعي ، يتكون من مزيج من ملح كربونات الصوديوم عشاري الهيدرات ($Na_2CO_3 \cdot 10H_2O$) بشكل رئيسي مع بيكربونات الصوديوم [$NaHCO_3$](1)، بالإضافة إلى كميات صغيرة من كلوريد الصوديوم وكبريتات الصوديوم. للمزيد راجع قاسم الفرج : تأثير الكبريت مع المادة العضوية في تحسين بعض خصائص التربة الكلسية ، المجلة السورية للبحوث الزراعية ، مج8 ، عدد6 ، 2021م ، ص261-252.

(192) محمد عامر الأخرس : الكبريت مركباته والصناعات القائمة عليه ، الجمعية الكيميائية السورية ، جامعة البعث ، كلية العلوم ، قسم الكيمياء ، ص5.

(193) هي مدينة ساحلية تقع على خليج العقبة في منطقة تبوك بالمملكة العربية السعودية، بين مدينة حقل والشيخ حميد ، وتبعد قرية مقنا أو كما تسمى بمقنا عن محافظة البدع

ما يقارب 28 كم ، وتبعد عن تبوك 235 كم. للمزيد راجع موسى مصطفى العبيدان ومحمد عبد الله الزعاريـر: تاريخ منطقة تبوك عبر العصور ، ج1 ، المجلد3 ، تبوك قبل الإسلام ، جامعة تبوك ، ط1 ، 1438هـ/2017م.

(194) هي محافظة تتبع لمنطقة الرياض حالياً ، وتقع غرب المدينة ، ويحدها من الشمال محافظة الدوادمي ومحافظة مرات ، ومن الجنوب محافظة وادي الدواسر ، ومن الشرق محافظة الحريق ، ومحافظة المزاحمية ومحافظة الأفلاج ، ومن الغرب محافظة عفيف ، وتبلغ مساحتها 95 ألف كم2 ، وتعتبر من أكبر محافظات المملكة العربية السعودية ، وذلك لكثرة القرى والهجر التابعة لها ، وتضم المحافظة العديد من الادارات الحكومية والكليات والمعاهد الصحية والتقنية والاجتماعية. للمزيد راجع عبد العزيز سعود البليهي : القويعية ديرتي ، ط1، 1438هـ/2017م.

(195) هو أشد أنواع الصخور أو أكثرها مقاومة ، والتي تعلو فوق الصخور الأضعف أو الأقل مقاومة ، ومن الأنواع الشائعة لصخور الغطاء ، الحجر الرملي والصخور فوق المافية ، وفي عمليات مثل تراجع الانحدار ، تتحكم صخور الغطاء في معدل تعرية الانحدار ، وكما تُقطع الصخور اللينة ، يتم جز صخور الغطاء بشكل دوري. للمزيد راجع محمود عبد الغني عثمان مشرف : المعجم الجيولوجي المصور ، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ، المجلد3 ، ص-888 1386.

هو معدن ينتمي إلى مجموعة معادن الكبريتيدات ، ويشتهر باسم الذهب الكاذب ، لكون كثير من الذين يبحثون عن الذهب يخلطون بين الذهب والبيريت ، لتشابهما في اللون والشكل تقريبا ، ويدخل معدن البيريت في تركيب بعض الصخور الرسوبية ، ويتميز بأنه أصفر اللون وله بريق معدني ، وتتبع بلوراته نظام بلوري مكعب ، حيث أن لها ثلاثة محاور متساوية في الطول ومتعامدة على بعضها البعض ، واسم (البيريت) جاء من اللغة اليونانية، ويعني (حجر النار) ، وذلك لأنه إذا ما احتكت قطعتان من البيريت سوف تولد شرار . للمزيد راجع محمد رجائي جودة الطحلاوي : المعادن والصخور الضارة بالبيئة ، مجلة أسيوط للدراسات البيئية ، عدد31 ، 2007م ، ص117-101.

(196) ولاء علي عبد الرحمن : دراسة لغوية حضارية لأهمية الملح واستخداماته من خلال الوثائق القبطية ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، عدد23 ، 2020م ، ص7.

(197) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج1 ، تحقيق مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8 ، 1426هـ/2005م ، ص767.

(198) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج16 ، ص33.

(199) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : الحاوي في الطب ، ج3 ، اعتنى به هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ/2002م ، ص528.

(200) المصدر السابق ، ج5 ، ص307.

(201) شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم : الطب النبوي ، ج1 ، دار الهلال ، بيروت ، ص301.

(202) ولاء علي عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص9.

(203) مارك كيرلانسكي : تاريخ الملح في العالم ، ترجمة أحمد حسن مغربي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1426هـ/2005م ، ص8.

(204) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده : المخصص ، ج4 ، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص74.

(205) محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، ج5 ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2001م ، ص67.

(206) المصدر السابق ، ج5 ، ص65.

(207) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج7 ، ص380.

(208) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكبري ابن بطة : إبطال الحيل ، ج1 ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1403هـ ، ص34.

(209) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج1 ، شركة دار الأرقم ، بيروت ، ط1 ، 1420هـ ، ص55.

(210) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ، ج1 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1987م ، ص74.

(211) مارك كيرلانسكي : المرجع السابق ، ص12.

(212) أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري : رسالة الصاهل والشاحج ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، ط2 ، 1404هـ/1984م ، ص396.

(213) . Mohamed Nafees and Others, Analysis of rock and sea salt for various Essential and inorganic elements, (January, 2013), Peshawar university, Pakistan, conference paper, p.9.

(214) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج16 ، ص33.

(215) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص300_301.

(216) المرجع السابق : ص155 ؛ وكذا ص201.

(217) علي عبد الوهاب شاهين : دراسات في جغرافية البحار والمحيطات ، جامعة بيروت ، 1974م ، ص125.

(218) حسن أبو الخير سيف : جيومورفولوجية السبخات في منخفض الواحات البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بنها ، 2014م ، ص19.

(219) نصر السيد نصر : جغرافية مصر الزراعية دراسة كمية كارتوجرافية ، القاهرة ، 1988م ، ص111-110.

(220) لينا الياس جبور : دراسة تأثير شروط التخزين والتصنيع في محتوى اليود في ملح الطعام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الصيدلة – جامعة دمشق ، 2016م ، ص18.

(221) كتب «هومير» و«تاسيت» و«بليني» عن الملح وأشادوا بخصائصه العلاجية ، وتحدثوا عن الحروب التي نشبت في سبيل الحصول على مصادر الملح ، وذكر بليني فوائد الملح في معالجة لسع الثعبان والصداع والخناق والدمامل واليرقان ، وفي رأي هيرودوت ان أول بلد عرف الملح هو ليبيا ، وكانت المنازل حينذاك تبنى بصخور الملح. للمزيد حول هذا الموضوع راجع حليمة بن علي وصفية عبداوي : مناجم الملح في الصحراء ودورها في ازدهار تجارة الحواضر ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ – تخصص تاريخ إفريقيا ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية ، جامعة أدرار - الجزائر ، 2019م.

(222) عبد الله بن ربيعان : تاريخ النقود من الملح إلى البطاقات البلاستيكية ، مجلة الدبلوماسي، معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية ، عدد56 ، 2011م ، ص28-27.

(223) سورة الفرقان ، آية رقم 53.

(224) سورة فاطر ، آية رقم 12.

(225) سنن ابن ماجه ، ج2 ، كتاب الأطعمة ، باب الملح ، ص1102.

(226) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار : البحر الزخار ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط1 ، 1988م ، حديث رقم 4000.

(227) 227 () . أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، ج3 ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص1211.

(228) أحمد بن عبد الله الأصفهاني : الطب النبوي ، ج2 ، باب لدوغ الهوام – حديث رقم 572، تحقيق مصطفى خضر ، دار ابن حزم ، ط1 ، 2006م ، ص552.

(229) هربت ريد : الفن والصناعة أسس التصميم الصناعي ، ترجمة فتح الباب عبدالحميد ومحمد محمود يوسف ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1947م ، ص89. الهيماتيت هو عبارة عن أكسيد الحديد Fe203 الذي يحتوي على نسبة 70 % من الحديد ، ويوجد في ألوان متعددة، تتراوح ما بين الأحمر إلى اللون الرمادي أو الأسود ، حسب ما يوجد به من شوائب ، ويوجد في أحجام مختلفة ما بين كتل ضخمة إلى مسحوق ، والمغنيتيت هو خام الحديد ، ورمزه الكيميائي Fe304 ويحتوي على نسبة 72,4 % من الحديد ، لونه أسود ذو بريق ولمعان ، كما يعد من أنقى خامات الحديد وهو ذو مغناطيسية عالية . عمر حماد علي : طينة التدريع الإشعاعي باستخدام رمل الباريت والهيماتيت ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الأساسية، المجلد31 ، العدد2 ، 2015م ، ص322-309.

(230) خالد فائق العبيدي : تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1424هـ/2003م ، ص173.

(231) محمد العثيمين : تفسير الحجرات – الحديد ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2004م، ص223.

(232) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص364.

(233) للمزيد راجع ماهر عبد الله دبوان الوجيه : السيف اليمني القديم دراسة تطبيقية لنماذج من القطع الأثرية المعروضة ضمن مقتنيات المتاحف اليمنية ، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية ، مجلد2 ، عدد2 ، 2023م ، ص427-371.

(234) م.ب بيتروفسكي : اليمن قبل الاسلام ، ترجمة محمد الشعيبي ، دار العودة ، بيروت ، ط1، 1987م ، ص111.

(235) أبو منصور عبدالملك محمد إسماعيل الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ص535.

(236) محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ج12 ، تعليق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1988م ، ص238.

(237) محمود شاكر الآلوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج3 ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1924م ، ص400.

(238) رانية عبد الظاهر نوايا : عنصر الحديد وجوده ومركباته واستخداماته ، جامعة البعث السورية ، 2010م ، ص13.

(239) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 1997م ، ص445.

(240) رانية عبد الظاهر نوايا : المرجع السابق ، ص27.

(241) سورة الحديد : آية رقم 25.

(242) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج4 ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ ، ص231.

(243) سورة الكهف : آية رقم 96.

(244) محمد عز الدهشان : الفلزات غير الحديدية وسبائكها ، ط1 ، 1997م ، ص4.

(245) Wilhem Pelkan , les sept metaux , s . d , p27.

(246) سليم لاوي : المعادن وأول المستعمل منها في هذه البلاد ، مجلة سومر ، مجموعة2 ، ج1، 1946م ، ص93.

(247) محمد حسين جودي : المرجع السابق ، ص18.

(248) الفريد لوكاس : المرجع السابق ، ص319.

(249) وليد محمود الجارد : العجلة وصناعة المعادن – العراق في موكب الحضارة – أصالة وتأثير، ج1 ، بغداد ، 1988م ، ص98.

(250) الفريد لوكاس : المرجع السابق ، ص352.

(251) . Les cahiers de la fonderie , op . cit , p19.

(252) عبد الناصر الزهراني ومحمد أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص110-108.

(253) علي زين العابدين : المصاغ الشعبي في مصر ، الهيئة المصرية العامة للشعب ، 1974م ، ص221.

(254) السيد محمود البنا : علاج وصيانة بعض القطع البرونزية المكتشفة في حفائر كلية الآثار بالمطرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم ترميم الآثار – كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، 1987م ، ص17.

(255) حسين أبو بكر العيدروس : أثر المدرسة الاغريقية الفنية في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن أنموذجاً – دراسة لنماذج من التماثيل البرونزية في المتاحف) ، في الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة – التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة ، المجلد الأول ، الرياض، 1432هـ/2012م ، ص73.

(256) عزة علي عقيل : البرونز في اليمن القديم ، ج1 ، التقنية – التماثيل الزينية المعمارية ، الصندوق الاجتماعي للتنمية ، صنعاء ، 2010م ، ص32.

(257) للمزيد عن هذه الصخور راجع عماد الدين أفندي : أطلس الصخور والمعادن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2014م ، ص95-92.

(258) تقع منطقة جبل صلب على بعد حوالي 110 كم شمال شرق العاصمة صنعاء ، ويمكن الوصول إلى المنطقة عن طريق خط الإسفلت صنعاء – مأرب لمسافة 92 كم ، ثم الاتجاه إلى اليمين عبر طريق مشقوقة لمسافة 18 كم إلى الموقع ، ويبلغ ارتفاع المنطقة عن مستوى سطح البحر حوالي 2000 متر . للمزيد راجع رينزو مانزوني : اليمن – رحلة إلى صنعاء 1878-1877م، ترجمة ماسيمو خير الله ، مراجعة محمد لطف غالب ، ط1 ، 2011م ، الصندوق الاجتماعي للتنمية ، الجمهورية اليمنية – صنعاء.

(259) كريم محمد عبد المتعال قدال : تطور تقنية المعادن في فن النحت وأثره على التشكيل، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية ، 1998م ، ص28.

(260) صلاح سالم عبد العزيز : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ، القاهرة ، 1999م ، ص22.

(261) المرجع السابق ، ص27.

(262)

Kinsawi A et . al , “Preliminary reports on the mining Survey North West Hijaz , 1982” Atlal 1983 , Vol . 7 , p77_78.

(263) Weisgeber , G . “Pattren of early Islamic Metallurgy” PSAS , 1980 , Vol , 10 , p116.

(264) Weisgeber , G . Op . cit , p116.

(265) . De Jesus Prentiss , S . etal “Preliminary Report of the Ancient Mining survey 1981” Atlal Riyadh , DASMA 1982 , Vol 6 , p 72.

(266) Weisgeber , G . Op . cit , p117.

(267) Kisnawi , A . Op . cit , p . 77

(268) Kisnawi , A . et . al Op . cit , p . 77_78.

(269) نورة النعيم : المرجع السابق ، ص170.

(270) للمزيد راجع نصر الدين بن طيب : تاريخ الفن من العصر الحجري إلى الفن الغوطي، منشورات الريشة الحرة ، 2008م ؛ راجع شعبان عبدالعزيز خليفة : دراسة في أصول النظرية البيلوجرافية وتطبيقاتها ، الدار المصرية اللبنانية ، 1998م ؛ راجع Daniel D , materiaux analogue archeologique et corrosion , Andra Agence nationale pour la gestion des dechets radio actifs.

(271) نورة النعيم : المرجع السابق ، ص199.

(272) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض ، الرياض ، 1982م ، ص28.

(273) عبدالرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص25_26.

(274) Jamme . Albert , Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib) Baltimore , Johns Hopkins , 1962 , p 245.

(275) نورة النعيم : المرجع السابق ، ص172.

(276) Strabo , BK 16 , p 349 .

(277) Doe B , Monuments of Southern Arabia , London Falcon Olender , 1984 , p199.

(278) Van Beek , Gus ., "Hajar Bin Humeid , Baltimore Johns Hopkins , 1967 , p248.

(279) Hammond , Philp . , The Nabatadean , Their History Culture and Archaeology , Gothenbury , Sweden , Paul Astroms Forlag 1973 , p71_72.

(280) نورة النعيم : المرجع السابق ، ص173.

(281) المرجع السابق : ص173.

(282) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص154 حاشية 2 .

(283) . Beeston , A . f . 1 "Warfare in Ancient South Arabia" Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy : Fasc 3 london . Luzac Co . 1976 , p18 .

(284) . Doe B , Monuments of Southern Arabia , p103.

(285) Geoffrey Bibby , Looking for Dilmun , Middlesex Englan , Penquin Book 4th Edition 1984 , 337.

(286) خليل فياض الفياض : التجارة العربية ومراكزها في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1437هـ/2016م ، ص129.

(287) نورة النعيم : المرجع السابق ، ص174.

(288) المرجع السابق : ص174.

(289) المرجع السابق : ص176.

(290) محمد أحمد زهران : فنون وأشغال المعادن والتحف ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، 1965م ، ص18.

(291) محمد حسين جودي : فنون وأشغال المعادن ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2007م، ص20.

(292) Camps F , Bijoux berberes d,Algerie , edisud France , 1990 , p30.

(293) . محمد أحمد زهران : المرجع السابق ، ص18.

(294) .Camps F , op . cit , p30 .

(295) . محمد نورية : صناعة الحلي الفضية للقبائل الكبرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، 2002م ، ص71.

(296) محمد أحمد زهران : المرجع السابق ، ص35.

(297) . Camps F , op . cit , p30.

(298) عبد الله بن إبراهيم العمير : الروابط الفنية بين المعادن الإسلامية والمعادن التقليدية في المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1997م ، ص22.

(299) محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج3 ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1982م ، ص404.

(300) عبد المجيد أبو تراب : أسرار المهن تاريخياً وحاضراً ، مطابع الجهاد ، دمشق ، 1993م، ص307.

(301) سندس عبد الله الزير : الحلي المعدنية المكتشفة في موقع الربذة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الآثار – كلية السياحة والآثار ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 2015م ، ص39.

(302) أنور محمود عبد الواحد : طرق تشكيل المعادن ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، 1967م، ص96.

(303) عبد العزيز إبراهيم العُمري : الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صل الله عليه وسلم ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، الدوحة ، 1985م ، ص278.

(304) علي زين العابدين : فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1981م ، ص301.

(305) محمد محمود يوسف ومحمد وجيه عاشور : أساسيات التصميم في فنون المعادن والحديد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1995م ، ص20.

(306) علي زين العابدين : المرجع السابق ، ص304.

(307) حسن راضي أبو رقيبة : فنون الصياغة ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، 2000م، ص139.

(308) عبد العزيز إبراهيم العُمري : المرجع السابق ، ص278.

(309) علي زين العابدين : المرجع السابق ، ص299-298.

(310) منال عبد الله إسماعيل : الصاغة وفنونهم المعدنية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، دراسات في علم الآثار والتراث ، عدد10 ، 1441هـ/2020م ، 149.

(311) المرجع السابق : ص155-151.

(312) سعيد محمد أحمد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط2 ، دمشق ، 1960م، ص17.

(313) استرابون : وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية ، ترجمة محمد الدويب ، الكتاب السادس عشر ، الفصل الثالث ، منشورات قاريونس ، بنغازي ، 2006م ، ص95.

(314) أحمد يحيى البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، ج1 ، تحقيق سهيل زكار وريـاض الزركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص101.

(315) المصدر السابق ، ص9-8.

(316) عيد سعيد مرعي : تاريخ الجزيرة العربية القديم ، مكتبة الخبتي الثقافية ، بيشة ، ط1، 1425هـ/2004م ، ص153.

(317) أحمد البلاذري : المصدر السابق ، ج1 ، ص101.

القابيرو في إقليم كردفان
(ملامح من تاريخ السلم الاجتماعي في السودان)

د: عوض شبّا
مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

المستخلص:

يتناول هذا البحث موضوعاً مهماً في التاريخ الاجتماعي في السودان ويكشف عن جوانبه من حركة الهجرات البشرية من غرب إفريقيا إلى السودان وتمازجها وتلاقحها مع المكَونات الاجتماعية والثقافية المحلية ؛ ومنهم القابيرو إحدى مجموعات الفلاتة إلي السودان ومدى اندماجهم في المجتمعات المحلَية، وتلمس الجوانب الإيجابية فيه بقدر الإمكان، منها أن منطقة البرداب في جنوب كردفان مركز استقرارهم قد توفرت فيها نوع من السلام الاجتماعي والاستقرار رغم اختلاف مكوناتها الاجتماعية في واقع إقليمي تعتبر فيها ظاهرة الصراعات الإثنية والاقتصادية هي السمَة الواضحة. بعد استقرار القابيرو في البرداب اندمجوا في المجتمع المحلَي وتلاحقت ثقافتهم الوافدة مع الثَقافات الموجودة تأثيرا وتأثرا، وسرعان ما انخرطوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وأهلَتهم سيرتهم الطيبة ليكونوا على قمة الهرم الإداري فى المنطقة حيث تم إختيار الشريف عبد الله عمدة للبرداب والأغراب الأفريقيين، ثم خلفه ابنه محمد على العمودية.

الكلمات المفتاحية: القابيرو، الفلاتة، كردفان، السلم الاجتماعي، السودان

Kabiro in the Kordofan region
(Features from the history of social peace in Sudan)

D: Awad Shaba Basin countries-Sudan

Abstract:

This research deals with an important topic in social history in Sudan, and reveals its aspects of the movement of human migrations from West Africa to Sudan, mixing and crossing them with local social and cultural components; Including the Kabiro, one of the groups of Al -Falaza to Sudan and the extent of their integration in local societies, and the sides of the sides Positive in it as much as possible, including that the Bradab region in South Kordofan has the center of their stability has provided a kind of social peace and stability despite its different social components in a regional reality in which the phenomenon of ethnic and economic conflicts is the clear Sama. After the Kabiro stabilized in the pillow, they integrated in the local community and their incoming culture with the existing and influential cultures, and soon they were involved in social and economic life .And their good biography, to

be at the top of the administrative pyramid in the region, where Sharif Abdullah was chosen as the mayor of the African strangers and Bradab, then his son Muhammad succeeded him on the vertical.

Key words: Kabiro, Al -Fallatah, Kordofan, Social Salad, Sudan

المقدمة:

دار في أوساط الأكاديميين والمثقفين السودانيين نقاش طويل حول الصراع الثقافي والإثني بين المهاجرين الوافدين والسكان المحليين، وخاصة بعد الهجرات العربية المسلمة الي السودان عقب سقوط الممالك النوبية المسيحية في القرن الخامس عشر للميلاد، وتبني السودانيين للثقافة الإسلامية وعدد مقدر منهم النسب العربي، ولكن كانت النظرة مغايرة بالنسبة للمهاجرين من غرب إفريقيا، وربما ارتبطت ذلك بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهجرتهم، أو لعدم وجود دراسات كافية توضح ملابسات هذه الهجرات والأدوار والإسهامات التي قامت بها هذه المجموعات في مختلف المجالات في تاريخ السودان بعد هجرتهم. وقد تؤسس مادة هذا البحث لأطروحة جديدة للتعايش السلمي للمكونات السودانية الحالية الوافدة والمحلية من خلال مفهومي الاندماج الاجتماعي والتفاعل الثقافي.

اعتمد هذا البحث علي منهج البناء التاريخي كمنهج أساسي والمناهج المساعدة، كما زاوج الباحث بين الكتابة العلمية والتقيِّد بالطرق المنهجية، والكتابة بأسلوب مبسط بعيداً عن الصرامة الأكاديمية، من أجل كتابة حبكة تاريخية لموضوع هجرة القابيرو الفلاتة إلي السودان واستقرارهم في البرداب وإبراز مدى ندامجهم الاجتماعي وتفاعلهم الثقافي في وطنهم الجديد ، وذلك من خلال المادة المرجعية التي توفرت لديه، وكان المفترض أن يقوم الباحث بزيارة مجموعة القابيرو في مناطقهم، ولكن ظروف الحرب حالت دون ذلك؛ واستعاض عنها بالتواصل مع بعض أبناء القابيرو عبر الواتساب للحصول على بعض المعلومات التي تخص هذه المجموعة.

تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تناول الأول الجغرافيا والإنسان في إقليم كردفان، وركز على المكَّونات الاجتماعية في ولاية جنوب كردفان مكان الهجرة والثاني تطرق بشيء من التفصيل للتعريف بالفلاتة إحدى المجموعات الكبيرة والمهمة التي وفدت من غرب إفريقيا إلى السودان بالحديث عن هجرة القابيرو-موضوع البحث- وأسبابها وخط سير رحلتهم من(قاوا) في مالي حتى استقرارهم في منطقة البرداب بجنوب كردفان. وتحدث المحور الثالث عن تكوّن كيان إداري جديد في البرداب باسم عمودية الأغراب الأفريقيين المزارعين، تحت قيادة العمدة الشريف عبد الله القابيراوي.

جغرافية إقليم كردفان:

تعددت التعَريفات والأراء حول أصل اسم أو كلمة كردفان، منها أن كلمة كردفان كانت ترمز في البداية لجبل (كردفان) الذي يقع (بين خطي13,04درجة و30,21 درجة شرقاً) بالقرب من منطقة العين، وهذا الاسم أخذ من أهالي كردفان لقولهم (كلد فار) أي كلد يغلي، وكلد هذا آخر ملوك

النوبا(النوبة) الذين أحتلت منهم قبيلة الغديات جبل كردفان، ومن عادة هذه المجموعة التنقل خلف المرعى والماء، فوجد هذا الاسم انتشاراً واسعاً، وأصبح يطلق على كل إقليم كردفان[1]، رواية أخرى تقول أن كردفان مأخوذة من الكلمة النوباوية (كلدوفان) التي تعني في لغتهم أرض الرجال[2].

يقع إقليم كردفان بين (خطى طول 16-9 درجة شمالاً، وبين النيل وخط عرض 27,30، وطوله حوالي 400 ميلاً وعرضه حوالي 350 ميلاً)، وتبلغ مساحة الإقليم نحو 130,500 ميلاً مربعاً، وتمتد حدود الإقليم شمالاً في الصحراء الكبرى من نقطة في الشمال الغربي قرب خط الطول 16,30 درجة شمالاً تقريباً، ويستمر حتى هوباجي وآبار جبرة حتى فتاشة فيقاطع (خط الطول 15,27 درجة) من ناحية الضفة الغربية للنيل الابيض، وتصل حدود إقليم كردفان شرقاً إلى نقطة قرب الجبلين محازية النيل جنوباً حتى بحيرة (نو). وأما حدوده الجنوبية فيكَونه خط يبدأ من التقاء بحيرة (نو) ببحر الجبل على امتداد طولي متعرج في اتجاه غربي. ومن ناحية الغرب يفصل كردفان عن دارفور سلسلة من الكثبان قرب تلال أم كدادة حيث تضيف أم بادر وفوجا لكردفان ويستمر الخط الغربي في اتجاه جنوبي حتى بحر العرب[3]، (أنظر: خريطة

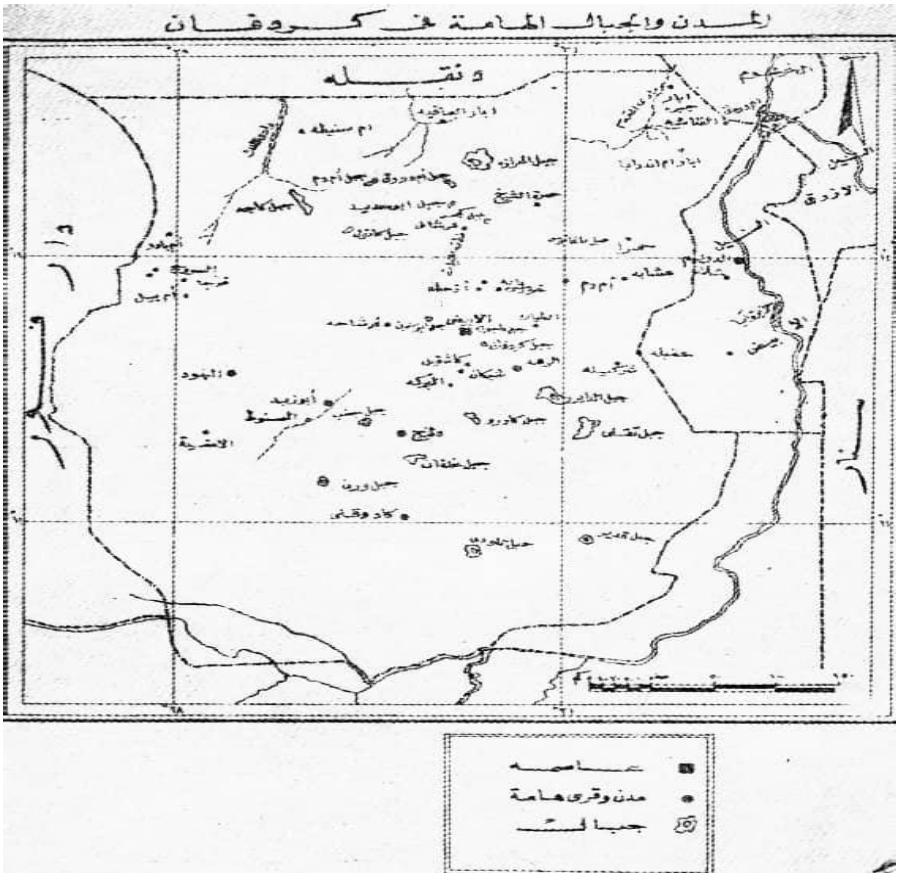

خريطة رقم (1) (نقلاً عن: عوض عبد الهادي، 1973م،ص219)

وفي عام 1994م تم تقسيم إقليم كردفان إلى ثلاث ولايات، وهي: شمال كردفان، غرب كردفان وجنوب كرفان (أنظر:خريطة رقم(2).

خريطة رقم (2)

(نقلاً:عن شبكة الانترنت)

أهم المعالم الجغرافية لولاية جنوب كردفان هي جبال النوبة، وتقع منطقة جبال النوبة (بين دائرتي عرض «10 - 12.5» درجة شمالاً وخطي طول «29 – 31» درجة شرقا)، والهضاب غير المستوية تفصل بينها أودَية عريضة تعرف محليا بالودَيان ويتفاوت سطحها ما بين تربة طينية رملية تنساب في سلاسة إلى جبال وهضاب ذات تكوينات صخرية معقدة تفصل بينها أودية منخفضة لا تصلح للزراعة ولا للرعي تعرف باسم (الفاوة) ، وأخرى تعرف باسم (الحدب)، وهي تربة طينية سوداء متشققة تصلح لزراعة القطن وتنبت فيها حشائش ،تصلح للرعي وتتخلل جبال النوبة سلاسل جبلية متفرقة وهي من أنواع الجرانيت وبعضها عال الارتفاع يصل إلى خمسة

آلاف قدم فوق البحر، وعدد الجبال فيها كبير يقال أنها تسع وتسعون جبلاً، ولكن يبدو أن هذا التحديد ليس على سبيل القطع وإنما كناية عن كثرة الجبال فهي كثيرة تزيد عن هذا العدد بكثير، وتلاحظ وجود كل قبيلة على جبل أو سلسلة جبلية بحيث تتطابق أسماء القبائل والجبال، فتجد قبيلة كادقلي تحيطها سلسلة جبل كادقلي، وقبيلة الدلنج تحت سلسلة جبال الدلنج ،وقبيلة أجرون فوق قمة جبل أجرون، وقبيلة المورو على سلسلة جبال المورو، وجلدوتيمين وتلشي وشات وكتلا والمندل والصبي والكاركو، وهكذا تتطابق أسماء القبائل والجبال[4].

أما المناخ السائد فهو مناخ السافنا بأمطاره الغزيرة التي تتراوح معدلاتها (ما بين 400 – 800 مليمتر تقريباً) في فصل الخريف، والذي يستمر عادة من منتصف شهر مايو إلى شهر أكتوبر ويعتبر شهري يوليو وأغسطس الأعلى معدل الهطول الأمطار، والمنطقة في عمومها منطقة اقتصادية غنية بالأراضي الزراعية والبستانية كما توجد المياه الجوفية بكميات محدودة، وتعتمد أهم موارد المياه في المنطقة على مصدرين أساسين هما:

الأول: مياه سطحية وهي تشمل: عدة أحواض أهمها حوض خور أبو حبل وحوض خزان ميري وخور البرداب وخور العفن وحوض بحيرة كيلك وخور أم برمبيطة، وعلى الرغم من إشتهار المنطقة بكثرة خيرانها المنحدرة من الجبال إلا أنه لا توجد مصادر ثابتة للمياه وهنالك مواقع العديدة الصالحة لإنشاء السدود والخزانات في تلك المناطق المحصنة بالجبال.

الثاني: مياه جوفية من الآبار والمضخات والآبار (الإرتوازية) حيث ترتبط مناطق السكان ارتباطاً وثيقاً بمنطقة وجود المياه الجوفية والسطحية حيث أن عمق المياه الجوفية في أجزاء من المناطق يتراوح ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وهذه تمثل مناطق رعي لكثير من القبائل الرعوية التي ترتادها في فصل الصيف وقد ساعدت هذه الموارد المائية على وجود غطاء نباتي كثيف يتمثل في الحشائش المتنوعة في السهول الطينية وكذلك ساعد على نمو أنواع عديدة ومتنوعة من الأشجار ذات الثمار والاستخدامات الأخرى، وأهم الأشجار التي تنمو في منطقة جبال النوبة العرديب والنبق والتبلدي والقضيم والطلح والكتر والجميز والحميض واللالوب والجوغان والدليب والدوم الخ..(5).

التركيبة السكانية:

أما من ناحية التركيبة السكانية في إقليم كردفان فإن الإقليم يمتاز بالكثافة السكانية وتعدد قبائله، وذلك بسبب ثراء الإقليم وتعدد موارده وثرواته، وموقعه الجغرافي الوسط لأنه نقطة إتصال بين مناطق السودان المختلفة وبين السودان وغرب إفريقيا، ولذلك أصبح نقطة إنصهار وتواصل لعدد كبير من القبائل السودانية وقبائل غرب إفريقيا، وكذلك القبائل العربية التى وفدت من الجزيرة العربية عبر مصر خلال الحقب التاريخية المختلفة(أنظر: خريطة رقم 3). وسيكون تركيزنا بصورة أساسية على ولاية جنوب كردفان لارتباطه المباشر بموضوع هذا البحث.

ويمكن تقسيمها في تقديرنا لثلاث مجموعات رئيسية وهي:

المجموعة الأولي (قبائل النوبة):

تذكـر بعـض الأراء بأنهـم أصـل سـكان الجبـال،وفي روايـة أخـرى أنهـم جـاؤا مـن شـمال السـودان ونزحـوا إلى هـذه المنطقـة بسـبب الحـروب وانهيـار الممالـك التـى قامـت عـلى ضفـاف النيـل مثـل مملكـة مـروي، ثـم الممالـك النوبيـة المسـيحية وتدفـق المجموعـات العربيـة المسـلمة مـن مـصر إلى عـشر مجموعـات عـلى أسـاس اللغـة عـلى النحـو التـالي:-

1. مجموعـة الكواليـب وتشـمل الكواليـب، مـورو، هيبـان، أطـورو، تـيرا، بالإضافـة إلى مجموعـة مـن القبائـل الصغـيرة.
2. مجموعـة النمانيـج وتضـم القبائـل القاطنة بالقـرى التاليـة: النتل، تنديـة، سـلارا،كلارا،كرمتي، حجـر السـلطان، والفوس.
3. مجموعة كادقلي: وتضم قبائل كادقلي، كرنقو، تلشي، كاتشا، قبائل ميري -3
4. مجموعـة تلـودي والمسـاكين وتضـم قبائـل تلـودي، اللـيري، أجـرون، تجـو، وقبائـل أخـرى صغـيرة.
5. مجموعـة الأجانـج (الأجنـق) وتضـم الجبـال السـتة(كرورو، الكـدرو، كافـيرا، كولدجـي، دبانتـه، كاركـو) وانشـو، ووالي، وفنـدا، كاشـا، طبـق، أبـو جنـوك ،الدلنـج، الكدر،الشـفر.
6. مجموعة تقلي: وتضم الرشاد، تومي، الكجاكجة، التقوى، الموريب، وغيرها.
7. مجموعة الداجو: وتضم الداجو والشات بأقسامها واللقوري.
8. مجموعة تيمين، وتضم قبيلة تيمين، تيس، كيقا. -8
9. مجموعة كتلا: وتضم قبيلة كتلا وجلد.
10. مجموعة لفوفا وتضم لفوفا، وأميرا [6].

المجموعة الثانية(البقارة):

البقـارة ليـس اسـماً لقبيلـة ولكـن نسـبة لتربيتهـم وامتهانهـم رعـي الأبقـار، وهـم قبائـل عديـدة منهـا الحوازمـة والمسـيرية، يعيـش البقـارة داخـل جبـال النوبـة ويسـكنون السـهول بـين الجبـال التـي تناسـب حياتهـم الرعويـة والمتنقلـة وهـم مسـلمون جميعهـم بـل أسـهموا في نـشر الدعـوة والثقافـة العربيـة في جبـال النوبـة وكان لهـم أثـر كبـير في ذلـك لاحتكاكهـم المبـاشر بالنوبـة وانصهارهـم وتزاوجهـم وتحالفهـم معهـم، وأهـم القبائـل العربيـة (البقـارة التـي تسـكن منطقـة جبـال النوبـة) هـي المسـيرية والحوازمـة والكواهلـة وكنانـة.

1. المسـيرية: هـي مـن قبائـل البقـارة التـي اسـتوطنت منطقـة جبـال النوبـة منـذ القـدم في القـرن السـادس عـشر الميـلادي وهـي قبيلـة ذات أصـل واحـد تفرعـت إلى قسـمين هـما المسـيرية الـزرق والمسـيرية الحمـر. لقـد درج المسـيرية الحمـر والـزرق عـلى حركـة مـد وجـذر داخـل جبـال النوبـة إذ يبـد أون الترحـال مـن شـهر نوفمـبر حتـى مايـو ثـم يقفلـون راجعـين بسـبب البعـوض والأمطـار والشـتاء، وتتمثـل مناطـق مرعـى المسـيرية الحمـر في منطقـة مـيري، كـرسي، أبـو سـنون، بحـيرة كيلـك ويظلـون في تلـك المناطـق حتـى بدايـة الخريـف حيـث يرجعـون إلى

كيلـك فيشـتغلون بالزراعـة أمـا المسـيرية الـزرق فتتمثـل مناطـق مرعاهـم في منطقـة كمـدا، الداجـو، أبـو جنـوك، دميـك ومركزهـم الأسـاسي لقـاوة والفولـة.

2. الحوازمـة: يشـكل الحوازمـة غالـب الوجـود العـربي في منطقـة جبـال النوبـة حيث سـكنوا في وسـط وشرق الجبـال، وإن لم تخـل منطقـة في الجبـال مـن أفـراد قبيلتهـم غـير المناطـق التـي تنتـشر فيهـا المجموعـات العربيـة الأخـرى، لاسـيما الحمـر ويقـضي الحوازمـة غالـب وقتهـم بـين شـعاب الجبـال وينزحـون في موسـم الأمطـار إلى جهـة الشـمال، ولم يتقيـد الحوازمـة في رحلاتهـم بقوانـين موضوعـة أو سياسـات مرسـومة الأمـر الـذي أسـهم في بلـورة التعريـب في منطقـة جبـال النوبـة.
3. الكواهلـة: ضمـن مجموعـات العـرب التـي اسـتقرت في منطقـة جبـال النوبـة وقـد تركـز وجودها في المنطقـة الشرقيـة، ولاسـيما في مناطـق كالوقـي واللـيري وبلولـة والترتـر والكواهلـة كسـائر المجموعـات العربيـة درجـوا عـلى القيـام بجـولات رعويـة داخـل منطقـة الجبـال.
4. كنانـة: انتـشرت قبيلـة كنانـة في الأجـزاء الشرقيـة مـن جبـال النوبـة خاصـة مناطـق اللـيري، أبـو جبيهـة، كالوقـي، والترتـر ويمتـد نشـاطها إلى داخـل الجبـال عـبر جـولات الرعـي الموسـمية، أسسـوا علاقـات متينـة مـع مجموعـات النوبـة الأخـرى ومـع قبائـل تقـلي ورشـاد.
5. الشـوابنة: في إطـار الهجـرات التـي انتظمـت السـودان إبان تدهور الأحـوال السياسـية والاجتماعية عقـب حمـلات الدفـتردار الانتقاميـة اتجهـت بعـض القبائـل إلى الجنـوب الغـربي نحـو جبـال النوبة عـبر بوابتهـا الرسـمية آنـذاك مملكـة تقـلي الإسـلامية، واسـتقرت هـذه المجموعـة حـول جبـل شـيبون الـذي اشـتهر بالذهـب للدرجـة التـي دعـت محمـد عـلي باشـا لإرسـال بعثاتـه للتنقيـب في تلـك البقـاع لم تكـن منطقـة شـيبون خاليـة مـن السـكان آنـذاك ولكنهـم توغلـوا إلى أعـماق جبـال النوبـة عنـد وصـول هـذه المجموعـات الوافـدة فيـما بعـد عرفـت هـذه المجموعـات بالشـوابنة منسـوبة إلى جبـل شـيبون وهـي مجموعـة قبائـل حـدث بينهـا التـزاوج والتصاهـر وحـدث اختـلاط ليـس فيـما بينهـا فحسـب بـل مـع قبائـل النوبـة سـكان المنطقـة الأصليـين، وتكونـت مجموعـة الشـوابنة مـن قبائـل المسـلمية، الجلابـة، الهـوارة الحسـانية، الجندبـاب، الجميعـاب، الحسـبلاب، العبـدلاب والبشـاريين، كل هـذه القبائـل انصهـرت في بوتقـة واحـدة، اتحـدت عاداتهـا وتقاليدهـا التـي لم تكـن تختلـف كثـيراً فهـي أصـلا قبائـل عربيـة ثـم حـدث اختـلاط ومصاهـرة مـع قبائـل النوبـة الذيـن وجدوهـم بالمنطقـة، وبعـد تفـشي الأمـراض وقلـة ميـاه الـشرب في منطقـة شـيبون قـدم الشـوابنة إلى مناطـق دافـريء ومنـدي وعقـب والشـواية شرق كادقـلي وهـي مناطـق تتوفـر فيهـا الميـاه الجوفيـة بينـما وصلـت مجموعـة منهـم إلى مدينـة كادقـلي واسـتقرت بقريـة السـمة جنـوب كادقـلي. ويبـدو أن القبائـل العربيـة التـي نزحـت إلى منطقـة جبـال النوبـة وخاصـة البقارة كانـت ترعـى الإبـل وتجـوب بهـا المنطقـة بـين كردفـان ودارفـور حتـى حـدود المديريـة الشـمالية ثـم تحولـت مـع الظـروف الجغرافيـة والطبيعيـة إلى تربيـة الأبقـار والزراعـة[7].

المجموعة الثالثة:

وهـي المجموعـة التـي جـاءت مـن إفريقيـا الغربيـة وسـنفرد مسـاحة أكـبر للملامـح العامـة لهجرتهـم إلى السـودان ثـم نفصـل مايعينينـا في هـذا الفصـل التـالي:

تشير الشواهد التاريخية إلى أن تحركات السكان في حزام السافنا قديمة ترجع إلي عدة قرون، وقد ساهم عدم وجود الموانع الطبيعية في شمال نهر السنغال وحتى البحر الأحمر على تدفق هذه التحركات، وأقدمها في هذا النطاق كانت من الغرب إلي الشرق، ويبدو أن فكرة الزراعة المطريَة قد انتقلت من الغرب إلي السودان عن طريق المزارعين المهاجرين في حدود سنة(2000م). وربما حدث تدفق رئيس من الهجرات بشكل أكبر من الغرب بعد عام (1340م)[8]، وكذلك أثبتت الدراسات الأركيولوجية التى قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور أن السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن بقية نطاقه الممتد غرباً على الأقل حتى حوض نهر النيجر حيث كانت تربط بين النيجر والنيل روابط تجارية وعلائق ثقافية خلال القرون السابقة[9]، وقد إزدادت هذه الهجرات أبَان الاستعمار البريطاني للسودان (1898 - 1956م) والذي رفع عن جميع رعايا الدول الإفريقية وخاصة دول غرب أفريقيا أية قيود للهجرة، وترك حدود السودان مفتوحة أمامهم ليدخلوا السودان من قبائل شمال نيجيريا وتشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وغيرها من دول غرب وأواسط أفريقيا وأثيوبيا وأرتيريا من الشرق، ويعتبر القرن التاسع عشر الميلادي وما صاحبه من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية تمثَّلت في دخول الاستعمار الغربي لأفريقيا وتكالبه المحموم على خيراتها ذا أثرٍ مهم في حركة الهجرات الوافدة إلي السودان لما أحدثته من يسر في الدخول إلي الأراضي السودانية[10].

تعتبر علاقة السودان بدول غرب إفريقيا أو السودان الغربي علاقة قديمة جداً- كما أشرنا- فقد كانت هناك رحلات رعوية للبحث عن المرعى وتداخل قبلي بين أقطارها، لهذا ظل السودان يستقبل قبائل الفلانين الرعويَة مروراً بتشاد ودارفور إلى مناطق النيل الأزرق وأعالي النيل لمئات السنين. كما أستقبل في القرن الخامس عشر الميلادي مجموعة من قبائل الفلاتة في رحلات الرعي عبر برنو ثم دارفور حتى وصلوا إلى سودان وادي النيل لذلك أصبح السودان ملتقى طرق لكثير من المجموعات، وتشير الدارسات إلى أن السودان بحكم موقعه الجغرافي ظل معبراً طبيعياً لحجاج غرب إفريقيا منذ آلاف السنين، فمنذ دخول الإسلام إلى إفريقيا كانت قوافل الحجاج تتجه إلى الأ ارضي المقدسة عبر السودان إلى أن تصل إلى موانئ البحر الأحمر (سواكن،عيذاب) وكانت الطرق التي يسلكها الحجاج هي الطرق التجارية المعروفة آنذاك والتي تأتي عبر دارفور أو من كردفان عبر الأبيض – شندي – بربر – سواكن أو عبر الأبيض – سنار– سواكن أو من خلال درب الأربعين الذي لعب دوارً مهماً في مطلع القرن الثامن عشر كمعبر لحجاج شمال غرب إفريقيا، وعزز وصول خط السكة حديد إلى الأبيض – سنار- قوز رجب- كسلا - سواكن في عام 1911م من دور هذه الطرق في أداء فريضة الحج بالنسبة لحجاج غرب إفريقيا(11)؛ ومما يؤكد عمق وقدم العلاقة بين السودان ودول غرب إفريقيا وجود كثير من المجموعات بالسودان، فهناك وجود مقدر للفولاني في السودان في منطقة تلس منذ القرن السابع عشر. كما وأنه مع بداية الاحتلال لمالي والسنغال خرجت أعداد كبيرة منهم اتجهت نحو الشرق (نحو مكة) في القرن الثامن عشر فوصلت أعداد منهم إلى السودان من إفريقيا الوسطى بزعامة العمدة الشريف محمد ماول الذي استقر في قرية

البرداب بالقرب من كادوقلي، ومنهم من توجه إلى النيل الأزرق بقيادة الشيخ الرفاعي الذي أسس قرى أبوجيلي، الحجيرات، أبو لبن والشيخ أبو هاشم الذي أسس قرية ود هاشم وروينا. وعند قيام الثورة المهدية كان الداعم الأساسي لها قبائل غرب إفريقيا – فقد أمر الشيخ عثمان دان فودي أتباعه بمناصرة المهدي– فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى السودان، ولما وصلت طلائع القوات الإنجليزية شمال نيجريا 1903م خرج سلطان سكوتو وأتباعه واتجهوا شرقاً، ولما قتل واصل إبنه وأتباعه هجرتهم حتى وصلوا السودان 1904م واستقروا في قرية الشيخ طلحة بالنيل الأزرق تحت ضيافة الشيخ طلحة بن حسين الفولاني، ثم تأسست قرية مابرنو 1905م(12)،(أنظر: خريطة رقم4).

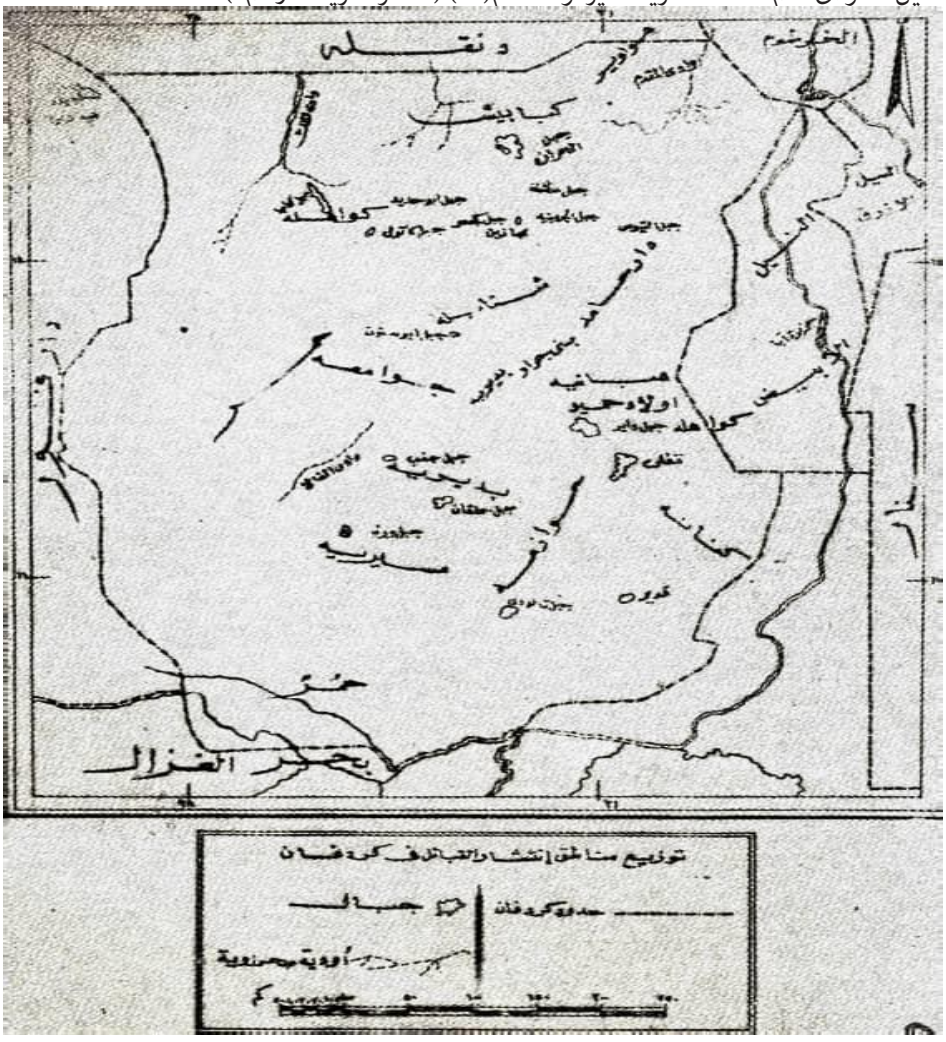

خريطة رقم (3)

(نقلاً عن:عوض عبدالهادي، 1973م،ص218)

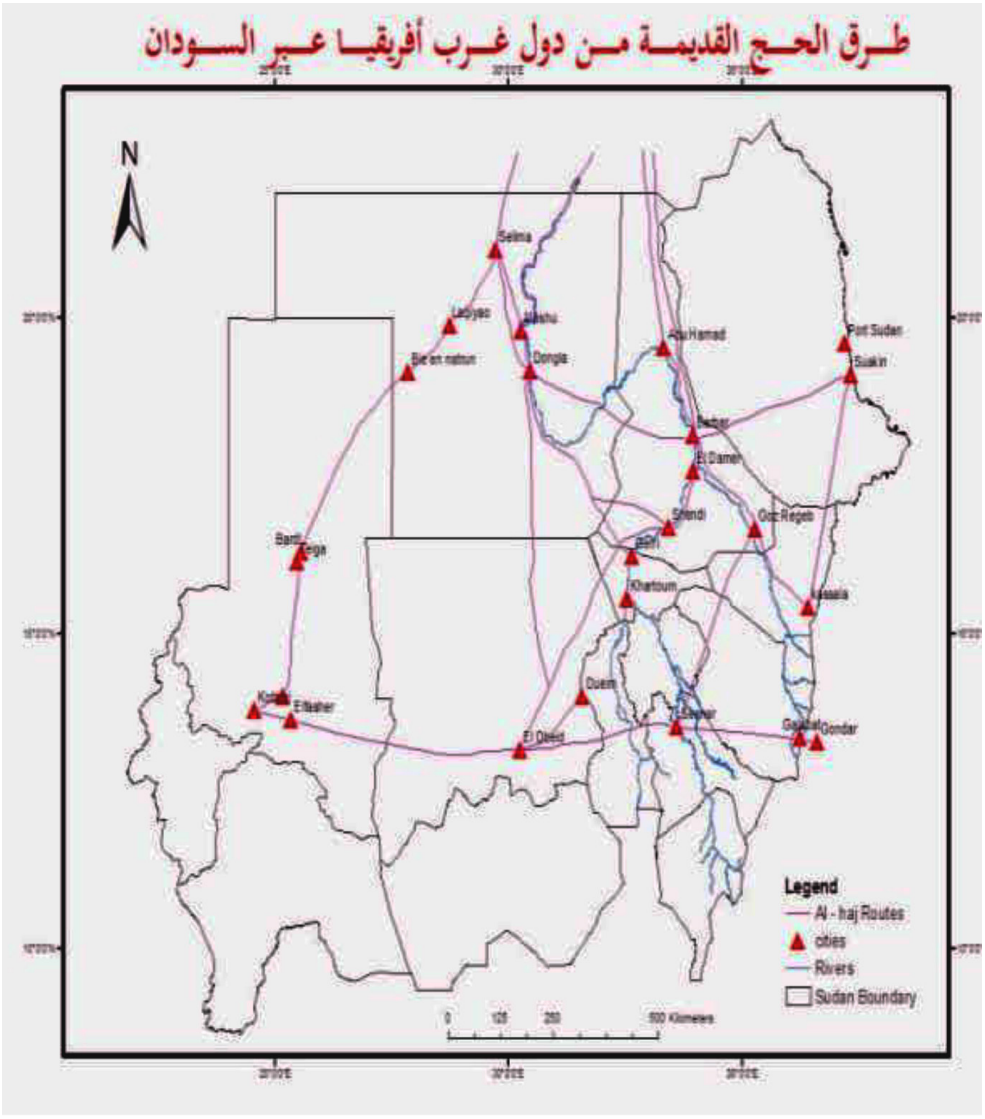

خريطة رقم (4)

(نقلاً عن: شادية السيد الحسن، المرجع السابق)

القابيرو في جنوب كردفان:

الفلاتة وهجرتهم لكردفان:

تعددت الأسماء التى عرف بها الفلاتة المجموعة السكانية المشهورة بهذا الاسم،وكذلك باسم الفولاني، فهم يطلقون على أنفسهم اسم (الفولى) أو(البولي)،ولفظ (فولاني) هو الاسم الذي أطلقه الهوسا على مجموعة من السكان كانوا يسمون أنفسهم فولبي (Fulbe)، وهواللفظ الشائع

استخدامه في نيجيريا، كما عرفت هذه المجموعة بأسماء أخرى كالبولز (Peuls) والفلا (Fula)، وأطلق عليهم أهل برنو وكذلك السودانيين اسم فلاتا/فلاتة (Fellata)، والراجح أنها تسمية عربية قد يكون مصدرها الإفلات من الحدود، ويعرفون عند الولوف باسم بوب، بينما سماهم الفرنسيون بيل، والإنجليز فولب في صيغة الجمع ومفردها بولو(Buluo). أما كلمة فولاني فهي التسمية التي استخدمتها قبائل الهوسا نقلاً عن البربر المسلمين ولا سيما الطوارق ويعني بها المستقرين منهم[13].

اختلف المؤرخون حول أصل الفلاتة وظَّلت مسألة أصلهم لغزاً من الألغاز التاريخية لم تفك طلاسمه بعد على يقين، وذلك لإختلاف المصادر التى أشارت إلى مكان منشأهم الأول، ونَجمل أهم هذه الأراء في الأتى:

- أصلهم هندي.
- أنهم من اليهود.
- أنهم من المصريين الحاميين القدماء.
- لهم علاقة بالفينيقيين.
- نتاج تزواج جنود الأمويين مع نساء البربر.
- أحفاد عقبة بن نافع[14].

ويمكن أن نضيف سبباً آخر لكثرة الأراء حول أصل الفلاتة وهو ملامحهم غير الزنجية فى محيط زنجي وأوصافهم: صفر البشرة، ذو شعر سبيبي ناعم، رقاق الأنف والفم، رشيقو القوام، شبه بيض سحنتهم عربية[15].

وفي ذات الإطار هناك وجهة نظر أنثربولوجية أُثيرت حول أصل الفلاتة تقول أن هذا الجنس قد تواجد أثرياً، وبيئياً، واجتماعياً، وتاريخياً في غرب أفريقيا منذ بدء تاريخ المنطقة[16].

أما الدراسات اللغوية فقد قسمت الفلاتة إلى ثلاث مجموعات وهي:

الأولى: ترى أن اللغة الفولانية (الفلفلدي) في الأساس هي لغة شعب زنجي تكروري، ثم اكتسبها شعب من البيَضان من الأصل اليهودي، السوري «Judeo-Syrian» وأصبح أحفادهم هم الفولانيون.

الثانية: تعتقد أن العنصر التكروري الأسود هو الأصل، أما العنصر الرعوي المتنقل الذي يشبه البربر فهو مجرد مكتسب لهذه اللغة.

الثالثة:أرجعت الفولاني للأصل السامي معتمدة في ذلك على أعمال علماء الفولاني في القرن التاسع عشر الذين أرجعوا أصل الفولاني لعقبة بن نافع الذي عمل على نشر الإسلام بين البربر مباشرة بعد الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا[16].

ويعرف أحمد إبراهيم الفلاتة أو الفولان دون الخوض في تفاصيل أصولهم بأنهم:» أكبر تجمع مسلم فى غرب إفريقيا، وقد عرفوا طوال تاريخهم بأنهم الشعب الدعاة للإسلام فقد حملوا الإسلام من موطنهم، في مرتفعات فوتاجالون وفوتاتورو على سواحل المحيط الأطلسي واتجهوا به شرقا حتى بحيرة تشاد. وهم منتشرون في ١٨بلداً في إفريقيا الغربية والوسطى في تجمعاتهم الكبيرة

مـن نيجيريـا والسـنغال وغينيـا ومـالي والكمـيرون والنيجـر والسـودان ولديهـم للتقاليـد الإسـلامية الجميلـة انتقلـت مـن أجدادهـم الذيـن قامـوا بنـشر الإسـلام في تلـك المنطقـة مثـل عثـمان دان(ابـن) فوديـو الـذى أسـس إمبراطوريـة إسـلامية في أوائـل القـرن التاسـع عـشر بعـد جهـاد طويـل.»[17].

وينقسم الفولاني(الفلاتة) إلى قسمين:

الأول:الرعـاة فيعرفـون بفريريـان كـيرابي (Firarian Kiriaba) في لغـة الفـولاني «الفلفلـدي»، وبأمـبررو (Moborrorioj) لـدى الهوسـا أو أصحـاب البقـر، وإحتفـظ الفـولان الرعـاة إلى درجـة كبيرة بخصوصيتهـم العرقيـة ومـازالوا يحتفظـون بشـكلهم البربـري، ويحسـبون أنفسـهم أكثر نقـاء وأرفع مـن المصاهـرة والاختـلاط بـأي عنـصر آخـر، وهـم يتميـزون بالإنعـزال والتوحـش.

الثـاني: المسـتقرون والذيـن يعرفـون في لغـة الهوسـا بفـولاني جـدا وهـم نتـاج خليـط بـين الفـولاني الأصليـين بالقبائـل الأخـرى التـي اختلطـت بهـم أثنـاء ترحالهـم وهجرتهـم، وهـم يعملـون بالزراعـة، وإلى هـذه المجموعـة ينتمـي معظـم الحجـاج[18].

أمـا عـن هجـرة الفلاتـة إلى السـودان فقـد أسـلفنا فيهـا القـول، ونشـير في هـذه الجزئيـة بصـورة عامـة عـن أماكـن تواجدهـم في إقليـم كردفـان ثـم نفصـل عـن هجـرة القابـيرو وهـم فـرع مـن الفلاتـة الـذي ينتسـب إليهـم العمـدة محمـد الشريـف عبـد اللـه. وكـما ذكرنـا فـإن هجـرة الفلاتـة إلى السـودان قـد مسـت إقليـم كردفـان منـذ أوائـل القـرن التاسـع عـشر للميـلاد، وأن قدامـى المسـتوطنين بجبـال النوبـة كانـوا في الأصـل حجاجـاً، ويرجـع تاريـخ وصولهـم إلى مـا قبـل المهديـة وذلـك في عـدد مـن المناطـق منهـا رشـاد والدلنـج ولكـن كان نمـو مواطـن الاسـتقرار بهـذه المناطـق كان بطيئـا. وجـاء في تقريـر مديـر كردفـان عـام ١٩١٧م أن عـدد الفلاتـة قليـل، وازدادت أعدادهـم في تقريـر عـام ١٩٢٠م، وفي عـام ١٩٢٤م تعـددت القـرى التـي اسـتوطنوها فيـما يجـاور إلـيرى، كادوقـلي، تلـودى ،تقـلي وغيرهـا ومـن ذلـك الحـين بـدأت تلـك المواطـن في النمـو السريـع عـلى أثـر نجـاح زراعـة القطـن لأنهـم يتميـزون بأنهـم نافعـون في الزراعـة والتنميـة الزراعيـة[19].

من هم القابيرو:

تقـول الأسـطورة المحكَّيـة وسـط القابـيرو القاطنـين بمنطقة قـاو أن الجـد الثامن الملقـب بالبيضاوى قـدم الى منطقـة قـاو عـلى حـوض نهـر النيجـر فى بدايـة القـرن الثامـن عـشر مـن شـمال الصحـراء ، تحـرك مـن موطنـه برفقـة زوجتـه وابنتـه عـلى ناقـة، وهـو وابنـه حمـر كلى عـلى الناقـة الأخـرى لعبـور الصحـراء، و بعـد المسـير قـررت الزوجـة عـدم إكـمال السـفر وطالبـت بالعـودة (تصورهـا الاسـطورة كالجنيـة بيضـاء طويلـة القامـة) حينهـا أصر الجـد عـلى المواصلـة مـع الولـد والبنـت، وهنـا قالـت الجـدة للجـد البيضـاوى: أنظـر خلفـك ان اللـه عـز وجـل قـد قسـم بيننـا ، تقـول الروايـة: أن الجـد حـين التفـت وجـد البنـت تـأكل مـن سـنام الناقـة، فوافـق عـلى القسـمة البنـت مـع والدتهـا للعـودة لديارهـما وواصـل هـو المسـير إلى جنـوب الصحـراء حتـى وصـل منطقـة قـاو حـوالى عـام 1725م، وقـد إشـتهر بأنـه كان ملثـماً وعالمـاً متصوفـاً، تـزوج بعدهـا مـن قبائـل الفـلان فـرع قابـيرو فى منطقـة قـاو، ويزعـم البعـض فى العائلـة أنـه مـن الـدار البيضـاء ومنهـم مـن يقـول أنـه مورسـكى وأخـرون يقولـون أنـه مـن الأشراف [20]. وتقـول روايـة

أخرى أن القابيرو قبيلة من الفلان من عائلة أردو ماسينا بحوض نهر النيجر الاوسط بجمهورية مالي، هاجر جدهم الاول أردو إمام صالحو مع ابنه شبيبى وإخوته وأبنائه : زينى شبيبى ، حريرى شبيبى ، قابلو شبيبى ، بدرو شبيبى ، شيخو بيرو شبيبى ، شيخو كاجا شبيبى ، احمدو شبيبى، نديلا شبيبى ، تاى شبيبى ، وأختهم هاجرة شبيبى إلى منطقة قاو عاصمة إمبراطورية سنغاى الإسلامية و ذلك فى بدايات القرن الثامن عشر الميلادي، استقروا داخل مدينة قاو فى حى فيرنجيرى بالقرب من مسجد اسكيا محمد و ذلك فى عهد سيطرة الارما على امبراطورية السنغاى أي بعد الغزو المغربي للإمبراطورية ، ويعرف عنهم أنهم بيت علم ودين ، التف حولهم بعض العائلات الفولانية التي كانت قد سبقتهم الى قاو كعائلة احمن شيكو و سمباجو وغيرهم، فى أثناء تواجدهم فى قاو أطلق عليهم اسم القابيرو وهى تعنى بلغة السنغاى قا : المكان ، بيرو : الكبير والمعنى المكان الكبير، الرواية الأولى تشير أن الاسم اطلق عليهم من قبل جيرانهم السنغاى والارما سخرية لصغر حجمهم والرواية الثانية تقول: ان جدهم هو من اطلق عليهم الاسم تيمناً [21]. وفى ذات الإطار يفسر محمد محمود كلمة قابيرو بالمجموعة كبيرة العدد بلغة السونقي وأن سبب هذه التسمية أن مجموعة من الفولان هاجرت من منطقة ماسنا بحوض النيجر في بدايات القرن الثامن عشر للميلاد تقريبا إلي منطقة قاو بمالي واختلطوا بمجموعة سكانية تعرف بالسلنقي وهم الأصل أيضا كانوا فرع من الفولان هاجروا إلى هذه المناطق في فترة أقدم مع الوضع في الإعتبار أن الحدود الجغرافية والسياسية الحالية لم تكن موجودة، فأطلق عليهم السكان الأصليين اسم قابيرو تحقيراً لهم لقلة عددهم[22]، وينسبهم البعض إلي مدينة قاو،وربما هذا الاسم صلة بإمارة غبيرو التى إنطلق منها ثورة الشيخ عثمان دان فوديو[23]. ويطرح عبدالحسيب عبدالله الشريف تساؤلا مهما وهو؛ هل قابيرو قبيلة؟ ثم يحاول أن يجيب عليه بقوله: من المفترض أن يكون جميع أفراد القبيلة من سلف واحد - من المفترض أن يتحدث جميع أفراد القبيلة لهجة واحدة من اللغة - من المفترض أن يكون لجميع أفراد القبيلة ثقافة مشتركة -كلمة Gabero ليست اسما لقبيلة - مؤسسو Gabero هم عائلات من أصل الفولاني - تتكون Gabero بشكل أساسي من عائلات الفولاني التي تنتمي في الأصل إلى عشائر الفولاني المختلفة - تسببت الإقامة الطويلة لهذه العائلات بين أفراد سونغهاي والزواج المتكرر مع Songhay وغيرها من الجماعات المندمجة في أن يكون Gabero من الفولاني العرقي وينتمي لغويًا إلى Songhay - لقد حافظوا على طريقة عيشهم الفولاني ، بينما يقول لسانهم شيئًا آخر - اختلافهم عن الفولاني في اللغة والتشابه مع أسلافهم الفولاني يجعلهم مزيجًا مميزًا وهوية جديدة هي كائن اجتماعي بين شعب الفولاني والمجموعات الناطقة بلغة سونغاي من جيرانهم في المنطقة -مما يجعل قضية Gabero أكثر تعقيدًا هو العناصر الأخرى غير الفولانية التي انضمت إلى Gabero منذ فترة طويلة وأصبحت جزءًا من هوية Gabero ، لذلك فإن أفراد Gabero هم مزيج من عائلات من أصول مختلفة [24]. وجملة القول حول هذا الموضوع- على حسب إفادة محمد محمود- أن معظم المكون الأثنى للقابيرو أصوله فولانية واختلطت مع هجرات أفراد وجماعات قليلة العدد من بقايا دولة الاندلس من الأمازيغ وطوارق وعرب مغاربة ويشهد على ذلك تباين سحناتهم من

اللـون الابيـض والاسـمر وفحوصـات(DNA) التـي اجريـت لبعـض افـراد منهـم. وفقـد القابـيرو لغتهـم الأصليـة وصـاروا يتحدثـون لغـة السـونقي إلي جانـب اللغـة العربيـة لغـة القـرآن الكريـم، ولهـم طبـل مـن الفخـار كرمـز للسـلطة(25)، (أنظـر: صـورة رقـم1).

صورة رقم (1)

الطبل رمز السلطة عند القابيرو

هجرة القابيرو إلي السودان:

أمـا عـن هجـرة القابـيرو، تاريخهـا، أسـبابها، خـط سـيرها والصعوبـات والمخاطـر التـي واجهتهـم أفـاد الـسر النـور بتسـجيل صـوتي فيهـا تفصيـل وأفـئ نـورد جانبـاً منـه لأهميتـه فقـد ذكـر بـأن هجـرة القابـيرو مـن قـاوا بـدأت عـام 1898م لأسـباب عديـدة منهـا الخلافـات الداخليـة التـي أضعفـت القابـيرو

بسبب الصراع حول الزعامة بعد وفاة أبوبا عثمان الذى كان قد خلف خاله كنو كوركا تم إختيار إبنه مودو خليفة له، ولكن نازعه على الخلافة أخيه الطموح شينو فتنازل له مودو، فظهر له منافس آخر هو حافظو شيتي، وفي ظل هذه الإنقسامات قتل بعض القابيرو أحد افراد قبيلة الطوارق القوية وأصحاب السطوة في تلك الفترة، فخشى القابيرو من بطشهم فقرروا الهجرة، وهناك عامل آخر سارع في ذلك وهو وصول الجيوش الفرنسية إلي غرب أفريقيا وسيطرتها على عدد من الممالك الإسلامية منها مملكة الفوتو عام 1891م ، وقد راسل أمرائها الغابيرو الذين يشاركونهم الطريقة الصوفية التيجانية، وحذروهم من أن الفرنسيين المسيحيين قد يجبرونهم على تغيير دينهم الإسلامي لهذه الأسباب وغيرها ساهمت في عملية هجرة القابيرو الذين تحركت قوافلهم من قاو قاصدين الأراضى المقدسة في الحجاز مما يضفي على هجرتهم هذه بعدا دينياً. وعبروا نهر النيجر للضفة الشرقية، وعند وصولهم إلى إيرو وهي منطقة حدودية بين مالي والنيجر تعرضت القافلة لهجمات الكورتي أحد فروع الفولان ولكن القابيرو نجحوا في صدهم، وواصلوا سيرهم حتى وصلوا منطقة فلنجي الجبلية. وكان ثراء القافلة وكثرة ماشيتها من الأبقار جعلها مطمعا لأهل فلنجي وغيرهم، ولكنهم بحسن تدبيرهم وبفضل فرسانهم تمكنوا من التخلص من كل المؤامرات والمكائد التى تعرضوا لها وواصلوا رحلتهم التى امتدت لفترات زمنية طويلة لأنهم عند كل فصل خريف يقومون بالزراعة والحصاد في المكان الذي يتواجدون فيه من أجل توفير القوت ورعي ماشيتهم، وفي الطريق تجدد الصراع القديمة بين حافظو الذي قرر الرجوع إلى قاوا وشينو الذى استمر في رحلته حتى وصل إلى منطقتي قومبي وبوشى شرق نيجيريا للعبور إلي تشاد، وتزامن تواجدهم مع وصول قافلة محمد طاهر(طاهرو) ملك سكوتو بعد تعرضه لهجوم الانجليز عام 1903م وكانت وجهته الشرق حيث الأراضي المقدسة، ولكن لاحقه الإنجليز واعترضوا سبيله مما أضطر محمد طاهر للإستنجاد بالمسلمين في المنطقة وناصره الزعيم شينو، وكانت معركة بورمي التى إنتصر فيها الإنجليز وقتل فيها عدد كبير من القابيرو الذين وصلوا فيما بعد إلي تشاد وهناك ترامى إلي مسامعهم أن سلاطين الفور والداجو يطلبون من علماء غرب أفريقيا المكوث معهم لتعليم أبناءهم لذا توجهوا إلى إفريقيا الوسطي إلي كافقنجي وقبل الوصول إليها إنقسم القابيرو إلي مجوعتين الأولي بقيادة كوزينو التى واصلت سيرها إلي كردفان ووصلت الي منطقتي كلبا وعلوان تقريباً مابين عامي (1908 - 1910م)، وهناك رحب بهم الإنجليز من أجل الاستفادة منهم كأيدي عاملة في مشروع جبال النوبة لزراعة القطن قصير التيلة وأسكنوهم في البرداب. أما المجموعة الثانية فكانت بقيادة تيشنو الذى مرض وتوفي في كافقنجي، وكان سبباً في تأخرهم وخلفه أخيه الرفاعي الذى عندما وصل كردفان الي كلبا وعلوان، علم بأن الإنجليز جعلوا كوزينو زعيماً على مجموعة القابيرو والأغراب الأفريقيين في البرداب، فلم يرضه ذلك ففضل أن يتوجه مع مجموعته إلي النيل الأزرق وعملوا في خزان سنار ومشروع الجزيرة ومشروع ، وأسسوا قري أبو جيلي 1928م ثم الحجيرات الحجيرات الخ...[26]. ويضيف العمدة عثمان محمد الشريف في تسجيل لفيلم توثيقي عن هجرة القابيرو بأن الهجرة تمت بعد دخول الفرنسيين والانجليز في غرب أفريقيا، وأصدر الشيخ عثمان بن دانفودي كتاباً بوجوب الهجرة للحفاظ على خوفا من الكفار، ودخل

القابـيرو السـودان مـن كابقنـدي الواقعـة بـين دارفـور وبحـر الغـزال ومنهـا إلى المجلـد ثـم كيلـك بغـرب كردفـان ثـم أبـو سـنون ومكثـوا بهـا اربـع سـنوات ومنهـا انتقلـوا إلى كادوقـلي عـام 1904م واسـتقروا بهـا لمـدة سـبعة أو ثمانيـة سـنوات وكانـوا في هـذه الفـترة يذهبـون إلى منطقـة البرداب للزراعـة ثـم يعـودون لعـدم وجـود المـاء هنـاك في الصيـف، ولم يـرض الإنجليـز تواجدهـم بكادوقـلي حتـى لا يقومـوا بنـشر الإسـلام هنـاك فسـاعدوهم في الاقامـة بالبرداب(27)،(أنظـر: خريطـة رقـم (5)).

خريطة رقم (5)
(نقلاً: عن شبكة الإنترنت)

البرداب مركز القابيرو:

أصبحت منطقة البرداب مقراً للقابيرو ومجموعات أخرى وأوردنا أن السبب الرئيس في استقرارهم في البرداب أن الإنجليز كانوا بحاجة إليهم كعمال لزراعة القطن قصير التيلة بمشروع جبال النوبة على حسب روايات القابيرو، ووردت رواية أخرى بأن الملك محمد رحال _ ملك كادوقلي_ هو من أواهم وأسكنهم فى البرداب، ولعل من الأوفق هنا الإشارة لسياسة الإدارة البريطانية فيما يتعلق بالمهاجرين من غرب إفريقيا في جبال النوبة والتي اعتمدت على عدم الرغبة في هجرات غير محدودة ومفتوحة خوفا من الإفتئات على الأراضي الصالحة للزراعة على حساب المجموعات المحلية من النوبيين، وفي ذات الوقت رأت أن إبعاد كل المهاجرين عديم الجدوى لذا قررت أن من المصلحة ضبطهم وتقليل أعدادهم وخاصة أن هؤلاء المهاجرين -فى نظرهم- سلسى القيادة ومطيعين للقانون وعاملين دؤوبين- فسمحت للمستوطنين من الفلاتة بإقامة معسكرات زراعية في البرداب وكإجراء تحوطي إستحدثت نظام الأذونات التي تفرض على كل أسرة مهاجرة استخراج أوراق تتضمن موافقة السلطات المحلية(28). وسنركز فى هذه الجزئية بالتعريف بالبرداب مستقر أجداد مجموعة من القابيرو ساهمت بصورة كبيرة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في جبال النوبة.

تقع منطقة البرداب جنوب غرب مدينة كادوقلي بحوالي (27)كلم على الطريق الرئيس المؤدى إلى كادوقلي، وهي جزء من الريف الشرقي لجنوب كردفان، وتعتبر من أخصب الأراضي التي تزرع فيها القطن قصير التيلة، أما عن معنى كلمة البرداب فهنالك عدة تعريفات وأورد العمدة الشريف في كتابه:(فضائل الزراع والحراث والفلاحين) تعريفا للبرداب وذكر:» ... وقرية البرداب أي البارد أي الثابت أي البريد المرتب ...» [29]. و يقال أن اسمها من اسم صياد سكنها مبكراً، يسمى البرداب، وأورد حامد يحيي المأمون تعريفاً جاء فيه ان البرداب من البردبة،وهي صوت أرجل الثيران،وعندما يفيض خور البرداب تسمع له صوت يشبه البردبة، وأفاد الفكي مختار أن البرداب تعني، الرجل القوي [30].

هنالك عدة قرى تسمى،البرداب غير برداب الشريف (برداب كادوقلي)،وهنالك برداب تلودي قرب انقارتو، برداب الدلنج غرب الزلط على مسافة بعيدة قرب الجبال جنوب غرب الدلنج وبرداب الجبال الستة(كلدجي،وكرتالا وكلدجي، وكرورو، الدباتنة والكافير)، ولكن لا سكان بها،والسبب عندما وصل البقارة الرحل اليها، من ضواحي كادقلي، وجدوا فضاء الجبال وبها هواء بارد، وشبهوه بالبرداب، كتذكار عزيز[31]. ومن المعالم الجغرافية البارزة في البرداب، خور البرداب ينبع من منطقة جلد بضم الجيم بالقرب من مدينة الدلنج شمال كادقلي يمر هذا الخور بالبرداب إلي قرية ميري والتي بها خزان بناه المستعمر الإنجليزي بعد قرية ميري يصب الخور في بحيرة كيلك غرب مدينة كادقلي[32](أنظر: صورة 2)، وقرية البرداب تربتها خصبة قابلة للزراعة وملائمة لإنتاج المحاصيل المختلفة، وصالحة لتربية المواشي التي هي مصدر ثروة الفلاتة ومورد رزقهم[33].

صورة رقم (2)

خور البرداب

عمودية القابيرو والأغراب الأفريقيين في السودان:

ملامح من تاريخ النظام الإداري:

يشير محمد عيسى في كتابه عن الإدارة الأهلية إلي الغموض الذي يكتنف تعريف هذا المصطلح رغم شيوعه وظهوره في فترة الحكم الثنائي(1899 - 1956م)(34).ولكن فى جوهره امتداد لنظام إداري محلي قديم، ونورد هنا- وأظنه كافياً- ما جاء في موقع ويكيبيديا من عرض موجز عن ملامح وتاريخ الإدارة الأهلية في السودان بإنها نمط من أنماط الحكم التقليدي انتشر في بلاد السودان منذ عهود السلطنات القديمة كسلطنة الفونج والعبدلاب وممالك التنجر و تقلي والمسبعات، وأخيراً سلطنة دارفور وغيرها من مراكز السلطة في سودان وادي النيل، وتطور هذا النظام خلال التجربة التاريخية للحكم في السودان. وهي بمفهومها العام تعنى إدارة القبائل ممثلة بزعمائها لشئون المناطق والوحدات الإدارية التابعة لها من خلال قواعد العرف والعادات والأخلاق في ظل إشراف السلطة المركزية ورقابتها، وتتمتع بموجب النظم الإدارية بمجموعة من الصلاحيات والسلطات والاختصاصات المحددة وتؤدي مهام معينة تتعلق بقضايا المواطنين في الوحدة الإدارية المعينة التابعة لها

في عهد الحكم التركي (1885-18821م) اهتمت بالإدارة الأهلية وكانت من أهم العوامل التي أدت إلى طول أمد فترة ذلك النظام الممتد من عام 1821م وحتى عام 1885م، نسبة لاستعانته بها في حفظ الأمن وتحصيل الضرائب.

أما في عهد الدولة المهدية (1885 - 1899م) ناصر زعماء القبائل الإمام محمد أحمد المهدي مؤسس الدولة المهدية وناصروه في ثورته ضد الحكم التركي للسودان وساهموا في نجاحها،

ولكن بعد تحول المهدية من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة قامت قيادة الدولة المهدية ممثلة في الخليفة عبدالله التعايشي بعزل بعض زعماء القبائل واستعاضت عنهم بآخرين من أصحاب الولاء للفكرة المهدية كما قامت بزج البعض الآخر في السجون لعدم ولائهم للمهدية مما أدى إلى تصدع في بنيان الإدارة الأهلية.

بعد سقوط دولة المهدية اعتمد الحكم الثنائي الإنجليزي المصري في السودان(1899 1956-م) نظام الإدارة الأهلية في البادية وبشكل خاص المناطق النائية عن المركز وذلك لانخفاض تكلفته وتقبله من المواطنين وتم تقنينها بقوانين ولوائح ومنشورات تحدد سلطاتها وأسلوب ممارستها التي شملت منح زعماء القبائل بعض السلطات القضائية والأمنية والإدارية، مما مكن زعامات هذه القبائل من الفصل في جميع أنواع الخصومات وضبط الأمن حسب الأعراف والتقاليد وقواعد الأخلاق في تلك المناطق. وقد استغل الحكم الثنائي نظام الادارة الأهلية ووظّفه لمصلحته، فقد كان الحاكم العام يوفد مندوبه إلى الناظر أو السلطان أو الشرتاي لإملاء توجيهاته والذين بدورهم يقومون بإنزال التوجيهات إلى مستويات الإدارة التي تدنوهم درجة كالعمدة والشيخ ثم الخفير، فكانت الجبايات والأتاوات المفروضة من الحاكم العام، يتم جمعها وتحصيلها عبرهم.

أما الهيكل الإداري والتنظيمي للإدارة الأهلية يأتي على قمته الناظر وهو زعيم القبيلة وهناك نوعان من النظار: ناظر القبيلة وناظر عموم القبيلة - عندما تكون القبيلة كبيرة تتكون من عدد من نظار القبائل الأصغر أو العشائر. ويلي الناظر العمدة الذي يدير العمودية وهي جزء من النظارة ثم الشيخ وهو الذي يُدير مشيخة عادة ما تكون حياً سكنياً في الحضر أو قرية في البادية ويطلق عليها حلة (بكسر الحاء وتشديد فتح اللام) أو فريق للرُحل، وله سلطات ومجموعة من الأجاويد أي المحكمين أو المستشارين الذين يساعدونه في عملية تسوية قضايا منطقته، ويتبع الشيخ كل من العمدة والناظر ويأتي في قاعدة الهرم الخفير وهو الذي يتولى مهام الحراسة أو تنفيذ الأوامر قسراً وقد يكون مسلحاً بسلاح ناري تقليدي أو يرتدي زياً عسكرياً لتمييزه عن غيره.

في فترة الحكم الثنائي فقد تم تعزيز الإدارة الأهلية بتنظيمها قانونياً بصدور قانون عام 1922م والذي منح بموجبه زعماء القبائل سلطات وصلاحيات كبيرة لإدارة شؤون قبائلهم ومجتمعاتهم المحلية، وإدارة الأرض ومواردها، وفض النزاعات القبلية، إضافة إلى النظر في الأحكام العُرفيَة بين القبائل. وهو القانون الذي استبدله حاكم عام السودان جون مفي عقب ثورة اللواء الأبيض عام 1924ى م، بقانون سلطات المشايخ لعام 1927 ومن أهم بنوده إنشاء وظائف جديدة في هياكل الإدارة الأهلية كتقدير الضرائب، والاشتراك في جمعها، وفي كيفية إدارة بعض الخدمات الاجتماعية كخدمات الأسواق؛ ونقل النفايات، ودفع مرتبات اعضاء الإدارة الأهلية. أمّا في عهد حكومات ما بعد الاستقلال فقد دخلت الإدارة الأهلية في معمعة السياسة وتم تجريدها من بعض صلاحياتها التقليدية، ففي عهد الرئيس جعفر نميري 1985-1969 صدر قانون الأراضي غير المسجلة سنة 1970 م وبموجبه تم تحويل ملكية الأراضي للدولة بما فيها الحواكير التي كان يعتمد

رجالات الإدارات الأهلية على مواردها في دارفور، ثم صدر في العام نفسه قراراً بحل الإدارة الأهلية في السودان (35).

العمدة الشريف عبد الله (كوزيني):

أول عمدة للقابيرو والأغراب الأفريقيين في السودان هو الشريف عبد الله بن محمد الصديق، الذي سنة 1875م تقريباً في قرية قاو بجمهورية مالي ،ووالدته هي جميلة بنت الصالح عثمان بدأ تلقى تعليمه الدينى في البيت على يد والدته ثم والده لاحقاً بعد أن أكمل حفظ القرآن الكريم على يديها، وهي عادة درج عليها سكان غرب إفريقيا تقضي بأن يحفظ الناشئ القرآن الكريم في بداية تعليمه اعتقادا منهم: أن دراسة القرآن الكريم تعوَد الطفل أن يكتب، وأن يتكلم بلغة فصيحة وأنه يحميه من الرذائل، واصل الشريف عبدالله في حله وترحاله وتتلمذ علي يد عدد كبير من العلماء، وكان للشيخ عبد الله مكتبة غنية تحوي أمهات الكتب في مختلف العلوم ومن هذه المكتبة ومن خلال اكتسابه للعلم من معاشرته للعلماء توسعت مداركه وأنارت له الطريق لتأليف كتابه (فضائل الزراع والحراث والفلاحين) في شكل مخطوطة سنة 1940م(36). وفي تعريف مواز لإبنه عبد الحسيب استلهم ثقافة القابيرو والأسماء المستخدمة في لغة السونغي يتناول سيرة هذا الزعيم الملَهم نورده كما هو: «واسمه كوزيني امّدو ماول الذى بدأ نجمه في الظهور وكان يتيم الأب ولكن والدته وي هنّا الصالحا عثمانا همّدي بنكو « هي إبنة عم سينو ابوبا « سعت إلى تعليم ابنيها كوزيني وسمبا امدو ماول. وكانت تدفع بهم للتعليم تحت المطر وزمهرير البرد وقسوة الجوع حتى تعلما وصار سمبا أحمد سمبو ضليعاً في الفقه وصار كوزيني ضليعاً في علوم اللغة وعلم الباطن حتى قيل بأنه الوحيد في القابيراويين من يفهم لغة وإشارات ورموز إمام العارفين القطب الاكبر محي الدين بن العربي.

ساعد الشريف عبدالله « كوزيني خاله (ابن عم أمه) الزعيم سينو، وتولى عنه الكثير من المهام وبدأ ينهل منه حب الرئاسة والتصدي للقيادة ، وكان كوزيني تلميذاً نجيباً استوعب كل خبرات سينو وكان عمره 25 عاماً. وفي هذه الفترة بدأ الحديث يدور حول كرامات كوزيني « مثل تفجير مياه برك»وغيرها من الحكايات التي يستخدمها البعض لتطعيم مجالس السمر، وعندما ظهرت الإرهاصات الأولى لدخول القابيراويين منطقة سيادة الثقافة العربية الاسلامية استقبلها كوزيني بإبراز المؤهلات المناسبة التي تفيد في هذه المرحلة فأخرج من أضابير التاريخ وتشبعه بالثقافة الاسلامية لقب الشريف الذي لازمه في حياته واورثه لأبنائه واحفاده.

قرر القابيراويون مغادرة فوربنقا عن طريق كفياقنجي التى توفي وقبر فيها الزعيم سينو؛ حزن الشريف عبدالله (كوزيني)على وفاة قائده ومعلمه وخاله وأب أبناء اخته، وتسلّم المسؤولية -قيادة جناح سينو - دون عمامة أو طبل وليس معه سوى قليل من القابيراويين. وصلت مجموعة الشريف كلبا عام 1912م مروراً بدارال رزيقات - وبدأ انجليز مركز كادقلى يفاوضونه في أن يكون مسؤولاً ادارياً ليس للقابيراويين وحدهم بل كل من يأتي من جهة الغرب من الفاشر إلى فوتا وقبل الشريف هذا العرض وبدأ الانجليز في مرحلة لاحقة في توظيف قدراته التنظيمية والإدارية في الإعداد لزراعة القطن قصير التيلة لأول مرة في جبال النوبة.

أقام الشريف عبدالله في جبال النوبة وأسس ومن معه قرية البرداب بنظام إداري قوامه العمدة الشريف وشيوخ كثر منهم شيخ فلاته وشيخ برنو وشيخ هوسا وشيخ الدينكا وشيخ السلامات، وعندما جاء محمد حقار حنفي ابن السلطان حقار حنفي أبقاه الشريف عبدالله عنده وجعله شيخاً على الفور في البرداب تقديراً لمواقف أبيه، وكان مجيء محمد حقار بحثاً عن أخيه تاجر بالسلاح فدلّوه على البرداب ليكتشف الشريف بأنه ابن السلطان حقار - بقى محمد حقار بجوار العمدة ، وفي البرداب رغم الحروب و مغادرة الكثير من أهل البرداب للقرية - وأخيراً إنضم إليه الفلّان الرعاة اهل البادية...»[37].

كان لقب الإداري للشريف عبدالله هو عمدة الأغراب الأفريقيين المزارعين وكذلك عمدة البرداب، كما جاء فى كتابه(فضائل الزراع والحراث والفلاحين)، والذي فرغ من كتابته ليلة الخميس في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني لسنة اِحدى وستين وثلثمائة، الموافق عام 1942م. وذكر في مقدمته»...يقول العبد الفقير. ذو الظن الجميل ذياك الشريف عبدالله محمد الفلّاني القابيراوي نسباً, القاطن في اِقليم كردفان التابع لمديرية الأبيض البيضاء مركز كادقلي جبال النوبة القرير وقرية البرداب ... صناعتي الزراعة وعملي عمدة الأغراب الأفريقيين المزارعين ...»(38)، ولعلنا نقف هنا عند مصطلح الأغراب للتوضيح ،والمراد به هو المنحدرون من غربي أفريقيا، وأما كلمة الغرابة المتداولة في السودان فيقصد بها القاطنون غربي السودان (39).وكذلك استخدم لفظ الغربيون في السودان للدلالة علي العناصر الوافدة من غرب أفريقيا(إقليم السافنا الجغرافي بمعناه الواسع في إفريقيا) عموماً دون الإشارة إلي سلالة بعينها[40].

آلت العمودية لمحمد بعد وفاة والده العمدة الشريف عبدالله سنة 1960/1961م، وولد العمدة محمد الشريف عبدالله عام1914م بمنطقة كفياقنجي وهو الابن البكر لوالده العمدة الشريف عبدالله عمدة قرية البرداب، وقد نشأ العمدة محمد الشريف في كنف والده العلامة العمدة الشريف وكان مقرباً جداً من والده بحكم أنه الإبن الأكبر، ونهل العلم من معين والده وعلماء آخرين فحفظ القران الكريم، وتلقى العلوم الدينية على المذهب المالكي (41)، (صورة رقم 3).

صورة رقم (3)

العمدة محمد الشريف

الخاتمة:

إن إقليم كردفان بموقعه الوسط في السودان، وبموارده الطبيعية المختلفة، وبتسامح أهله، كان محطاً للكثير من الهجرات البشرية التي تمازجت مع السكان الأصليين، لتشكل اليوم ما يعرف بالمجتمع الكردفاني والذي يتكون من ثلاث مجموعات، وهي:

المجموعة الأولى: النوبة(النوبا)

المجموعة الثانية: البقارة

المجموعة الثالثة: الأغراب الأفريقيين.

وكان تركيزنا في هذا البحث على المجموعة الثالثة لارتباطها المباشر بموضوع البحث، ولأنه يمهد له، ومعلوم أن السودان ظل يمثل مهجراً لسكان غرب أفريقيا من أزمان بعيدة، وكان طريقاً ومعبراً للحجاج المسلمين الي الأراضي المقدسة، ثم ازدادت هذه الهجرات مع بداية الاستعمار الأوربي لممالك غرب أفريقيا، كما كان لقيام الثورة المهدية في السودان من العوامل التي تزايد وتيرة هذه الهجرات.

إن تعدد الروايات حول أصول القابيرو يمكن إرجاعها إلى مجموعة القابيرو تشكلت من عدة إثنيات من القبول بالآخر والتسامح الاجتماعي خلال فترات تحركاتها من منطقة لآخري عبر فترات تاريخية طويلة مما يجعلها أقرب إلى مجموعة ثقافية أو قومية.

وقد مثلت هجرة القابيرو من قاو في مالي حتى وصولهم منطقة البرداب في جنوب كردفان أنموذجاً جيداً لشرح أسباب وتفاصيل الهجرات المماثلة التي ونقترح القيام بعمل فليم توثيقي يرصد هذه الهجرات. كما أن استقرارهم في البرداب خلال هذه الفترة يعكس روح السلم الاجتماعي التي تحملها ثقافة المهاجرين وأصحاب الأرض.

ترجع نشأة الإدارة الأهلية الي عهد السلطنات السودانية القديمة ،وارتبطت بتاريخ نشأة مملكة الفونج ومملكة التنجر ومملكة الفور كما يري بعض المؤرخين، وحينما جاءت المهدية استصحبت التكوين القبلي الذي يمثل روح الإدارة الأهلية ، وعملت علي تكريس ذلك النظام واسبغت علي زعماء الإدارات الأهلية الألقاب والرتب وأصبحوا أمراء عززوا من قدرات وانتصارات الثورة المهدية في مقاومتها للمستعمرين ،لم يستطع الإنجليز تجاوز ذلك النمط الإداري في حكمهم للسودان بل عملوا علي تهجينه وتطويره مع ما يتماشى ورغبتهم في احكام قبضتهم علي البلاد ، فعززوا من دور قادة الإدارات الأهلية، الذين وشكلوا عاملاً مشاركاً في إدارة البلاد، ولأول مرة تم إنشأ أول عمودية لهولاء المهاجرين تحت اسم عمودية القابيرو والأغراب الأفريقيين بقيادة زعيم القابيرو الشريف عبد الله (كوزيني)، لتكون أساساً لإندماجهم في النظام الاجتماعي والإداري في السودان.

المصادر والمراجع:

(1) عوض عبدالهادي العطا، تاريخ كردفان السياسي في المهدية(1899-1881م)،(السودان: وزارة الثقافة والإعلام، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون،1973 م)، ص21.

(2) معنى كلمة كردفان، موسوعة ويكيبيديا،(ar.m.wikipedia.org).

(3) عوض عبدالهادي العطا، المرجع السابق،ص9.

(4) إدريس حسن تية، الصراع في جبال النوبة(1985-1956م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النيلين،2019م، ص13-11.

(5) نفس المرجع ، ص 13-12,

(6) نفس المرجع، ص19-15.

لمزيد من التفاصيل، راجع:

(7) نفس المرجع، ص 22-19.

لمزيد من التفاصيل، راجع:

(8) بدوي رياض عبدالسميع، حجاج غرب إفريقيا في منطقة الجزيرة بالسودان(1925 - 1966م)،في: مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، الخرطوم،28 - 29نوفمبر 2016م،(الخرطوم: الأمانة العامة لسنار عاصمة الثقافة الإسلامية2017م) الكتاب الثالث، وصف الطرق وآثارها،ص140.

(9) شريف محمد شريف، توطن العناصر الأفريقية الغربية بالسودان، فى: عبدالله عبد الماجد إبراهيم، الخرطوم الشعب الدعاة في مقالات الباحثين وكتابات المؤرخين وبحوث المختصين، ط١ ،(بيروت: مؤسسة الرسالة،2001م)،ص461.

(10) لمزيد من التفاصيل، راجع: بازل دافيدسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال محمد أحمد، (بيروت،1961م).

(11) www.google .com) شادية السيد الحسن، دور رحلة الحج بالسودان: ولاية كسلا

(12) نفس المرجع.

(13) مزدلفة عمر محمد ثاني، التاريخ الإجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة(2006-1900م)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة الخرطوم،2007م، ص16-15.

(14) مهدي رزق الله أحمد،(دولة الفولانى الاسلامية)، في: عبدالله عبد الماجد، المرجع السابق، ص100.

(15) (15)عبدالله عبد الماجد إبراهيم،(الفلاتة أو الفولان:من هم؟)، فى: عبدالله عبد الماجد إبراهيم،المرجع السابق، ص٢٥٦.

(16) مزدلفة عمر محمد، المرجع السابق،ص16.

(17) أحمد إبراهيم دياب،(جهاد الفلاني في القرن التاسع عشر) ،في: عبدالله عبد الماجد إبراهيم،المرجع السابق، ص 116.

(18) مزدلفة عمر محمد، المرجع السابق،ص19.

(19) شريف محمد شريف،(توطن العناصر الإفريقية الغربية بالسودان)،في: عبدالله عبد الماجد إبراهيم،المرجع السابق، ص٤٩٩-٥٠١.

(20) النسابون العرب، (alnssabon.com)

(21) القابيرو، (gaberofamily(gaberohome.blogspot.com).

(22) الراوي محمد محمود عمر، معلم لغة إنجليزية بالمدارس الخاصة بود نوباوي، العمر:54عام، التواصل عبر الواتساب.

(23) يوسف فضل حسن، أثر حركة عثمان دانفوديو على دعوة المهدية في سودان وادي النيل)،في: عبدالله عبد الماجد إبراهيم،المرجع السابق، ص129.

(24) الراوي:عبد الحسيب الشريف عبد الله، معلم سابق، يعمل الآن بدولة قطر، باحث في التاريخ، التواصل عبر الواتساب.

(25) محمد محمود عمر، الراوي السابق.

(26) تسجيل صوتي من السر النور إبراهيم، طبيب صيدلي ومترجم، يعمل بالمملكة العربية السعودية، التواصل عبر الواتساب.

(27) تسجيل في فيلم توثيقي، العمدة عثمان الشريف عبد الله، شبكة الانترنت.

(28) عطا حسن البطحاني، جبال النوبة: الأثنية السياسية والحركة الفلاحية(1969-1924م)، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2009م) ، ص 114.

(29) الشريف عبدالله الفلاني القاباراوي، فضائل الزراع والحراث والفلاحين،(طبع بمطابع التحرير،(ب.ن))، ص3.

(30) الراوي: محمد حامد إبراهيم،معلم بمدارس كادوقلي، من مواطني البرداب، التواصل عبر الواتساب.

(31) نفس الراوي.

(32) محمد محمود، الراوي السابق.

(33) عمر اسحق أبكر، مرجع سابق، ص 40.

(34) محمد عيسي عليو، الإدارة الأهلية من المهد إلي اللحد-دراسة عننظام الإدارة الأهلية وتطوره(1970-1922م)، (الخرطوم:شركة مطابع العملة المحدودة،2015م)، ص17.

(35) الإدارة الأهلية في السودان، موسوعة ويكيبيديا،(ar.m.wikipedia.org).

لمزيد من التفاصيل، راجع: محمد عيسى عليو، المرجع السابق.

(36) الشريف عبد الله، المصدر السابق، ص3.

(37) عبد الحسيب الشريف عبد الله، الراوي السابق.

(38) عمر اسحق أبكر آدم،دراسة تحليلية لكتاب(فضائل الزراع والحراث والفلاحين) للشيخ الشريف عبد الله محمد ،رسالة لنيل درجة الدكتوراة، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية-كلية الآداب-جامعة ميدغري ، 2005م، ص 28-8.

(39) الراوي:عمر محمد الشريف عبد الله ، مستشار قانوني، التواصل عبر الواتساب.

(40) بدوي رياض عبد السميع، مرجع سابق ، ص144_ه1.

(41) عبدالحسيب الشريف عبد الله، الراوي السابق.

أسواق عنيزة.. معالم وتاريخ

أ.مقبـــول بن يونس الـــزيلعي
طالب دكتوراه - قسم التاريخ والآثار - جامعة الملك خالد-أبها المملكة العربية

أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني
أستاذ التاريخ السياسي الحديث والمعاصر - قسم التاريخ والآثار جامعة الملك خالد-أبها - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

يتناول هذا البحث أسواق عنيزة.. معالم وتاريخ، والتي تعد من المواقع التاريخية الأثرية في المملكة العربية السعودية؛ إذ تتوافر فيها وما حولها متعة النظر التي ستحقق جانباً من رؤية 2030م في توفير موارد مختلفة للدخل الوطني غير النفط، وهو جانب السياحة. فقد تميزت عنيزة بميزات عديدة، ساعدتها على ازدهار الحركة التجارية فيها، فشهدت أسواقها نشاطاً تجارياً ملحوظاً؛ إذ ساهم وقوع على طرق التجارة القديمة الرابطة بين شرق الجزيرة العربية وغربها، ولما تمتعت به من مركز اقتصادي مرموق بين مناطق الجزيرة العربية الأخرى، فكانت هذه المنطقة تشبه المستودع الذي يمون المناطق المجاورة لها بكافة المنتجات والسلع. والهدف من هذا المشروع، دراسة هذه الأسواق بوصفها أحد العوامل المؤثرة في استقرار الحالة الاقتصادية؛ لذا فقد جاء هذا البحث ليبرز تاريخ هذه الأسواق ومدى اسهامها في مدى قوة اقتصاد البلاد إبان تلك الفترة التاريخية، ويؤمل أن يقد هذا البحث رصداً جيداً لتاريخ هذه الأسواق التجارية في عنيزة. وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة. تناول التمهيد لمحة موجزة عن الأسواق في المملكة العربية السعودية، ثم عرَّجنا على المبحث الأول والذي خصَّص للحديث عن أسواق عنيزة ومعالمها التاريخية والأثرية. ثم ختمنا بالخاتمة التي استُعرض فيها خلاصة الأدوار التاريخية التي دُرست خلال فترة البحث.

كلمات مفتاحية: أسواق، عنيزة، معالم، وتاريخ.

Unaizah Markets: Landmarks and History

A.Maqbool bin Yunus Al-Zailaei
Prof.Saeed bin Mushabab Al-Qahtani

Abstract:

This research explores the markets of Unaizah—its landmarks and history. These markets are considered historical sites in Saudi Arabia, offering visitors a visual delight and contributing to Vision 2030 by providing new sources of national income beyond oil, particularly through tourism.Unaizah has many characteristics that have helped it thrive as a center for trade. Its markets have been active due to its location along ancient trade routes connecting eastern and western Arabia

and its respected economic status in the region. Unaizah has served as a supply hub, providing neighboring areas with various goods and products.The aim of this project is to study these markets as key factors influencing economic stability. This research highlights the history of these markets and their impact on the country's economy during that period. It is hoped that this study will document the rich history of Unaizah's commercial markets.The research includes an introduction, a background section, a main chapter, and a conclusion. The background gives a brief overview of markets in Saudi Arabia, while the main chapter focuses on Unaizah's markets and their historical and cultural significance. Finally, the conclusion summarizes the historical roles of the markets studied.

المقدمة:

كانت ومازالت شبه الجزيرة العربية منطقة جذب للشعوب لما أودعها الله من موقع استراتيجي وكنز تاريخي أثري؛ إذ حوت على أرضها الكثير من الحضارات على مر العصور. هذا الاستقطاب البشري لهذا الاقليم جلب المنفعة على أهلها، فانتعشت التجارة وطرقها. وعندما حبى الله لهذه الأرض المباركة، بقيادة رشيدة تمثلت في الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود-رحمه الله-، أعاد حكم الآباء والأجداد، وبدأ في ربط أقاليمها المترامية، هذه الأقاليم المختلفة بتضاريسها، وعادات أهلها، وما فيها من كنز تاريخي عريق، يتمثل في أهلها أولاً، والإرث التاريخي الموجود بها ثانياً، فتوحد هذا الكيان الكبير تحت مسمى المملكة العربية السعودية، وكان لهذا التوحيد دور ايجابي في دفع عملية التنمية والازدهار في المملكة العربية السعودية، واكتشاف معالمها التاريخية والأثرية، والتي ينبغي منا كمهتمين بتاريخ وآثار هذه البلاد المباركة، في التعريف بها، وتسليط الضوء على جانب مهم في عوامل الجذب والاستثمار، وهو عامل السياحة. ومن هذا المنطلق جاء اختيار هذا البحث والذي وسمته بـــ« **أسواق عنيزة.. معالم وتاريخ**»، والتي تعد من المواقع التاريخية الأثرية في المملكة العربية السعودية؛ إذ تتوافر فيها وما حولها متعة النظر التي ستحقق جانباً من رؤية 2030م في توفير موارد مختلفة للدخل الوطني غير النفط، وهو جانب السياحة.

تمهيد:

تُعد الأسواق مركزاً اجتماعياً واقتصادياً لها مكانتها الخاصة، فيؤمها عامة الناس؛ البائع منهم، أو المشتري، أو الزائر، فهي تشكل مجتمعاً بأسره، فهي ملتقى للغادي والرائح. وهي أشبه ما تكون بالأندية الأدبية، ففيها يتناقلون الأخبار، ويتبادلون الأشعار، حتى أصبحت أفضل مكان للتواصل، ففيها تتم عملية البيع والشراء، وفيها يتعارف التجار ويكتبون أوراق بيوعهم وتجارتهم[1]، وقد انتشرت الحوانيت والمحلات التجارية والأسواق؛ إذ توافرت فيها معظم الحاجات كالمواد الغذائية، والملابس، والبضائع الأخرى الكمالية[2].

ويمكن تقسيم الأسواق في هذه الفترة إلى نوعين من الأسواق: الأسواق الثابتة أو الدائمة، والأسواق المتنقلة.

فالأسواق الثابتة هي التي لا تخضع لفترة زمنية معينة، أو لموسم معين؛ إذ يتم فيها البيع والشراء بشكل مستمر[3]، وتتمثل في المحلات التجارية التي تفتح يومياً كالحوانيت، والدكاكين المستقلة التي يسهل الانتقال فيها من محل لآخر[4].

أما المتنقلة؛ فهي التي تقام خلال يوم واحد من أيام الأسبوع، ويعرف السوق غالباً باسم ذلك اليوم، إذ تعرض فيه المنتجات المعمولة طوال الأسبوع، كما أن أغلب زائريه من البادية؛ لأنه بمثابة معرض لمنتجاتهم التي تصنع خلال أسبوع كامل، أيضاً يصعب عليهم إقامة هذه السوق كل يوم لما في ذلك من مشقة الطريق، إضافة إلى أن المشتري يكون بإمكانه توفير ما يريد شراءه دفعة واحدة.

أسواق عنيزة:

شكلت الأسواق في عنيزة عاملاً مهماً، أسهم في نمو المدينة وازدهارها على مر التاريخ؛ إذ إنها مثلت المركز التجاري لها، ومركزاً للحياة الاجتماعية. فمن خلالها كان يتجمع الأهالي ويتناقلون فيها الأخبار، كما كانت المركز الأساس الذي تمارس فيه السلطة السياسية، ومركزاً لتبادل السلع[5]، إما عن طريق المقايضة أو عن طريق النقد، ففيها يحمل المزارعون إنتاجهم من الخضروات والبرسيم، ومركزاً لبيع منتجات الحرفيين، أو ما تنتجه البادية ويجلبه البدو، كما توافرت فيها السلع المستوردة من الخارج عن طريق التجار من أهل عنيزة والمستقرين في عدة أقاليم. كما شهدت تلك الأسواق كثيراً من الصفقات التجارية التي كانت تعقد في الحوانيت، أو مع البائعين الجالسين على الأرصفة، فضلاً عن المزادات التي كانت تقام فيها؛ إذ يقام مزاد أسبوعي في سوق المجلس، ومزاد يومي آخر يعقد في سوق المسوكف[6]، التي تُعد الأشهر في عنيزة. وأسواق عنيزة طويلة متعرجة، يبلغ عرضها حوالي ثلاثة أمتار، وفيها ما يقرب من خمسمائة دكان[7]. وقد نافست عنيزة بريدة في أسواقها وتجارتها؛ إذ يقارن الشيخ حمد الجاسر، سوقها ونشاطها التجاري بسوق بريدة، قائلاً: « وما كان يضارع تلك المدينة في نشاطها التجاري سوى مدينة عنيزة، التي كان تجارها على صلة قوية بالبلاد الشرقية كالبحرين، حتى الهند، وفي البصرة، وبغداد، ومن هذه المدينة كان كبار تجار العرب في تلك الجهات، كآل البسام وغيرهم»[8]. وقد كانت هذه الأسواق محط إعجاب الرحالين الأجانب، فقد وصف الرحالة (داوتي) في رحلته لأحد الأسواق التجارية من حيث نشاطاتها التجارية قائلاً « ودكاكين التجار مؤثثة تأثيثاً جيداً، الطعام العادي رخيص في بريدة عنه في عنيزة، وفي عنيزة البن المكي أرخص من بريدة، والملابس الخليجية في عنيزة أرخص من بريدة، والتمر الذي يباع في القصيم، نوعية ممتازة جداً، ويباع بمعدل ثلاثين رطلاً بريالٍ واحد»[9]. وعن بضائعها يشير أيضاً: « ومن ضمن البضائع المتوافرة في أسواق عنيزة، إضافة إلى باعة الأطعمة والمأكولات، يجد الإنسان مختلف أنواع الأعشاب، والأدوية المستخدمة لعلاج البشر والحيوانات، وكذلك السكر، ومختلف أنواع البهارات، والأبازير، والأطياب، والصابون الشامي الذي

تجلبه قوافلهم من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي مكان منعزل يجد المرء أسواق الحريم، إذ يباع البصل، والبيض، والملح، والكبريت، والمسامير، والخبز، واللبن، وفي يوم الجمعة تغصُّ الأسواق والمجلس بالنساء المحجبات، اللائي يجلبن مختلف أنواع الطيور؛ من حمام، ودجاج، ومنتوجات زراعية، إضافة إلى القِربَ المدبوغة، والصملان»[10].

كما ذكر الرحالة (فيلبي)، أن في عنيزة ما لا يقل عن ألف حانوت في الأسواق الرئيسة والفرعية[11]. في حين يصف أمين الريحاني، أسواق عنيزة وطريقة بنائها ومعرفتها للغات الأجنبية، فيذكر: «وأكثر أسواقها كالسراديب[12]؛ لأنهم يبنون فوقها الجسور، وفوق الجسور البيوت، ولكنَّ هناك سوقاً للتجارة كبيرة منيرة، تدهشك بما فيها من الأشكال والألوان، فتذكرك بأمريكا وبلاد الإنجليز وتنقلك إلى الهند واليابان، وتسمعك اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والهندوستانية، ولهجات من العربية متعددة»[13]، في حين يشير حافظ وهبة، إلى شهرتهم التجارية التي أصبحت من السمات التي تميز بها مجتمع عنيزة؛ لتأصلها في نفوس أهلها فيقول:» اشتهر أهل عنيزة بلين الجانب، وبشاشة الوجه، وحسن لقائهم للأجانب، وهم مشهورون بالشجاعة، والاستعداد التجاري بفطرتهم»[14]. وللدلالة على أهمية أسواقها وعراقتها كما وصفها الرحالة؛ فقد روي أن الملك عبد العزيز- رحمه الله- حينما دخل عنيزة عام 1322هـ/ 1904م، مر بالسوق، فقال مبدياً إعجابه بأسواقها: « إني آمل أن تصبح الرياض في يوم من الأيام مثل عنيزة»[15]. وقد بلغت شهرة أسواق عنيزة أوجها، فيروى» أن عبدالله السليمان الحمدان، وزير المالية في تلك الفترة، في إحدى زياراته لعنيزة كان معه البوقري[16]– أحد كبار تجار مكة المكرمة-، فأحب الوزير أن يأخذه في جولة على أسواقها، وحين وصل إلى سوق الهفوف الذي يشتهر ببيع الأقمشة، هاله ما وجد فيها من حركة تجارية في مجال الأقمشة، فقال: أظن من أسباب رخص الأسعار في مكة المكرمة ما يصل إلينا من عنيزة»[17]. ولعل ذلك القول يُفسر أنه منذ افتتاح قناة السويس، بدأت وارادات جدة في الانكماش والضمور، فاستغل أهل نجد هذه الظروف، فبدؤوا في توريد الأقمشة وغيرها[18]، التي كانت تأتي من البحرين وسوريا[19]. وقد أشار (دواتي) إلى أن الأقمشة في عنيزة كانت تأتي من الكويت، وقد قدر حمولة تلك البضائع من الأقمشة بسبعة عشر جملاً]ثلاث أطنان تقريباً [من القماش[20]. ونظراً لأهمية أسواق عنيزة بعد استعراض أقوال الرحالين وزائريها حولها، لا بد أن نسلط الضوء على تلك الأسواق، ومن أهمها:

سوق المسوكف[21]:

وهو من أشهر أسواقها، ويُعد سوقاً تكاملياً مع بقية الأسواق، ويقع هذا السوق بين سوقي المجلس والحيالة، ويقام فيه مزاد يومي[22]، وكان البيع يتم في هذا السوق نقداً، وليس بأي وسيلةٍ أو مقايضة، ولم تعرف السوق البيع بالأجل إلا فيما ندر، وكان يضم عدداً من الدكاكين[23]. ويعتبر سوق التجار، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مرتاديه من الرجال، لا بد من لبس البشت وباليد خيزران؛ لأنه من العيب أن يمشي المشتري أو البائع فيه دون لبس بشت[24]. وعن مسوكف عنيزة يذكر العبيد الله، أحد المعاصرين: «كل ما كان يحتاج إليه أهل البلدة كان متوفراً في سوق عنيزة،

وكان يوم الجمعة، هو اليوم الرئيس الذي يعمر فيه مسوكف عنيزة، فيجلب إليه كل شيء يحتاج إليه الناس، والناس يتوافدون عليه للشراء بنسبةٍ كبيرة في هذا اليوم على وجه الخصوص، سواء الجمالة (الجماميل)[25]، أو المزارعون، أو الناس في البيوت، الجميع كانوا يذهبون إلى الأسواق»[26].

سوق الهفوف:

ويعدُّ ثاني أكبر سوق في عنيزة بعد سوق المسوكف، وهو مجموعة من المحلات التي تتعدد فيها أنواع البضائع، من أقمشة وأوانٍ منزلية[27]. ولعل أقرب تفسير لسبب تسمية هذا السوق في رأي الباحث؛ هو أنه من الأسماء المتنقلة من الأحساء مع الأسر المهاجرة.

سوق المجلس:

وهو السوق المُخصَّص لبيع الأنعام من الإبل، والبقر، والغنم، وكل ما يلزم البادية، وهو عبارة عن ساحة واسعة مكشوفة يقع في قلب المدينة[28]، وينتشر حولها أكثر من مائة حانوت، وبعض المنازل، كما بنيت في جهات منه مجالس على هيئة مركاز[29]، يجلس عليها الأمير، وبعض الأعيان؛ للنظر في أمور الناس[30]. كما استخدم هذا السوق للاحتفالات التي تقام في الأعياد أو التعبير عن الانتصار[31]، وتقام به أيضاً معاقبة المذنبين أمام مرأى من الناس، وبه بعض الدكاكين الخاصة ببيع الجملة، ويحرَّج على البضائع القادمة، ثم توزع على بقية الدكاكين الأخرى[32].

سوق الحِيالة:

ويقع بالقرب من سوق المجلس، وفيه تباع الفواكه، والخضروات، والبرسيم، والأعلاف، والأعشاب[33]. ويصفه إبراهيم الحسون بقوله: «وعلى مقربة من المسجد الجامع كان يقع ساحة كبيرة تسمى الحِيالة، وهي عبارة عن ساحة من الأرض تحيط بها البيوت، تبلغ مساحتها 005×005 متر، كانت معرضاً لما يجلبه المزارعون من بضائع وسلع من الجمال، والخضروات والأقمشة؛ إذ كانت يفد إليها المصلون مباشرةً بعد خروجهم من المسجد»[34]. وقريباً من الحيالة أو أحد فروع أسوقها يلاحظ محلات للحلاقة ومحلات متخصصة لبيع السلال، والحبال، والصوف[35].

سوق القاع وأم العصافير:

وهو يقع شمالاً من سوق الحِيالة، وبه دكاكين للنساء، وهو ضيق لا يزيد عرض السوق عن مترين وطوله خمسون متراً[36]، وهو سوق خاص بالنساء، وتتولى البيع فيه النساء، ولا يمنع ارتياد الرجال له؛ إذ يبعن الأقمشة، والبهارات، ونوى التمر كطعام للماشية، كما قمن في البيع في السوق المجاور له وهو أم العصافير[37]. وقد اشتهر منهن أم السوالى، التي كانت تجمع النوى وتبيعه لمن يحتاج علفاً للأبقار[38]، وفطيمة المتروك، التي كانت تبيع البطيخ مقابل التمر أو العبس أو النقود في سوق القاع[39]. كما وجد خارج الأسواق الرئيسة عدد من الدكاكين المتفرقة، مثل: الضليعة، والسلسلة[40]، ومنها: سوق الفرعي، وسوق الحسون، والعثيمين، وسوق الذكران[41]، ودكان الراجحي[42] لمعالجة الأسنان[43]. وبهذا؛ فإن أسواق عنيزة كانت تعد مزاراً للرحالة الأجانب، ومركزاً تجارياً تّجلب إليه كل السلع والمنتجات، مما أسهم في تنشيط حركة التجارة الداخلية فيها، وجعل سوقها عامراً طوال العام، وظهر أثر ذلك على أفراد المجتمع، الذين برعوا في عمليات البيع

والشراء، وجنوا من وراء ذلك ثرواتٍ طائلة. وبعد استعراض هذه الأسواق، يلاحظ الإرث الحضاري المتطور بها، وبالاستقرار الذي ظهر بتوحيد أقاليم الجزيرة العربية تحت قيادة واحدة. وفيما يتعلق بمجال العملة في هذه الأسواق، تجدر الاشارة هنا، أن العملات في أسواق عنيزة تختلف في تبادلها عن أسواق الحجاز مثلاً، ففي عنيزة يتم التعامل بالريال الفرنسي [44]؛ لأن الناس يثقون به أكثر من أي عملة أخرى، فالريال السعودي أصغر منه حجماً، فعندما تم ضربه وانزاله للأسواق لم يكن مقبولاً، أو دارجاً في أيدي الناس في عنيزة[45].

أما في أسواق الحجاز، فأخذ الريال الفرنسي في التراجع، وهذا ما يتضح من رسالة التاجر محمد الصالح البسام، إلى عمر العُمري، جاء فيها: "..ما يلزم منها حولوا لنا قيمة السكر ذهب حيت صرفنا النظر عن الفرانسة..» [46]، وبعد اكشاف النفط لم يكن فيهما للريال الفرنسي أثر[47]؛ إذ لم يكن للحجاز عملة خاصة به[48]، والسبب في ذلك أن الأمور التجارية في الحجاز منظمة أكثر من نجد بشكل عام، والناس في الحجاز معتادون على تنوع العملات وتباينها وقوتها وضعفها.

فقد كانت العملة المستخدمة في الحجاز هي: التركية العثمانية؛ كالليرة الذهبية، والقرش، والريال المجيدي، إلا أن الحكومة الهاشمية ألغت النقود العثمانية سنة 1342هـ/1923م، واستبدلت بها نقوداً هاشمية، إلى جانب الجنيه الذهبي الإنجليزي[49]. وبعد ضم الحجاز، قام الملك عبد العزيز-رحمه الله-، بإلغاء جميع النقود العثمانية والهاشمية، وأمر بإصدار عملة نحاسية من فئات القرش ونصفه وربعه، وصار التعامل بها بدلاً من النقد الهاشمي، وصدر أمر تنظيم عملية قبول هذه العملات في الدوائر الرسمية وتحديد أسعارها[50]، ثم ضرب الريال السعودي سنة 1347هـ/1928م، وبذلك أصبحت العملة السعودية هي الشائعة والواجب استعمالها في المملكة العربية السعودية[51].

هذه إلماحة يسيرة عن بعض الأسواق التاريخية في بلادي المملكة العربية السعودية، والتي من الواجب علينا تسليط الضوء في التعريف بها؛ لتكون مقصداً للسائحين من أبناء بلدي، وللسياح من شتى دول العالم؛ إذ إن بعض هذه الأسواق التاريخية مازالت آثارها شاهدة حتى هذا اليوم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعون الله وتوفيقه أُنجزت هذا البحث الذي عُني بأسواق عنيزة ومعالمها التاريخية والأثرية، حاول البحث تسليط الضوء على العديد من القضايا المتعلقة بالموضوع، وتوصل إلى جملة من النتائج:

لقد عرف النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أثناء قيام الدولة السعودية الحديثة؛ وبخاصة خلال فترة توحيد أجزاءها كثير من الأزمات، على الرغم أنه كان يتأثر بالظروف السياسية الطارئة التي ارتبطت بالجانب الاقتصادي فيما يتعلق بنشاط الأسواق التجارية قبل توحيد المملكة العربية السعودية، والعوامل المختلفة كأزمات الغذاء وارتفاع الأسعار، غير أن الأوقات التي تشهد استقراراً سياسياً واجتماعياً تنعكس على الجانب الاقتصادي عموماً، والتجارة المزدهرة في هذه الأسواق على وجه الخصوص.

كانت القوافل التجارية وقوافل الحج هي وسيلة التواصل الأساسية بين أقاليم شبه الجزيرة العربية، كما ارتبطت عنيزة ببعض أقاليم شبه الجزيرة العربية المختلفة كالحجاز وبعض الأقاليم الأخرى، والتي كانت تستورد بعض البضائع القادمة من الخليج العربي مرورا بمدينة عنيزة، وبعض السلع المحلية الأخرى، مقابل تزويد أسواقها بهذه السلع، والفائض يصدر للأسواق الأخرى من منتجات زراعية وحيوانية، واستيراد بعض السلع المختلفة التي ترد لبعض الأقاليم، كالتوابل والمنسوجات وغيرها، بعملات تلك المناطق، دون التقيد بعملة واحدة لكل الأقاليم.

أوضح البحث أن هذه الأسواق كانت محط إعجاب الرحالين الأجانب، كداوتي، وفيلبي، وغيرهم.

أوضح البحث الدور المهم للملك عبد العزيز، ورجاله، في دفع عجلة التنمية الاقتصادية، وذلك بما قدموه من دعم ودور بارز حل كثير من الأزمات الاقتصادية، ومنها توحيد عملة واحدة متعارف عليها تتداول في هذه الأسواق.

ختاماً، هذه صورة مشرقة لتاريخ أسواق عنيزة ومعالمها التاريخية والأثرية في المملكة العربية السعودية، كواحدة من أهم وأعظم الدول في العالم، والأمل أن يتجه كثير من الباحثين إلى مزيد من هذه الدراسات حول مسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية، في مختلف مناطق مملكتنا، لما لها من أهمية في إثراء المكتبة التاريخية.

والله أسأل أن يكون هذا الجهد- وهو جهد المقل- قد وفقنا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملاحـــق:

الملحق رقم (1) ،(2).

صـور لسـوق المسـوكف في طـرازه الجديـد، علـماً أن الموقـع الحـالي ليـس الموقـع القديـم الـذي أصبـح في الوقـت الحـاضر هـو مجمـع عنيـزة مـول

صـور لسـوق المسـوكف في طـرازه الجديـد، علـماً أن الموقـع الحـالي ليـس الموقـع القديـم الـذي أصبـح في الوقـت الحـاضر هـو مجمـع عنيـزة مـول، تصويـر الباحـث، بتاريـخ (8/11/ 9341هـ/ 12يوليـو8102م).

الملحق رقم (3)

أقدم صورة لسوق المسوكف القديم

أقدم صورة لسوق المسوكف القديم، من إهداء التاجر يوسف بن علي الغشام، عنيزة، في يوم الخميس (11/8/ 9341هـ/ 12يوليو8102م).

الهوامش:

(1) العمـيري، نويـر مبـارك، عنيـزة في عهـد الملـك عبدالعزيـز (1322ه1373-هـ/1953-1904م)، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، جامعـة أم القـرى، 1438هـ/2017م، ص319.

(2) الزهـراني، حصـة بنـت جمعـان الهـلالي، الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة في الدولـة السـعودية الثانية، الريـاض، دارة الملك عبدالعزيـز، 1425هـ/2004م، ص126.

(3) العـواد، شروق عبداللـه، الأسـواق التجاريـة في مكـة المكرمـة مـن بدايـة الحكـم العثـماني إلى نهايـة القـرن الحـادي عـشر الهجـري (1100-923هـ/1688-1517م)، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، جامعـة القصيـم، كليـة اللغـة العربيـة والدراسـات الاجتماعيـة، 1436هـ/2015م، ص94.

(4) الزهراني، ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية، ص126.

(5) العميري، عنيزة في عهد الملك عبدالعزيز، ص320.

(6) الـتركي ثريـا، ودونالـد كـول، عنيـزة: التنميـة والتغيـير في مدينـة نجديـة عربيـة، ترجمـة: جـلال أمـين وأسـعد حليـم، بـيروت، مؤسسـة الأبحـاث العربيـة، 1411هـ/1991م، ص83.

(7) الشريف، عبدالرحمن، منطقة عنيزة، القاهرة، مطبعة النهضة العربية، 1389هـ/ 1969م، ص224.

(8) الجـاسر، حمـد، مـن سـوانح الذكريـات، مراجعـة وتعليـق: عبدالرحمـن الشـبيلي، الريـاض، دار اليمامـة، 1427هـ/ 2006م، ج1، ص101.

(9) داوتي، تشـارلز، ترحـال في صحـراء الجزيـرة العربيـة، ترجمـة: صـبري محمـد حسـن، المركـز القومـي للترجمـة، القاهـرة، (ط2)، ج2، مـج2، 1430هـ/2009م، ص33.

(10) الصويـان، سـعد، عنيـزة في كتـب الرحالـة الأجانـب، مهرجـان عنيـزة الثالـث للثقافـة 1432هـ/2011م، مركـز صالـح ابـن صالـح الاجتماعـي، 1433هـ/2012م، ص85.

(11) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص84.

(12) الـسرداب: جمعهـا سراديـب، وهـو بنـاء تحـت الأرض يلجـأ إليهـا مـن حـر الصيـف، وهـو معـرب. الفـيروز آبـادي، محمـد بـن يعقـوب(ت 817هـ/ 1415م)، القامـوس المحيـط، (ط7)، بـيروت، 1424هـ/2003م، ص97؛ المعجـم الوسـيط، مجمـع اللغـة العربيـة، مـصر، مكتبـة الـشرق الدوليـة، (ط4)، 1425هـ/ 2004م، ص426.

(13) الريحاني، أمين، ملوك العرب، بيروت، دار الجيل، (ط8)، 1987م، ج2، ص607.

(14) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، دار الأفاق العربية، 1375هـ/ 1956م، ص62.

(15) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص41.

(16) محمـد أحمـد بوقـري، ولـد في مكـة المكرمـة عـام 1333هـ/ 1915م، بـدأ ممارسـة العمـل التجـاري مـع والده أحمـد عـلي بوقـري، أسـس أول مصنع للبلاسـتيك في المملكة العربيـة السـعودية عـام 1382هـ/ 1962م، انضم إلى عضويـة مجلـس إدارة غرفـة مكـة المكرمـة عـام 1383هـ/ 1963م. الموقـع الرسـمي لغرفـة مكـة المكرمة.

(17) العُمـري، عمـر عبداللـه، صـور مـن الحركـة التجاريـة في عنيـزة منتصـف القـرن الرابـع عـشر الهجـري مـن خـلال الوثائـق المرسـلة إلى عمـر بـن عبدالرحمـن العُمـري رحمـه اللـه -1303 1335هـ، عنيـزة، 1436هـ/2015م، ج1، ص10.

(18) الأنصاري، عبدالقدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1403هـ/ 1983م، ج1، ص223.

(19) العبيد الله، ناصر بن علي، رحيلية عنيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد الله، الرياض، (د ن)، 1433هـ/2012م، ص107-106.

(20) ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، ص162.

(21) المسَوكف: سمي بالمسَوكف؛ بسبب وضع قوائم من خشب الأثل في مدخل السوق حتى لا تدخل الإبل المحملة بالبضائع الكبيرة، مقابلة شخصية، صالح محمد الغذامي، عنيزة، (السبت 8/11/ 1439هـ/ 21يوليو2018م)، يُنظر: صور التقطها الباحث بتاريخ (8/11/ 1439هـ/ 21يوليو2018م)، الملاحق رقم (1)، (2)، (3).

(22) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص83.

(23) العبيدالله، رحيلية عنيزة، ص152.

(24) مقابلة شخصية، يوسف علي الغشام، وسليمان المحمد العصيمي، عنيزة، (الخميس6/ 11/ 1439هـ/ 19يوليو2018م)؛ عبدالعزيز البسام، عنيزة، (الجمعة7/11/ 1439هـ/ 20 يوليو2018م)؛ صالح بن محمد الغذامي، عنيزة، (السبت8/ 11/ 1439هـ/ 21يوليو2018م).

(25) الجماميل: هم من ينقلون مواد البناء من أحجار وطين، وخشب أثل، وجريد النخل، كما يقومون بنقل الحبوب بأنواعه بعد تنقيته، وحصاده، ونقل التمور بعد جنيه، وكما يقومون بقطع الحطب والحشيش، وغير ذلك من أعمالهم داخل البلد، لذلك يسمون: جماميل كدَّاده. الدغيثر، دغيثر بن عبدالله، المختار من القصص والتاريخ والآثار، (ط2)، 1419هـ/ 1998م، ص176.

(26) العبيد الله، رحيلية عنيزة، ص165.

(27) الدغيثر، المختار من القصص والتاريخ والآثار، ص198.

(28) الرشودي، عبدالمحسن، القصيم في عهد الملك عبدالعزيز (1322ه1373-هـ/1953-1904م)، دراسة حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1430هـ/2009م، ص192؛ مقابلة شخصية، عبدالعزيز بن عبدالرحمن البسام، عنيزة، (الجمعة 7/ 11/ 1439هـ/ 20 يوليو2018م).

(29) المركاز: مكان خاص يجتمع فيه الوجهاء للنظر في حل المشاكل، زعزوع، ليلى صالح، وعبدالرازق أبو داوود، جدة معطيات المكان وآفاق الزمان، جدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1432هـ/2011م، ص107.

(30) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص84؛ علي هاشم، إبراهيم السبيل كما عرفته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، 1425هـ/2004م، ص18.

(31) المسلم، ابراهيم، القصيم والتطور الحضاري، القاهرة، الدار الثقافية، 1426هـ/ 2005م، ص38.

(32) مقابلة شخصية، صالح بن محمد الغذامي، عنيزة، (السبت8/ 11/ 1439هـ/ 21يوليو2018م).

(33) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص84.

(34) الحسون، إبراهيم محمد، خواطر وذكريات، مكة المكرمة، المكتبة المكية، 1424هـ/2003م، ج1، ص44.
(35) الرشودي، القصيم في عهد الملك عبدالعزيز، ص192.
(36) العبودي، معجم أسر عنيزة، الرياض، دار الثلوثية، 1437هـ/2015م، ج10، ص452.
(37) التركي، ثريا، ودونالد كول، عنيزة التنمية والتغيير، ص83.
(38) الخويطر، عبدالعزيز، وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات»، الرياض، مطبعة سفير، 1426هـ/2005م، ج2، ص103.
(39) هاشم، إبراهيم السبيل كما عرفته، ص60.
(40) الشريف، عبدالرحمن، منطقة عنيزة، القاهرة، مطبعة النهضة العربية، 1389هـ/ 1969م، ص225.
(41) الخويطر، وسم على أديم الزمن، ج2، ص284.
(42) لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع، إلا بعض الإشارات الشفهية.
(43) مقابلة شخصية، صالح بن محمد الغذامي، عنيزة، (السبت8/ 11/ 1439هـ/ 21يوليو2018م).
(44) الريال الفرنسي: عملة نمساوية تعود لزعيمة النمسا ماريا تريزا، وكانت هذه العملة من أكثر النقود رواجاً في القصيم وعموم نجد ومنطقة البحر الأحمر والخليج العربي، وتسمى بـ (الريال الفرنسي) وهي تسمية خاطئة. السلمان، محمد بن عبدالله، الأحوال السياسية في القصيم في الدولة السعودية الثانية، (د م ن)، 1407هـ/1987م، ص360؛ المعبدي، مبارك محمد، النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني (1256هـ1840-م/ 1335هـ1916-م)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1414هـ/ 1993م ، ص177.
(45) الخويطر، وسم على أديم الزمن، ج2، ص227.
(46) نقلاً عن: رسالة من محمد الصالح البسام، إلى عمر بن عبدالرحمن العمري، (5جمادى الثاني 1353هـ/ 24سبتمبر1934م)، العُمري، صور من الحركة التجارية في عنيزة، ج4، ص147
(47) الخويطر، وسم على أديم الزمن، ج2، ص227.
(48) الجوهي، خالد حسن، الحضارم في الحجاز دورهم في الحياة العلمية والتجارية (1337-1256هـ/ 1918-1830م)، الرياض، مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، 1438هـ/2017م، ص155.
(49) أبو عليه، عبدالفتاح، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، دار المريخ للنشر، 1418هـ/1997م، ص215.
(50) صحيفة أم القرى، (17ربيع الأول1345هـ/ 24 سبتمبر1926م)، العدد93، ص2.
(51) أبو عليه، مرجع سابق، ص215.

المصادر والمراجع:

(1) العميري، نوير مبارك، عنيزة في عهد الملك عبد العزيز (1322ه1373-هـ/1953-1904م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1438هـ/2017م.

(2) التركي ثريا، ودونالد كول، عنيزة: التنمية والتغيير في مدينة نجدية عربية، ترجمة: جلال أمين وأسعد حليم، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1411هـ/1991م.

(3) الشريف، عبد الرحمن، منطقة عنيزة، القاهرة، مطبعة النهضة العربية، 1389هـ/ 1969م.

(4) الجاسر، حمد، من سوانح الذكريات، مراجعة وتعليق: عبد الرحمن الشبيلي، الرياض، دار اليمامة، 1427هـ/ 2006م.

(5) داوتي، تشارلز، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (ط2)، ج2، مج2، 1430هـ/2009م.

(6) الصويان، سعد، عنيزة في كتب الرحالة الأجانب، مهرجان عنيزة الثالث للثقافة 1432هـ/2011م، مركز صالح ابن صالح الاجتماعي، 1433هـ/2012م.

(7) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت 817هـ/ 1415م)، القاموس المحيط، (ط7)، بيروت، 1424هـ/2003م.

(8) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشرق الدولية، (ط4)، 1425هـ/ 2004م.

(9) الريحاني، أمين، ملوك العرب، بيروت، دار الجيل، (ط8)، 1987م.

(10) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، دار الأفاق العربية، 1375هـ/ 1956م.

(11) الموقع الرسمي لغرفة مكة المكرمة.

(12) العُمري، عمر عبدالله، صور من الحركة التجارية في عنيزة منتصف القرن الرابع عشر الهجري من خلال الوثائق المرسلة إلى عمر بن عبدالرحمن العُمري رحمه الله -1303 1335هـ، عنيزة، 1436هـ/2015م.

(13) الأنصاري، عبدالقدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1403هـ/ 1983م.

(14) العبيد الله، ناصر بن علي، رحيلية عنيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد الله، الرياض، (د ن)، 1433هـ/2012م.

(15) العواد، شروق عبدالله، الأسواق التجارية في مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري (1100-923هـ/1688-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، 1436هـ/2015م.

(16) الدغيثر، دغيثر بن عبدالله، المختار من القصص والتاريخ والآثار، (ط2)، 1419هـ/ 1998م.

(17) الرشودي، عبدالمحسن، القصيم في عهد الملك عبدالعزيز (1322ه1373-هـ/1953-1904م)، دراسة حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1430هـ/2009م.

(18) زعـزوع، ليـلى صالـح، وعبدالـرازق أبـو داوود، جـدة معطيـات المـكان وآفـاق الزمـان، جـدة، الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون، 1432هـ/2011م.
(19) الزهـراني، حصـة بنـت جمعـان الهـلالي، الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة في الدولـة السـعودية الثانية، الريـاض، دارة الملك عبدالعزيـز، 1425هـ/2004م.
(20) الـتركي، ثريـا، ودونالـد كـول، عنيـزة التنميـة والتغيـير، ص84؛ عـلي هاشـم، إبراهيـم السـبيل كـما عرفتـه، عنيـزة، مركـز صالـح بـن صالـح الثقـافي، 1425هـ/2004م.
(21) المسلم، ابراهيم، القصيم والتطور الحضاري، القاهرة، الدار الثقافية، 1426هـ/ 2005م.
(22) الحسون، إبراهيم محمد، خواطر وذكريات، مكة المكرمة، المكتبة المكية، 1424هـ/2003م.
(23) العبودي، محمد ناصر، معجم أسر عنيزة، الرياض، دار الثلوثية، 1437هـ/2015م.
(24) الخويطـر، عبدالعزيـز، وسـم عـلى أديـم الزمـن « لمحـات مـن الذكريـات»، الريـاض، مطبعـة سـفير، 1426هـ/2005م.
(25) الشريف، عبدالرحمن، منطقة عنيزة، القاهرة، مطبعة النهضة العربية، 1389هـ/ 1969م.
(26) السـلمان، محمـد بـن عبداللـه، الأحـوال السياسـية في القصيـم في الدولـة السـعودية الثانيـة، (د م ن)، 1407هـ/1987م.
(27) المعبـدي، مبـارك محمـد، النشـاط التجـاري لمينـاء جـدة خـلال الحكـم العثـماني الثـاني (1256هــ-1840م/ 1335هــ1916-م)، جـدة، النـادي الأدبي الثقـافي، 1414هـ/ 1993م.
(28) الجوهـي، خالـد حسـن، الحضـارم في الحجـاز دورهـم في الحيـاة العلميـة والتجاريـة (1337-1256هـ/ 1918-1830م)، الريـاض، مركـز الملـك سـلمان لدراسـات تاريـخ الجزيـرة العربيـة وحضارتهـا، 1438هـ/2017م.
(29) أبـو عليـه، عبدالفتـاح، الإصـلاح الاجتماعـي في عهـد الملـك عبدالعزيـز، الريـاض، دار المريـخ للنـشر، 1418هـ/1997م.
(30) صحيفة أم القرى، (17ربيع الأول1345هـ/ 24 سبتمبر1926م)، العدد93.

موقع قرية الـفـاو
من خـلال المـكـتـشـفات الأثـريـة الحـديـثـة

أ. سارة مسعد الهذلي

باحثة دكتوراة – قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يهدف هـذا البحـث إلى تسـليط الضـوء عـلى موقـع قريـة الفـاو الجغـرافي والتاريخـي في الجزيـرة العربيـة، وذكرهـا في المصـادر العربيـة، والتعـرف عـلى جوانـب الحيـاه الاجتماعيـة والدينيـة والعمرانيـة والاقتصاديـة التـي كانـت قائمـة فيهـا، والتـي جعلـت منهـا قريـة ذات انفتـاح حضـاري عـلى مراكـز الحضـارات الكـبرى، والـدور المهـم الـذي مثلتـه في تلـك الحقبـة، إذ أُعتُـبرت حلقـة وصـل بـين المراكـز الحضاريـة لوقوعهـا في ملتقـى طريـق التجـارة القديـم وذلـك بربطهـا الجانـب الشرقـي للجزيـرة العربيـة مـع جنوبهـا وشـمالها، وقـد اعتمـدت هـذه الدراسـة المنهـج التاريخـي الوصفـي التحليـلي للوصـول إلى النتائـج المأمولـة والتـي مـن أهمهـا: أن قريـة الفـاو مثـال حـي للمدينـة العربيـة قبـل الإسـلام بـكل مقوماتهـا ومـا تحملـه مـن معـالم آثريـة مختلفـة، وتميـز الفـن المعـماري في قريـة الفـاو وهـذا مـا لوحـظ مـن خـلال مـواد البنـاء وهندسـة العـمارة التـي اتضحـت في مبانيهـم، وتوسـع علاقاتهـا وصلاتهـا الحضارية مـع الممالـك المجـاورة في جنـوب الجزيـرة العربيـة وشـمالها.

الكلمات المفتاحية: الفاو، الأثار، المكتشفات الأثرية الحديثة، قرية ذات كهل.

The Location of Al-Faw Village as Determined Throughout Archaeological Findings

A. Sarah Masad Al hathla

Abstract:

This research aims to shed light on the geographical and historical location of Al-Faw village in the Arabian Peninsula, its mention in Arabic sources, and Identify the social, religious, urban and economic aspects of life existed in it that has made it as a culturally open village connected to major civilizations centers, and highlights the significant role it played during that era as a hub linking between civilizations centers due to its location at the crossroads of ancient trade routes, connecting the eastern part of the Arabian Peninsula with its southern and northern regions. This study employed a descriptive historical methodology to achieve its objectives, the most important of which is that the village of Al-Faw serves as a vivid example of a pre-Islamic Arab city,

as showcasing diverse archaeological landmarks. The architectural artistry in Al-Faw is evident through the materials and designs of their buildings, and the expansion of its relations and cultural ties with the neighboring kingdoms in the south and north of the Arabian Peninsula.
Keywords: Al-Faw, archaeology, modern archaeological discoveries, An ancient village.

المقدمة:

تميز العصر الحديث منذ بدايته بالإبداع والتجديد في كل شؤون الحياة، وظل الإنسان شغوفاً بتقصي الأصول: أصول الحيوانات وأصول الحضارات، وتوضيح ما خفي من تاريخها القديم، واتبع من أجل الوصول إلى ما يريد أسلوب الرحلات ومنطق البحث العلمي والمقارنة المنهجية واستقراء المصادر الأصلية، من الأثار المادية والنصوص، وكان لشبة الجزيرة العربية نصيباً من ذلك وإن كان بدايته يسيراً، ويعود فيه الفضل للباحثين الغربيين، ولكن ما لبث أن تطورت الجهود وزادت الاهتمامات من قبل الباحثين العرب، وزاد وعيهم بما تمتلكه هذه المنطقة من كنوز آثرية يجب التنقيب عنها ودراستها، ومعرفة تاريخها وحضارتها، وقد دلت الاكتشافات الحديثة على أن المملكة العربية السعودية غنية بمقوماتها الحضارية التي تضرب جذورها مراحل موغلة في القدم وإن ما تم كشفه من مواقع اثرية يدل على العمق الحضاري والتاريخي للمملكة وتأثيرها وتأثرها بمجريات الأحداث التاريخية التي تجري من حولها، وقد تم الكشف عن عدد من المدن والقرى الأثرية التاريخية، ومن بينها قرية – الفاو – تلك القرية المدفونة التي لم يكن لها آثر طيلة العصور الإسلامية، والتي تحمل في ثناياها وبين ابنيتها اثاراً تدل على ازدهارها وحضارتها في فترة سابقة من الزمن وهذا ما سنتعرف عليه في هذا البحث الموسوم بـ الفاو من خلال المكتشفات الأثرية الحديثة.

الموقع الجغرافي وأهميته:

تعددت مسميات هذه المنطقة وهي (قرية – ذات كهل – الفاو)، والفاو هو المسمى الحديث لهذه المنطقة، والفاو كما يقول صاحب لسان العرب هو الشق والفتحة ما بين الجبلين، وهو ايضاً الوطيء بين الحرتين، وقال الأصمعي الفاو بطن من الأرض تطيف به الرمال يكون مستطيل وغير مستطيل، وإنما سمي فأو لانفراج الجبال عنه. [1] وتقع [2] في الجنوب الغربي من مدينة الرياض وتبعد عنها حوالي 700 كم، وتشرف على الحافة الشمالية الغربية من الربع الخالي على خط طول 45,09شرقاً وعرض 19,47شمالاً، في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى الفاو، ومن هنا جاءت نسبتها حديثاً إلى الفاو، تعريفاً بها وتمييزاً عن باقي القرى المجاورة. [3]

وتكتسب هذه المنطقة أهمية من حيث: [4]

موقعها فهي تسيطر على طريق القوافل التجارية فلا تستطيع القوافل السير دون المرور بها.

أنها عاصمة لدولة لها دور في تاريخ الجزيرة العربية لمدة تزيد على خمسة قرون وهي دولة كندة.

احتوائها على قدر كبير من آبار المياه، ووقوعها على وادٍ يفيض بين فترة وأخرى حسب ظروف البيئة.

ازدهرت فيها التجارة والزراعة وهذا كله تبين من خلال الأثار والنقوش والكتابات التي عثر عليها في الفاو وسيرد الحديث عنها لاحقاً.

لمحه تاريخية عن قرية الفاو وذكرها في المصادر العربية:

من خلال التنقيبات الأثرية في قرية -الفاو- حُددت المراحل التاريخية التي مرت بها قرية - الفاو - بين القرن الرابع ق.م والقرن الرابع الميلادي، وعاشت فيها في تلك الفترة عدد من القبائل، وأشار بعض المؤرخين إلى اقوام كانوا في نجد يسمون القرويين ولكن لم يعرف من أين جاء هؤلاء القرويين الذين استقروا في قرية وتسموا على اسمها، ومن بين أولئك ايضاً آل سبي وآل بعيع وآل نتن وآل جبل، وهم من شعب قرية، وقد حفروا بئراً وأقاموا مذقنه للمعبود عبط وهو أول معبود عبد في قرية وكان ذلك في أواخر القرن الرابع ق.م، وسيرد ذكر ذلك لاحقا، وفي منتصف القرن الثالث ق.م شهدت تلك الفترة الزحف المعيني، من جنوب الجزيرة العربية ليشاركوا القرويين نشاطهم، وكان لهم نشاط في بناء عدد من المعابد، كما كان للحيانيين وجود واضح خلال هذه المرحلة، كما برز عنصر آخر وهم الأحانكة وهم قبيلة (حنكين أمرين) التي انتشر وجود اسمها بصيغ مختلفة، وكان لهم دوراً واضحاً في كثير من مظاهر الحياة الاقتصادية، إضافة إلى الانباط الذين كان وجودهم وتأثيرهم واضح من خلال العثور على الكثير من النصوص المدونة بالخط النبطي عند شواهد القبور، اما في منتصف القرن الثاني الميلادي فقد برزت إحدى العناصر المكونة لمجتمع قرية – الفاو – وهو الغلوانيون وقد ظهروا من خلال شواهد القبور وأهمهم بروزاً هو عجل بن هفعم الغلواني إلى جانب ذلك الذي دفن ناقته في مقبرته، ولكنه لم يعرف الكثير عنهم في قرية – الفاو -، وفي نهاية المراحل التاريخية التي مرت بها قرية – الفاو – والتي تبدأ في القرن الثاني الميلادي ظهرت مملكة كندة وهذا سيتضح لاحقاً عند ذكرها في مساند جنوب الجزيرة العربية والتي يصفها بعض المؤرخين بأنها دولة والبعض الآخر يجعلها قبيلة جنوبية، كانت تسكن أولاً في منطقة حضرموت ثم انتقلت إلى أواسط الجزيرة العربية، وأصبحت لها سيطرة كدولة تدين بالولاء لدول الجنوب، وتوسعت هذه الدولة بعد ذلك حتى شملت شرق الجزيرة ووسطها وجزاءً من شمالها وجزاءً من غربها. [5] وقد ورد ذكرها بـ قرية عند الجغرافيين المسلمين بشكل محدود، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اندثارها وتقادم الزمن عليها، وانتهاء دورها التجاري والحضاري منذ ظهور الإسلام، فقد أشار إليها البكري في معجمه [6] حيث قال: (قرية بفتح اوله وإسكان ثانية، على لفظ الواحدة من القرى، معرفة لا تدخلها الألف واللام: موضع بين عقيق بني عقيل واليمن، قال ابن مقبل:

عَمَدَا الحدَاةُ بها لعَارِضِ قَرْيَةٍ وكأنّها سُفُنُ بسيف أوال) ،

كما أشار إليها ايضاً الهمداني بقوله: (..... ثم رجعت إلى الطريق من المقترب تريد قصد نجران فتشرب بحسي كباب الذي يقول فيه مروان بن أبي حفصة:

والعيس قد عَلت الدّبيل وخَلفتْ بطن العَقيقِ بنا وحِسْي كباب

فـإن تيامنـت شربْـت مـاء عاديـاً يسـمى قريـة إلى جنبـه آبـار عاديـة وكنيسـة منحوتـة في الصخـر.....). [7]

كـما ورد ذكرهـا في مصـادر أقـدم مـن ذلـك، فقـد ذكـرت في كتابـات مسـاند جنـوب الجزيـرة العربيـة واشـير إليهـا بمسـمى ذات كهـل، فـوردت في نقـش قتبـان قـام بدراسـته الدكتـور محمـد عـلى الحـاج ونشرتـه جمعيـة التاريـخ والأثـار بـدول مجلـس التعـاون لـدول الخليـج، وكان هـذا النقـش ذو طابـع نـذري قدمـه أحـد السـكان متوسـلاً بعـدد مـن المعبـودات القتبانيـة، وغـير القتبانيـة التـي تخـص الممالـك المجـاورة وذكـر مـن بينهـا (كهـل سـيد قريـة) وهـو احـد المعبـودات في قريـة – الفـاو – والـذي نسـبة تسـمية قريـة اليـه وسـيرد ذكـره لاحقـاً في عـدد مـن النقـوش والكتابـات التـي عـثر عليهـا حديثـاً في الفـاو، وفي هـذا دلالـة عـلى انـه كان مـن المعبـودات الشـهيرة في جنـوب الجزيـرة العربيـة ووسـطها، بالإضافـة إلى أربعـة نقـوش سـبئية ينحـصر تاريخهـا في الفـترة مـا بـين أواخـر القـرن الثـاني للميـلاد ومنتصـف القـرن الثالـث الميـلادي قـام بدراسـتها الدكتـور سـالم بـن طيـران، والتـي اتضـح مـن خلالهـا أن قريـة – الفـاو – كانـت حـاضرة لكيـان سـياسي في شـكل اتحـاد قبـلي يعيـش في هـذه المنطقـة ويتألـف مـن قبائـل بدويـة متحـضرة عـلى رأسـها قحطـان ومذحـج وكنـدة ، ويحكمهـا ملـك واحـد وتبـين ذلـك مـن خـلال صيغـة اللقـب الملـكي التـي حملهـا بعـض ملـوك قريـة – الفـاو – والـواردة في بعـض النقـوش ذات العلاقـة بكنـدة. [8]

الكشوف الحديثة في قرية – الفاو:

تاريخ الكشوف الحديثة:

بـدأ الاهتـمام بقريـة – الفـاو – بوصفهـا موقعـاً اثريـاً في الأربعينيـات مـن القـرن العشريـن بإشـارة بعـض موظفـي شركـة أرامكـو اليهـا، ثـم في عـام 2731هـ / 2591م زارهـا الرحالـة هـاري سـنت جـون فيلبـي (H.St J.B. philby) برفقـة كلاً مـن جونـزاك ريكمانـز (G.Ryckmans) وجـاك ريكمانـز(J. pyckmans) وفيليـب ليبنـز (p.Lippens) [9]، وكانـت حصيلـة هـذه الرحلـة الكتابـة عـن اطـلال قريـة – الفـاو – وقـراءة بعـض نقوشـها، والاشـارة إلى مقابرهـا، وبعـد ذلـك في عـام 9831هـ / 9691م حصـل عـالم النقـوش الكتابيـة الـبرت جـام عـلى تصريـح مـن إدارة الأثـار والمتاحـف في وزارة المعـارف آنـذاك للقيـام بزيـارة موقـع قريـة – الفـاو - ، حيـث تمكـن مـن جمـع ودراسـة عـدد كبـير مـن النقـوش الكتابيـة المنتـشرة عـلى سـفح جبـل طويـق المطـل عـلى قريـة – الفـاو – مـن جهـة الـشرق. [10]

ثـم في عـام 7831هـ / 7691م بـدأ اهتـمام جامعـة الملـك سـعود ممثلـة في جمعيـة التاريـخ والأثـار بقسـم التاريـخ بموقـع قريـة – الفـاو - ، حيـث قامـت الجمعيـة منـذ عـام 1931هـ /1791م برحـلات اسـتطلاعية متواليـة لدراسـة الموقـع علميـاً وتحديـد المنطقـة الأثريـة، وفي عـام 2931هـ / 2791م بـدأت أعـمال التنقيـب الأثـري في موقـع قريـة – الفـاو – لثلاثـة مواسـم متتاليـة برئاسـة الأسـتاذ الدكتـور عبدالرحمـن الطيـب الانصـاري، الـذي عمـل عـلى إنشـاء قسـم الأثـار والمتاحـف بجامعـة الملـك سـعود عـام 8931هـ / 8791م حيـث انتقـل إليـه نشـاط التنقيـب الأثـري في قريـة – الفـاو – واسـتمر إلى الموسـم

الثامن والعشرين عام 3241هـ / 2002م. [11] وتشير المكتشفات الأثرية في قرية – الفاو - ، والمتمثلة في ما تركة المستقرون الأوائل من الأدوات الحجرية، والمنشأت المعمارية مثل المدافن الركامية وابراج المراقبة أو الحراسة المبنية من الحجارة غير المنتظمة فوق سطح جبل طويق، إلى أن الانسان عاش في هذا المكان منذ فترات قديمة، من العصر البليستوسيني[12] وأثناء العصر الحجري القديم، واستمر الاستقرار في قرية – الفاو – خلال العصور التالية، وهي العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي والعصر الحديدي، وقد عثر في قرية – الفاو – وجبل طويق المحاذي لها على أعداد كبيرة من الأدوات الحجرية، التي تعد الدليل الرئيس لارتياد الإنسان القديم لهذا المكان واستقراره فيه منذ نحو مليون ونصف المليون سنه مضت ومن خلال تلك النقوش والكتابات والأثار المكتشفة في قرية – الفاو – تمكن الباحثين والدارسين من التعرف على أبرز وأهم الجوانب والنواحي التي تميزت بها المنطقة وسكانها في تلك العصور القديمة. [13]

العمارة:

استخدم سكان قرية – الفاو – الأحجار في مبانيهم بعد أن قطعوها من المحاجر وصقلوها، كما توضح اساسات المباني الهامة كا القصر والسوق وغيرها، واستخدموا اللبن المربع والمستطيل في بناء منازلهم ومحلاتهم التجارية، وأهم المباني المعمارية التي تم الكشف عنها.

القصر:[14]

يوضح تخطيط القصر أنه يتكون من عدة حجرات وصالات وأروقة، ولم يبق الا أساسات وأجزاء باقية من الجدران وقواعد بعض الأعمدة، وتدل بقاياه على أنه بني من الأحجار المطلية بالجص من الداخل، إذا وجد على أرضية إحدى القاعات كتل من المباني الساقطة تعلوها طبقة جصية مقلوبة على وجهها اتضح بعد رفعها بعناية أنها تحمل مناظر مرسومة بالألوان ويغلب عليها اللون الأحمر. [15]

السوق:[16]

بني السوق على مقربة من الحافة الغربية للوادي الذي يفصل بين جبل طويق وبين حدود المدينة شرقي المنطقة السكنية، ويبلغ طوله 30,75 م من الغرب إلى الشرق و25,20 من الشمال إلى الجنوب، ومحاط بثلاث أسوار متوالية ومتلاصقة، أوسطها من الحجر الجيري، أما الداخلي والخارجي من اللبن، وتتكون السوق من ثلاثة أدوار ولها سبعة أبراج: أربعة منها في أركانها وثلاثة في منتصف اضلاعها وتحيط بالساحة الدكاكين والغرف والمستودعات. [17]

المنطقة السكنية:[18]

تعد المنطقة السكنية من أهم معالم المدينة لأنها تضم عناصر هامة في حياة مجتمع (كندة) وتمثل صورة مكملة لتصور المدينة العربية قبل الإسلام، فظهر من خلال الحفائر الأثرية التي أجريت بالمنطقة السكنية أنها مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة، ويوضح تخطيطها وجود أزقة وشوارع بين المنازل، ووحدات سكنية متميزة، ونُزل ينزل بها التجار، وقد روعيت الدقة في استقامة المباني، واستخدمت الأخشاب للأبواب والنوافذ، ويلاحظ وجود مجار للمياه النظيفة

واستخدام الأحجار المصقولة في خزانات المياه، وكذلك شيوع استعمال الدرج في جميع الوحدات السكنية، وكل هذا يدل على فهم عميق لحياة متطورة واستخدام صحيح لأسس العمارة في تلك الفترة. [19]

المعابد والمقابر:

تتمتع قرية – الفاو – بموقع مهم ومتوسط بين الشمال والجنوب بل بين الشرق والغرب في الجزيرة العربية، حتم عليها القيام بأدوار مختلفة في الحياة العامة، ولعل من أهمها الجانب الديني، وهذا ما تشهد به المعابد والمقابر التي عثر عليها في قرية – الفاو – حتى التصق اسمها في النقوش العربية القديمة بالمعبود كهل، وعلى الرغم من عدم العثور على المعبد الخاص بالمعبود كهل إله قرية الرئيس الا أن النقوش المكتشفة في قرية – الفاو – تشير صراحة إلى وجوده ومنها نص مدون بخط المسند في أربعة اسطر، عثر عليه في رديم البئر الكبير بسوق قرية – الفاو -، وهذا النص يدل دلالة واضحة على أن كاتبة هو الذي بنى وشيّد بيت كهل بقرية – الفاو-، وكان يقوم بسدانته، وبالرغم من أهمية النص إلا أنه لا يعطي معلومات كافية عن دور مجتمع قرية – الفاو – في هذا البناء، حيث لم يشر إلى من شاركوا بأعمالهم أو بأموالهم في إنشائه. [20] وقد اسفرت التنقيبات الأثرية في موقع قرية – الفاو – عن اكتشاف ثلاثة معابد إلى جانب مجموعة من النقوش الكتابية المتعلقة بها، **فالمعبد الأول** يقع شمال غرب المنطقة السكنية في المنطقة المقابلة للسوق وخلف معبد سين – شمس، **والثاني** يقع إلى الشرق من المعبد الأول، ويتضح انه مر بمرحلتين معماريتين، في المرحلة الأولى كان للمعبود سين والمرحلة الثانية للمعبود شمس، **والثالث** هو معبد عثتر- ود، وهذا المعبد يتميز عن غيره من المعابد المكتشفة في قرية – الفاو- ببقاياه المعمارية المتكاملة إلى حد كبير، ومخططه المتناسق وشكل بناء هيكلة، بزخارفه المعمارية ونقوشه الكتابية ومعثوراته النادرة، وقد تبين من النقوش الكتابية التي عثر عليها في هذا المعبد أنه كرس للمعبود (عثتر ذو قبض ثم المعبود ود). [21] ومن جملة ما تتميز به قرية – الفاو – تنوع أشكال المقابر فيها مما يعكس الفترات الحضارية المختلفة التي مرت بها، فمن خلال المكتشفات الحديثة في المقابر تم التمييز بين ثلاث فئات سكانية: [22]

مقابر الملوك:

هي عبارة عن حجرات مبنية في باطن الأرض يعلوها أفنية بها شواهد قبور مكتوبة، وأهم ما كشف عنه هو قبر (معاوية بن ربيعة)[23] ملك قحطان ومذحج، كما يدل النقش المكتوب بالقلم المسند على شاهد القبر، وقد بني قبرة من الحجر الأملس ويصل إلى عمق خمسة أمتار، ولم يبق من المعثورات الا شاهد القبر فقط، حيث من الواضح أن المقبرة تعرضت للنهب على أيدي لصوص المقابر، وتوجد قطع حجرية كبيرة حول المقبرة مما يوحي بأنه كان يعلوها فناء كبير لتأدية الطقوس الجنائزية.

مقابر النبلاء:

وتقع على مقربة من مقبرة معاوية بن ربيعة، وقد تم الكشف عن مقبرة آخرى يعلوها بقايا جدران، ويؤدي إلى حجرة الدفن السفلى مهبط بعمق حوالي ثلاثة أمتار ونصف، وهي وأن

كانت تشبه مقبرة الملك معاوية الا انها تخلو من غرفة دفن خاصة بصاحب المقبرة، ومن أهم المكتشفات شاهد قبر مكتوب بالقلم المسند يوضح أن صاحب هذه المقبرة هو (عجل بن هفعم)، وعثر ايضاً على مقبرة أخرى تنتمي إلى هذا النوع وهي لشخص يدعى (مسعد بن أرش)[24] .

مقابر عامة الناس:[25]

وتقع شمال شرقي المدينة على حافة الوادي الغربي في المنطقة الجصية التي تقع شمالي السوق، وهي كما ذكر الدكتور عبد الرحمن الانصاري تشبه المقابر الإسلامية من حيث أنها عبارة عن مهبط غير منتظم تنتهي بلحد مقفل بلبن كبير نفس حجم اللبن المستخدم في المباني.

الرسوم والتماثيل:

اهتم الفنان العربي في شبة الجزيرة العربية برسم مشاهداته في الحياة اليومية على لوحات فنية تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لأخر حسب ظروف المجتمع ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل ما شاهده، وقسمت مراحل تطور فنان شبة الجزيرة العربية في قرية – الفاو – إلى أربع مراحل كالتالي:[26]

المرحلة الأولى:

اتخذ فيها فنان قرية من سفوح الجبال الصخرية لوحات ينقر ويرسم عليها تخيلاته ومشاهداته في الطبيعة، وكان الشكل الإنساني من الموضوعات الواضحة في ذهنه منذ مراحله الأولى، فقد نقر شكل على صخرة الجبل يطل على قرية – الفاو – في كامل ملابسة ممسكاً برمحين في يده اليسرى ومتمنطقاً بسيف، ويعتقد الدكتور عبدالرحمن الانصاري أن هذه الصورة ما هي الا للإله (كهل) وأمامه ذلك السهل الفسيح يطل عليه حيث كانت تجرى مراسم الأعياد، **والمرحلة الثانية:** حاول فيها أن يرسم داخل المنازل، فحز رسومه في بلاط الجدران كما توضح في غالبية الغرف، ثم خطا خطوة متقدمة نوعاً ما، حيث استعمل الألوان في رسومه كي تبدوا أكثر وضوحاً وجاذبية، **والمرحلة الثالثة:** اصبح الفنان في هذه الفترة يمثل كياناً له دوره في المجتمع، ولعله كان ينفذ أعماله بتكليف من سكان قرية – الفاو – فيرسم مناظر يقترحونها عليه أو يطلبونها منه، وينعكس هذا الاتجاه بوضوح في أحد دكاكين السوق بقرية – الفاو -، اذا ظهر على جدرانها ثلاث لوحات تمثل رحلة صيد للجمال، وتعتبر هذه اللوحات من أهم الأعمال التي تعكس مرحلة متقدمة من فهم الفنان لرسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية في هذه المرحلة، **والمرحلة الرابعة:** نجد فيها أن فنان قرية – الفاو – قد قوي عوده وتطور إدراكه للأساليب الفنية بشكل ملحوظ، فثبت الوانه ومزج بينها ونوعها، فجاءت لوحته آية في الابداع الفني، ووجد هذا الاتجاه واضحاً في اللوحات الفنية التي عثر عليها في أنقاض القصر، ومنها جزء من لوحة تمثل بحر فيه اسماك وبه سنابك خيل تخوض الماء ولعلها كانت تمثل أربعة أحصنه يجرون عربة أو فرسان يعبرون البحر. [27] والحقيقة أن هذه اللوحات التي رسمها فنان قرية – الفاو – يبدو فيها طابع منطقته الذي يتمثل في الجمل والهودج والخيل والقلم المسند والسمات العربية المختلفة، وأنها كانت تتكرر على جدران القصر في أشكال واحجام مختلفة.

وحفلـت قريـة -الفـاو- بمجموعـة مهمـة مـن التماثيـل، بقـي معظمهـا في حالـة جيـدة بعضهـا مـن المعـادن والبعـض الآخـر نحـت مـن الأحجـار الجيريـة والمرمـر، كذلـك وجـدت تماثيـل مـن الطـين والخـزف، وتماثيـل معدنيـة وهـي في حالـة جيـدة، ومـن التماثيـل وجـد تمثـالان لناقـة وجمـل مـن البرونـز[28] وجـدت في المعبـد. [29]

الجوانب الاقتصادية في قرية – الفاو:

الصناعات:

اتضـح مـن خـلال المكتشـفات الحديثـة في قريـة – الفـاو – مـدى اهتمامهـم بأنـواع الصناعـات وتميزهـم في ذلـك، فقـد ظهـر اهتمامهـم بالخشـب واسـتخدموه في المنـازل والأسـواق والمقابـر كتوابيـت ومـواد عطريـه وغـير ذلـك ونظـراً لسرعـة التلـف الـذي يصيـب هـذه المـادة فإنـه لم يعـثر عـلى الكثـير منهـا ولكـن مـا عـثر عليـه وإن كان قليـل الا انـه يعـبر عـن اهتـمام كبـير بهـا فقـد عـثر عـلى عـدد مـن الأمشـاط[30] ، بالإضافـة إلى العثـور عـلى أدوات مصنوعـة مـن العظـام والعـاج منهـا قطـع اسـتعملت كأسـاور وخواتـم وأقـراط وخـرز، وعـثر عـلى عظـام جـمال اسـتخدمت بعـد ان حفظـت ونظفـت للكتابـة عليهـا ، وتعتـبر كـما ذكـر الانصـاري أول مـرة في تاريـخ الجزيـرة العربيـة يعـثر فيهـا عـلى عظـام مكتـوب عليهـا اذ لم يسـبق العثـور عـلى مثلهـا مـن قبـل، ومـا يخـص المنسـوجات فقـد دلـت الرسـوم الجداريـة التـي عـثر عليهـا في قريـة – الفـاو – عـلى أهميـة المنسـوجات وتقدمهـا مـن حيـث الصناعـة، فمعظـم القطـع المنسـوجة التـي عـثر عليهـا كانـت مـن الكتـان وصـوف الأغنـام ووبـر. [31]

كـما كشـفت حفريـات قريـة – الفـاو – عـن العديـد مـن الأواني المعدنيـة والكـسر المختلفـة تمثلـت في القـدور والسـكاكين وأغـماد الخناجـر والإبـر والمخايـط ومقابـض الأواني، بالإضافة إلى المسـكوكات التـي تعتـبر مـن أهـم مـا عـثر عليـه، وتكمـن أهميتهـا في أن معظمهـا قـد ضرب في قريـة – الفـاو -، ومعظـم مـا عـثر عليـه منهـا كان مـن الفضـة وقـد وجـدت في أماكـن متفرقـة مـن الحفريـات، ومـن أهـم مـا عـثر عليـه مـن النقـود مجموعـة مـن القطـع الفضيـة والبرونزيـة[32] ، ومـن مـا كشـفت عنـه الحفريـات ايضـاً الزجـاج فمعثـورات قريـة – الفـاو – مـن الزجـاج معرضـاً رائعـاً لأنـواع مختلفـة وألـوان شـتى، تمثـل فيهـا بوضـوح حركـة التجـارة ونموهـا. [33]

كـما ظهـر اهتـمام سـكان قريـة – الفـاو – بـالأدوات الحجريـة والفخاريـة، فتعتـبر الأواني الحجريـة مـن أهـم الصناعـات التـي قامـت لديهـم فقـد عـثر عـلى قطـع لـلأواني الحجريـة مـن المرمـر والحجـر الجـيري والبلـور الصخـري والبازلـت والجرانيـت، ومـن أنـواع الفخـار المسـتعمل في قريـة – الفـاو – الفخار الخشـن والـذي ظهـر في صناعـة القـدور والأزيـار والجـرار والمباخـر والزمزميـات والمصـافي وأغطيـة الأواني ، بالإضافـة إلى الفخـار الرقيـق والـذي يختلـف عـن الفخـار الخشـن بـأن أوانيـة تنـال مـن عنايـة الصانـع اكـثر مـما تنالـه أواني الاسـتعمال اليومـي، فعجينتـه اكـثر نعومـة ونقـاء مـما يسـاعد عـلى تنفيـذ الزخـارف عليهـا، بالإضافـة إلى انـه يظهـر فيهـا تأثـر أوضـح بالأسـاليب الوافـدة عـن طريـق محـاكاة أشـكال الاواني التـي تجلـب مـع التاجـر مـن خـارج المنطقـة بزخارفهـا، وقـد عـثر عـلى كميـة مناسـبة مـن هـذا النـوع مـن الأواني الفخاريـة، ومـن ابرزهـا الكـسر النبطيـة في المنطقـة السـكنية. [34].

الزراعة:

اعتنى سكان المنطقة بمصادر المياه والزراعة عناية كبيرة وواضحة، فحفروا الأبار الواسعة التي بلغ عددها نحو مائة وعشرين بئراً، وسجلوا ذلك في نقوشهم التي عثر عليها ، كما أنهم شقوا القنوات السطحية فزرعوا النخيل والكروم وبعض أنواع اللبان والحبوب، وهذا لوحظ بشكل واضح في المساحة الشاسعة التي تمتد من شرقي المدينة بمحاذاة المنطقة السكنية، حيث عثر على دوائر أحواض للأشجار[35] منتشرة بشكل كبير وهي مثل ما وجد في جنوب الجزيرة العربية في مدينة ذي غيل أو ذات غيل القتبانية والمعروفة اليوم باسم (هجر بن حميد)، وقد اثبتت الدراسات أن هذه الاحواض الموجودة في الجنوب هي لأشجار منها اللبان، مما يجعل في الاعتقاد أن دوائر الاحواض المكتشفة في قرية – الفاو – هي للغرض نفسة، كما أنه تم التعرف على أن النخلة كانت أوسع انتشاراً في هذه المنطقة، نظراً لكثرة ما وجد من نوى التمر في أكثر المواقع التي تم التنقيب فيها بقرية – الفاو -، بالإضافة إلى ان النخلة من جملة الموضوعات التي رسمها سكان قرية – الفاو – على سفوح الجبال المجاورة، بالإضافة إلى تميزهم في حفر القنوات الجوفية مستغلين بذلك الاودية التي تمر بها والقنوات السطحية التي تجلب المياه إلى داخل المدينة، وبذلك كانت كمية المياه في قرية – الفاو – كافية لإقامة حياة نشطة ومستقرة. [36]

كما أثبتت التنقيبات الأثرية في قرية – الفاو – اهتمام سكانها بالثروة الحيوانية، اذ عثر على كميات من العظام تعود لأنواع مختلفة من الحيوانات كالجمال والأبقار وغيرها ، كما سجلت لوحات السوق ورسوم سفوح الجبال والتماثيل البرونزية اهتمامهم بصيد الإبل ، وبلغ اعتزازهم بحيواناتهم وبخاصة الجمال أن جعلوا لها مقابر خاصة تدفن فيها، فقد عثر على مقبرة دفن بها هيكل عظمي لناقة، وفي جدار مهبط المقبرة بني حجر شاهد القبر كتب عليه نصين متجاورين بخط المسند جاء فيها العبارة التالية (قبر ناقة الهدد بن نملة الغلواني – قبر ناقة أبي بن دعن الغلواني). [37]

علاقات قرية – الفاو- مع ممالك الجزيرة العربية القديمة:

كشفت التنقيبات الأثرية في قرية – الفاو – عن مجموعة كبيرة من النقوش الكتابية، تم من خلالها التعرف على العلاقات التي كانت قائمة بين قرية – الفاو – وبعض ممالك الجزيرة العربية القديمة، وقد نقلت التجارة معها إلى قرية – الفاو – الخط الآرامي النبطي، إذ عثر على نصوص ثنائية الخط مدونة بخط المسند والخط النبطي على الجدران ، فعلى شاهد قبر من صخر رسوبي أعيد استخدامه كعتبة باب وجد نص مكتوب بخط المسند والخط النبطي، بالإضافة إلى ذلك فقد عثر في قرية – الفاو – على نصوص مدونة بخط المسند وبلغة عربية شمالية تذكر المعبود اللحياني(ذو غيبة أو ذو غابة) ومعبودات لحيانيه أخرى، وهذا يفسر وجود جالية لحيانيه في قرية – الفاو -، ففي ساحة معبد عثتر – ود عثر على نص يتألف من سبعة اسطر، السطر الأول فيه ثلاثة حروف لحيانيه، أما الاسطر الباقية فهي مدونة بخط المسند، كما لوحظ بقايا لهجة معينية وهي لهجة السين في لفظة (سحدث) بدلاً عن (هحدث) وفي (ولدس) بدلاً من (ولده).

هذا كله يوضح لنا مدى التسامح الديني الذي تمتعت به قرية – الفاو – من خلال وجود هذا المزيج الديني بين معبودات الشمال والجنوب بحكم موقعها على الطريق التجاري الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها وشرقها، وبالتالي ببلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، كما يتضح مدى علاقة قرية – الفاو – مع ما جاورها وأنها كان لها دور هام في عملية الاتصال الحضاري والتبادل الثقافي مع جنوب الجزيرة العربية وشمالها ومع حضارات المناطق المجاورة. (38)

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي تحدث عن قرية الفاو أ وما كانت تعرف قديماً باسم – قرية ذات كهل-، تلك القرية الواقعة في وسط الجزيرة العربية والتي يعود تاريخها إلى القرن الرابع ق.م ، والتي واكبت الحضارات الكبرى قديماً ومن ثم دفنتها رمال الصحراء بأكملها بعد سنين من الحضارة التي عاشتها بحكم موقعها الاستراتيجي، قُيِض لها أن تخرج للعيان في العصور الحديثة من خلال التنقيبات الاثرية وما تم العثور عليه من اثار باقية تحكي لنا طبيعة حياه شعب تلك القرية في حقبة مضت، وقد القينا الضوء على جزء منها، إذ تحتوي المراجع على كم هائل من المعلومات التي تحتاج إلى اظهارها بقوالب متعددة ومختلفة لكي تصل إلى جميع شرائح المجتمع، ولا تقتصر فقط على محيط الباحثين، وارجوا أن أكون قد وفقت في جمع المعلومات وتبسيطها وايصالها للقارئ، فإن أصبت فمن الله ،وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله التوفيق والسداد، وهذه عدد من النتائج التي توصل لها البحث:

أن المملكة العربية السعودية من أغنى الأماكن بالمواقع الأثرية العريقة والتاريخية التي تروي بين ثناياها قصصاً وأحداثاً للشعوب على مر العصور المختلفة.

أن قرية – الفاو- مثال حي للمدينة العربية قبل الإسلام بكل مقوماتها وما تحمله من معالم أثريه مختلفة.

أن المعثورات الأثرية في قرية – الفاو – أبرزت مستوى تقدمها وتوسع شبكة علاقات سكان الفاو التجارية وصلاتهم الحضارية.

تميز الفن المعماري في قرية – الفاو – من حيث مواد البناء وهندسة العمارة وتبليط المباني وزخرفتها من الداخل والخارج وذلك كان واضحاً فيما أُكتشف من القصر والسوق وغيرها من المباني فقد مثلوا طرازاً عربياً فريداً برزت فيه مراعاة الظروف البيئية واحتياجاتهم المختلفة.

الـمــلاحــق:

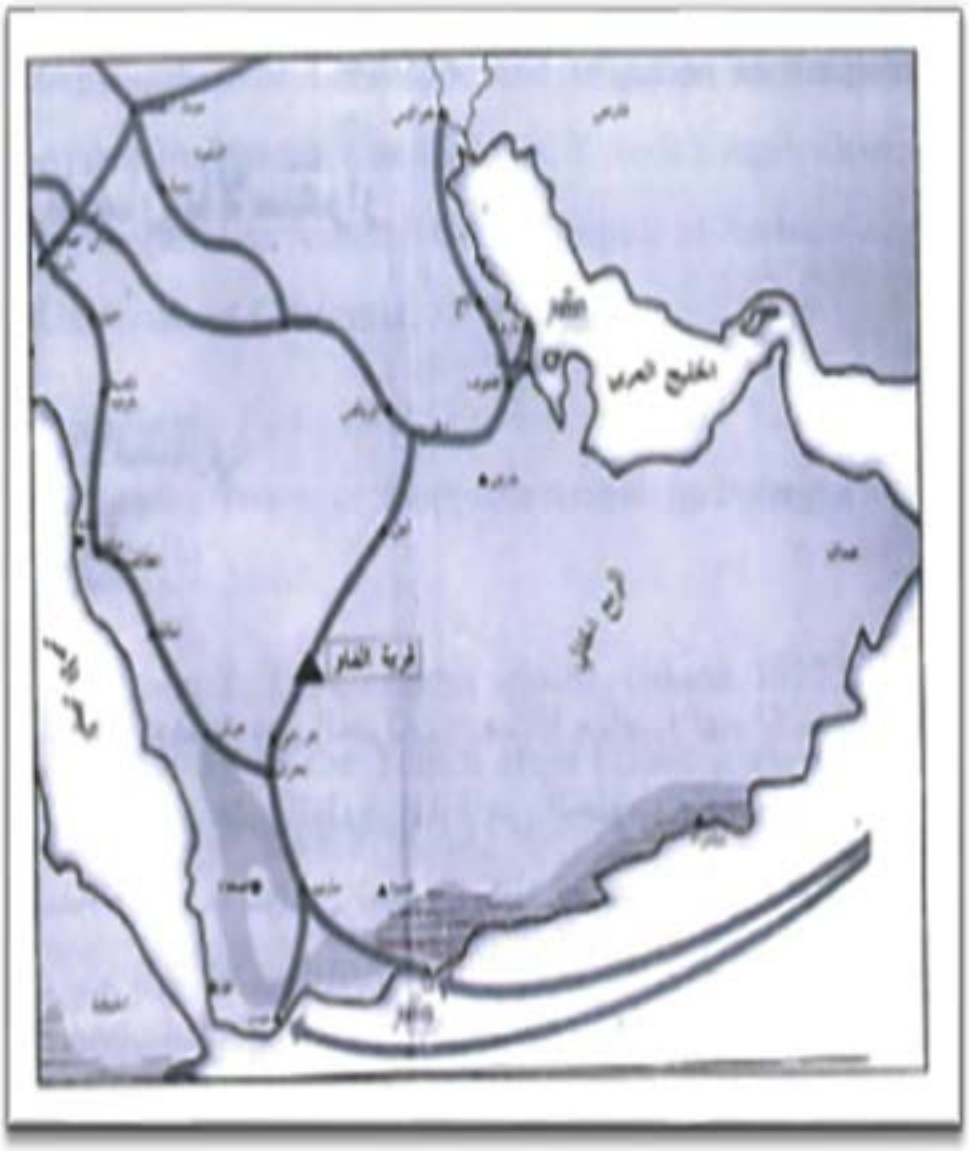

(شكل رقم 1) موقع قرية الفاو [39]

(شكل رقم 2) القصر [40]

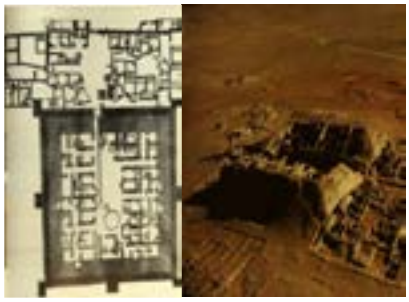

(شكل رقم 3) السوق [41]

(شكل رقم 4) المنطقة السكنية [42]

(شكل رقم 5) مقابر الملوك [43]

(شكل رقم 6) مقابر النبلاء [44]

(شكل رقم 7) مقابر العامة [45]

(شكل رقم 8) لوحة من الرسومات [46]

(شكل رقم 9) تمثال الجمل والناقة[47]

(شكل رقم 10) امشاط[48]

(شكل رقم 11) قطع من النقود[49]

(شكل رقم 12) إحدى أحواض الأشجار [50]

الهوامش:

(1) محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب ، ط3، ج10، دار صادر، بيروت، 1419هـ / 1999م، ص 169.

(2) انظر الملاحق شكل رقم (1) خريطة توضح موقع الفاو.

(3) سالم أحمد طيران: قرية «الفاو» في مساند جنوب الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها مهداة إلى أ.د / عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري بمناسبة بلوغه سن السبعين عاماً، 1428هـ / 2007م، ص 161؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 16.

(4) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، ص17.

(5) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: من حكم قرية ذات كهل (الفاو)، « مجلة أدوماتو، ع30، 2014م ، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي»، ص 21-20-19 ؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري: أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار ونقوش قرية الفاو، دار اليمامة للبحث والنشر، مج 11، ع 12-11، 1977م، ص 566.

(6) عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ج1، عالم الكتب، بيروت، ب.ت، ص1070

(7) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م، ص 266.

(8) سالم أحمد طيران: قرية «الفاو» في مساند جنوب الجزيرة العربية، ص 173 ؛ محمد علي الحاج: قرية ذات كهل (الفاو حالياً) في ضوء نقش قتباني جديد، دراسة مقدمة في اللقاء العلمي السنوي الثاني عشر: دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 2011م، ص142.

(9) جون فيلبي والمعروف بـ عبدالله رحالة بلجيكي رافق الملك عبدالعزيز رحمه الله 30 عاماً وله عدد من المؤلفات في الجزيرة العربية، جوانزاك ريكمانز رحالة بلجيكي أستاذ اللغات بجامعة لوفان ، جاك ريكمانز ابن اخ كونزاك دكتور في فقه اللغات الشرقية صاحب أطروحة حول المماليك في جنوب الجزيرة قبل الهجرة ، فيليب ليبنز ضابط بلجيكي معروف بالقبطان الطيار وهو ملاحظ الأمم المتحدة في فلسطين. فيليب ليبنز: رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة: محمد الحناش، مراجعة: فهد السماري، دارة الملك عبدالعزيز، 1419هـ ص 15، 19، 23.

(10) سالم أحمد طيران: قرية «الفاو» في مساند جنوب الجزيرة العربية، ص -161 162.

(11) سالم أحمد طيران: قرية «الفاو» في مساند جنوب الجزيرة العربية، ص 162.

(12) هو من العصور الجيولوجية القديمة بدأ2.4مليون سنه تقريباً وانتهى قبل10000سنة مضت، ويتميز بتذبذب في درجات الحرارة والتي تؤثر بدورها على الغطاء النباتي والحيواني. محمد عبدالنعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،1416هـ/1995م، ص61

(13) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار» أبحاث ندوة الانسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الإكتشافات الآثارية، الجوف – المملكة العربية السعودية، 22-20جمادى الأولى 1431هـ / 6-4 مايو 2010م» ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص-245 246.

(14) انظر الملاحق شكل رقم (2).

(15) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 19.

(16) انظر الملاحق شكل رقم (3).

(17) مجموعة مؤلفين: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج6 منطقة الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ص-379 380.

(18) انظر الملاحق شكل رقم (4).

(19) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 19.

(20) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: قرية الفاو (مدينة المعابد)، « أبحاث ندوة المدينة في الوطن العربي في ضوء الإكتشافات الآثارية، الجوف – المملكة العربية السعودية، 5-3 ذوالقعدة 1426هـ / 7-5 ديسمبر 2005م» ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص -98 99.

(21) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: قرية الفاو (مدينة المعابد)، ص -101-100 102.

(22) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 21-20؛ مجموعة مؤلفين: موسوعة المملكة العربية السعودية، ص 381.

(23) انظر الملاحق شكل رقم (5) صورة من المقبرة.

(24) انظر الملاحق شكل رقم (6) صورة من المقبرة.

(25) انظر الملاحق شكل رقم (7) صورة من مقابر العامة.

(26) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 25-24.

(27) انظر الملاحق شكل رقم (8).

(28) انظر الملاحق شكل رقم (9) صورة من التمثال.

(29) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 27-25.

(30) انظر الملاحق شكل رقم (10).

(31) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 28.

(32) انظر الملاحق شكل رقم (11).

(33) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 29-28.

(34) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص 30-29.

(35) انظر الملاحق شكل رقم (12) صورة دوائر أحواض الاشجار.

(36) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار، ص 247-246.

(37) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار، ص247

(38) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: قرية الفاو (مدينة المعابد)، ص 106-105-104.

(39) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار، ص 244.

(40) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص43-42.

(41) المرجع السابق ، ص 40-36.

(42) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية ، ص 55.

(43) المرجع السابق ، ص 48.

(44) المرجع السابق، ص50.

(45) المرجع السابق، ص50.

(46) المرجع السابق ، ص70.

(47) عبدالرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص103

(48) المرجع السابق، ص109.

(49) المرجع السابق، ص 125.

(50) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، سالم أحمد طيران: فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار، ص 247.

المصادر والمراجع:

(1) البكري: عبد الله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ج1، عالم الكتب، بيروت. تاريخ النشر

(2) الحاج: محمد علي، قرية ذات كهل (الفاو حالياً) في ضوء نقش قتباني جديد، دراسة مقدمة في اللقاء العلمي السنوي الثاني عشر: دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 2011م.

(3) طيران: سالم أحمد، قرية «الفاو» في مساند جنوب الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها مهداة إلى أ.د / عبد الرحمن بن محمد الطيب الأنصاري بمناسبة بلوغه سن السبعين عاماً، 1428هـ / 2007م.

(4) عبد النعيم: محمد، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1416هـ/ 1995م.

(5) فيليب ليبنز: رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة: محمد الحناش، مراجعة: فهد السماري، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ.

(6) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ، ط3، ج10، دار صادر، بيروت، 1419هـ / 1999م.

(7) مجموعة مؤلفين: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج6 منطقة الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

(8) الأنصاري: عبدالرحمن الطيب، طيران: سالم أحمد

(9) فاو جبل طويق أغرى الأنسان بالاستقرار» أبحاث ندوة الانسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية، الجوف – المملكة العربية السعودية، 22-20جمادى الأولى 1431هـ / 6-4 مايو 2010م» ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

(10) قرية الفاو (مدينة المعابد)، « أبحاث ندوة المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية، الجوف – المملكة العربية السعودية، 5-3 ذو القعدة 1426هـ / 7-5 ديسمبر 2005م» ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

(11) من حكم قرية ذات كهل (الفاو)، « مجلة أدوماتو، ع30، 2014، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي».

(12) الأنصاري: عبدالرحمن الطيب

(13) قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية.

(14) أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار ونقوش قرية الفاو، دار اليمامة للبحث والنشر، مج 11، ع 12-11، 1977م.

(15) الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م.

استخدام الحيوانات في المواكب في العصر العباسي الأول (132 - 232هـ/750 - 847م)

أ.هاشم فهيد سريحان المطيري
طالب ماجستير – كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تعد ظاهرة استخدام الحيوانات من خيول وبغال وحمير في المواكب التشريفية للخلفاء والوزراء وقادة الجيش من الظواهر التي بدأت ملامحها في العصر الأموي، وفي العصر العباسي أصبحت هذه الظاهرة من أهم المعالم التشريفية، وعندما تولى أبو العباس السفاح السلطة في العصر الاموي خرج في موكب كبير على برذون (بغل) من دار الإمارة إلى المسجد حيث تمت مبايعته هناك، واستمرت المواكب بعد وزاد الاهتمام بها من قبل الخفاء، ويتم تهيئتها بصورة جيدة من خلال تدريب تلك الحيوانات على الحركات والأوامر لكي لا تخرج عن سيطرة سايسيها، وفي الوقت نفسه كانت تلك المواكب تعبر عن صاحب الموكب ومكانته في الدولة، وكان موكب الخليفة العباسي يحاط بقدر من التبجيل والتقدير ويصحبه فيه أبناء الخليفة والقاضي والوزراء المقربون، وبالإضافة للمواكب الداخلية للخلفاء والأمراء كانت هناك مواكب الحج والذي يعد من أهم مواكب الخلفاء العباسيين وذلك لأهميته ، وقد وجدت مواكب الحج الكثير من العناية والاهتمام ،ومن الملاحظ أن هناك عدد من الحيوانات ظهرت في المواكب العباسية مثل الخيول، والبغال، والحمير، مما يدل على أن هذه الحيوانات كانت صاحبة مكانة كبيرة في مواكب الخلفاء وقادة الجيش والأمراء تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحد من الموضوعات غير المطروقة في التاريخ العباسي والذي يستحق البحث والتنقيب والدراسة لأنه يعمل على توضيح العديد من الجوانب الحضارية والثقافية خلال فترة الدراسة، تنبع أهمية الدراسة من كونها تناقش واحد من الموضوعات التي لم تجد حظها بصورة وافية من قبل المختصين والباحثين والمهتمين، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى عدد من النتائج التي من أهمها: استخدام الحيوانات في مواكب الخلفاء والأمراء والقادة منذ العصر الأموي، استخدام الخلفاء العباسيين للحيوانات في المواكب أسوة بالخلفاء الأمويين ، استخدمت كل من البغال، والخيول والحمير في المواكب المختلفة، تعددت أنواع المواكب في العصر العباسي الأول والتي منها: موكب الخليفة ، موكب الحج، موكب العيد.

الكلمات المفتاحية: الحيوانات، مواكب، العصر العباسي الأول، الحج، العيد

The use of animals in processions in the first Abbasid era (132 – 232 AH/ 750 – 847 AD)

Hashem Fhaid Almutairi

Abstract:

The phenomenon of using animals such as horses, mules and donkeys in the honorable procession of the caliphs, ministers and army leaders is one of the phenomena that began its features in the Umayyad era, and in the Abbasid era this phenomenon became one of the most important honorary monuments, and when Abu Al -Abbas took over the power in the Umayyad era, he went out in a large procession on Berjoun (Gulle) from The emirate's house to the mosque where it was pledged allegiance there, and the processions continued after and interest in them increased by the secret, and they are well prepared by training those animals on movements and orders so that they do not go out of Sisi's control, and at the same time these processions were expressing the owner of the procession and his position in The state, and was the procession of the Abbasid caliphIt is surrounded by a degree of reverence and appreciation and accompanied by the children of the caliph, the judge and the close ministers, and in addition to the internal processions of the caliphs and princes there were the processions of Hajj, which is one of the most important processions Abbasid processions such as horses, mules, and donkeys, which indicates that these animals were a great position in the processions of the caliphs, army leaders and princes. This study aims to highlight one of the topics unjust in Abbasid history, which deserves research, exploration and study because it works to clarify many From the sides Civilization and cultural during the study period, the importance of the study stems from being discussing one of the topics that did not find its luck in a full way by specialists, researchers and interested people. The study followed the historical descriptive analytical approach in order to reach a number of results, the most important of which are: the use of animals in the processions of caliphs and princes And the leaders since the Umayyad period, the Abbasid caliphs of animals in the processions, similar to the Umayyad caliphs, used both mules, horses and donkeys in various processions, many types of processions in the first Abbasid era, including: the caliph procession, the Hajj procession, the convoy of Eid.

Key words: animals, processions, the first Abbasid era, Hajj, Eid

مقدمة:

تعد ظاهرة المواكب التي تصاحب الخلفاء والأمراء وقادة الجيش من المظاهر الحضارية التي ظهرت في العصر الأموي والعباسي وقد تطورت لتشمل مواكب تنصيب الخلفاء والأعياد والحج، ومن خلال هذه المواكب بأنواعها المختلفة ظهرت الحيوانات بصورة فاعلة من البغال والخيول والحمير لتصبح من سمات هذه الفترة التاريخية. ويعد الخلفاء الأمويين أول من وضع الأسس الرسمية لظاهرة المواكب في الدولة الاسلامية، ولما تقلد بنو العباس الخلافة استمروا في تقليد ومحاكاة الأمويين في اعتماد ظاهرة المواكب [1]، إلى درجة أنها فاقت مواكب الأمويين روعة وبهاء [2]، وقد ظهرت البوادر الأولى من أول خليفة لهم حيث ورد في شأن بيعته وتوليته للخلافة أنه: « لما كان وقت صلاة الجمعة خرج أبو العباس السفاح في موكب وهو لابس السواد، فركب بذلك على برذون أبلق والجنود ملبسة معه، حتى دخل دار الإمارة ثم خرج إلى المسجد فصلى بالناس، ثم صعد المنبر وبايعه الناس يومئذ بيعة عامة»[3]. ويعتبر موكب السفاح من أول المواكب الرسمية في تاريخ الدولة العباسية، والتي استمرت طيلة العصر العباسي الأول مع بقية الخلفاء [4]، حيث تطورت وأصبحت لا تقتصر على البيعة أو الخروج للصلاة أو الحج، وإنما توسعت لتشمل مختلف تنقلات الخليفة، فلقد كان الخليفة المهدي إذا خرج إلى الصيد ركب في المواكب العظيمة المحاطة بفرسان من الحرس متقلدين سيوفهم، ويتبعهم عدد من الجنود وطائفة من الغلمان [5].

كما اهتمّ خلفاء بني العباس بالمواكب العسكرية، فمن ذلك ما حدث سنة سبع

وخمسين ومائة، حين أقام الخليفة المنصور موكبا استعرض فيه جنده في السلاح والخيل في مجلس اتخذه على شط دجلة، وأمر أهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح [6]. وكانت نساء الخلفاء أيضاً يتنقلن في مواكب خاصة بهن، فالخيزران أم الهادي والرشيد كانت تنقل في موكب عظيم من الغلمان المزينة والخيل عليها كسوة من الديباج والحلية الثقيلة من الفضة [7].

وكنتيجة لما ذكرناه فقط تعددت مواكب الخلفاء في العصر العباسي الأول بإختلاف

الأسباب الداعية إليها والأهداف المرجوة منها مما يؤكد لنا على حركية الفعل العباسي في عصره الأول لا سيما في جانبه الأجتماعي والحضاري[8].

تهيئة وإعداد المواكب:

شملت هذه التحضيرات تهيئة المراكب، وذلك بتجهيز الدواب وتدريبها على السير وجعلها قادرة على المشاركة في الموكب ولو كان الأمر لمسافة طويلة، وطريقة تلقينها وفهمها للإشارات والحركات ومدلولاتها، وكيفية اندماجها وسط أصوات الاحتفالات[9].

هذا إلى جانب حسن اختيار من يسير في الموكب إلى جانب الخليفة، فينبغي أن تكون دابته قليلة العبث والشغب والصهيل، أن لا تبول ولا تروث ولا تحادي في سيرها سير دابة الخليفة، كما كانت تزين بالفضة والذهب إظهارا للروعة والأبهة وجمالية الموكب، وقد كان يقوم بهذه المهمة مجموعة من الأشخاص يحضون بمكانة مرموقة عند الخليفة ويمتازون بالخبرة والكفاءة العالية[10].

اهتمّ الخلفاء في العصر العباسي الأول بمراكبهم اهتماما خاصا بسبب التطور الذي مسّ مؤسسة الخلافة، ومما لا شك فيه أن نوع الركوب يحدد أنواع هذه المواكب، فهناك مراكب خاصة للنزهة والصيد، وأخرى لأداء فريضة الحج، وبعضها لقيادة الجيوش في الحروب، كما أن للمسافات القصيرة في التنقل وسائطها وأدواتها[11]. وقد أولى الخلفاء أهمية كبيرة لهذه الدواب التي تستخدم في تهيئة وإعداد المواكب، حيث أولى الرشيد والمأمون والمعتصم اهتماما خاصا بالخيل لما لها من مكانة خاصة عند العرب والمسلمين قديما وحديثا، ويبرز هذا الاهتمام في نوع الكساء واللجام الذي يوضع على الخيل ويكون مزيناً بأنواع مختلفة من الحلي والزينة بشكل خاص[12].

أما فيما يتعلق بعدد الدواب التي يتم تخصيصها للمشاركة في مواكب الخلفاء فقد بلغ عددها مائة فرس وأحيانا يزيد العدد عن ذلك مسومة برسم ركوب الخليفة وما بجنبه، توضع عليها مائة سرج من السروج المرصعة بالذهب والفضة ومختلف أنواع الحلي والجواهر، كما توضع في أعناقها أطواق من الذهب وقلائد العنبر وفي أرجلها خلاخل من الذهب والفضة، بلغت قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار[13].

استخدم الخلفاء العباسيين الخيول النادرة في استعراض المواكب[14]، فكان المعتصم شديد الشغف بحب الخيول مما دفعه لجعل استعراض الخيول أمام ناضريه وهو جالس[15]، بل كان مجلسه على ظهر الخيل سرجا مغشى بحلية من الفضة[16].

كما استخدم الخلفاء العباسيين البراذين أيضا في مراكبهم حيث تذكر المصادر[17]، أن الخليفة أبو العباس السفاح كان يخرج يوم الجمعة في موكب خاص على برذون أبلق يصلي بالناس في الكوفة ثم يعود بعد ذلك عليه، ويشير ابن الجوزي أن المهدي كان يستخدم برذون في موكبه من حين إلى آخر، كما كان هارون الرشيد والمأمون يفضلون ركوب البراذين[18]. وركب الخلفاء العباسيين الحمير أيضا في المسافات القصيرة وفي بيوتهم وداخل بساتينهم[19]، وتشير بعض النصوص[20]، إلى كل من الهادي والرشيد والمعتصم والمكتفي كانوا يركبون الحمير باعتباره من وسائل التنقل المريحة داخل دور الخلافة، وقد أورد السيوطي أن الخليفة الهادي كان يركب حمارا في دار الخلافة متجولا في بساتينه، وتبين بأنه كان يلعب ويركب حمارا فارها سريع الحركة، ولا يقيم أبهة الخلافة[21].

أما الفيلة فقد لاقت هي الأخرى اهتماماً كبيرا من طرف الخلفاء العباسيين خاصة الخليفة المنصور، فقد عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها واقتنائها لها، وإعدادها للحروب والزينة في الأعياد وغيرها وأنها أوطأ مراكب الملوك[22].

المسايرة في مواكب الخلفاء العباسيين:

جرت العادة عند ركوب الخليفة العباسي في مواكبه أن يسايره بعض أبناء البيت العباسي[23]، أو من طلب مسايرة الخليفة من وزير أو قاضي أو من ذوي المكانة السياسية للخلافة العباسية أو الاجتماعية من ذوي النسب الشريف وأهل العلم والمعرفة من ذوي من ذوي الفقه وأهل الدين[24]. ولم تقتصر المسايرة لمواكب الخليفة العباسي من قبل النخبة وعلية القوم، وإنما شمل عامة الناس [25]، كما أن على الأشخاص أفراداً أو جماعات المسايرين لموكب الخليفة العباسي أن

يمتطوا الدواب الفارهة والحلية الثمينة فلا يركب مثل مركبه[26]. وقد اهتم الخليفة العباسي محمد المهدي بركوب المسايرين له في مواكبه فقد أمر أن

يحمل بعض من كان يسايره على دابة غير دابته عندما طلب للحاق، فاعتذر بسبب سوء ركوبه وأن بعض مسايريه ركب البرذون[27]. ويروي الجاحظ عن آداب مسايرة الخليفة المهدي رواية قال: «قال المهدي: كان شبيب بن شيبه يسايرني في طريق خراسان، فيتقدمني بصدر دابته، فقال لي يوماً: ينبغي لمن يساير خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لا يلتفت اليه ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس»[28].

كان الخلفاء العباسيين يستصحبون معهم مشاهير الناس عند خروجهم في المواكب، ويحبذون ركوب الحمير في تجوالهم، حيث حكي أن عبد الله بن طاهر[29]، خاطب الخليفة العباسي المأمون في دابة رآها[30]، ويروي الجاحظ أن الخليفة المعتصم بالله سايره بطريق الروم مع بعض قادة جنده إلى سور عمورية، فكان كل واحد منهم يمتطي برذونا، وكان البطريق يحترم الخليفة المعتصم في مسايرته ويجله[31].

المواكب في الحج:

برزت فخامة وأبهة مواكب الحج مع العديد من خلفاء العصر العباسي الأول، من بينهم الخليفة أبو جعفر المنصور، الذي روي عنه في احدى مواكبه أنه لما صارت الشمس على ارتفاع قامة وقد غصت المواقف وضاقت بهم الساحات ضرب البوق إيذاناً بركوب الخليفة المنصور، الذي لم يلبث أن أقبل مرتفعا على فيل أبيض قد استرسلت عليه الفضة في الحلية الثقيلة[32]، وهو جالس في هودج منزل بالأصداف اللامعة، وعلى القبة أستار من الديباج يتخللها رسوم من الذهب، وفي يده قضيب الخلافة وفي الأخرى الخاتم[33]، وكان يتقدم موكب أبا جعفر عند خروجه من بغداد حامل القلم، ثم يتبعه ضارب الكوس وجند السفر والقواد والدعاة والحجاب، كما يصحبه جماعة من الأمراء ووراءهم الإبل يظعنها حريمه وأهل بيته يحملون الرايات السوداء[34].

يذكر الطبري أن هارون الرشيد خرج في موكب بهيج للحج وهو راكب على ناقة[35]، ويعلو الناقة هودج، كثيرا ما يتسع لشخصين خاصة أثناء مسير الخليفة للحج، وذلك لكي يكون للخليفة عديل أو زميل يخفف عنه رتابة الطريق وغالباً ما يختاره من أهل الأدب والفكاهة، وتعدل القبة على الدابة بواسطة مثقلة من الرصاص[36].

مواكب العيد:

حرص الخلفاء في العصر العباسي الأول على مشاركة الناس احتفالات العيد في مواكب رسمية، فيتزين الخليفة بأجمل ما لديه من الحلل، ويلبس القباء الأسود ويكون مفتوح عند الرقبة ويصل إلى الركبة، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر النفيسة ثم يخرج مبكرا في موكب ممتطيا جواده متجها نحو الجامع لأداء الصلاة[37].

يذكر أن الخليفة المأمون خرج على جواده في موكبه لأداء صلاة العيد بعد أن عبأ الجند تعبئة لم ير مثلها من قبل، خاصة في كثرة السلاح والخيل وعدد الجند ولم يصل بالناس صلاة

العيد حتى قرب نصف النهار بعيسى آباد[38]. ويروى أن الخليفة المعتصم بالله استعد بمناسبة عيد الفطر المبارك للخروج في موكب عظيم بعد أن تمت تعبئة الخيل قبل العيد بيوم واحد تعبأة لم يسمع بمثلها، وأمر بالطريق فمسح من قصرة إلى المصلى ثم قسم ذلك على القادة وأعطى كل واحد منهم مصافة، وكان القادة وأصحابهم في أجمل زي وأحسن هيئة فلزموا مصافهم منذ وقت الظهر إلى أن ركب المعتصم بالله على المصلى، فلما أصبح المعتصم أمر القادة الذين لم يرتبوا في المصاف بالمسير إلى المصلى، ولبس ثيابه وجلس على كرسي ينتظر مضي القادة، فلما انقضى أمرهم تقدم الرجالة في المسير بين يديه فتقدم منهم سبعة آلاف من الموالي كل ثلاثمائة منهم في زي مخالف لزي الباقين وأربعة آلاف من المغاربة وبعدها ركب على خيله وجلس على سرجه وسار في موكبه فلما خرج من باب القصر تلقاه القادة وأصحاب المصاف يخرج الرجل من مسافة فإذا نزل وسلم عليه بالخلافة فيأمره بالركوب ويمضي[39]. وبعد الانتهاء من الصلاة يلقي الخليفة خطبة العيد وبعدها ينهض المصلون بالدعاء له والتهليل والتكبير بين يديه، ويعود الخليفة في موكبه إلى القصر ليستقبل المهنئين، ثم يبدأ الاستعراض العسكري تحت مرأى الخليفة حيث يظهر فيه الجنود بملابسهم الفاخرة وقد ركبوا الخيل ويحملون الشموع الموكبية الضخمة ويخرج الناس لرؤية الاستعراض ويستمر ذلك طيلة أيام العيد[40].

الحيوانات في المواكب العسكرية:

بارك الخلفاء العباسيون المواكب العسكرية، لأنها تظهر قوة الدولة، وكان الخلفاء، أو الأمراء، في هذه المواكب يحملون معهم علامات خاصة، أو شعارات خاصة، أو آلات تدل عليهم، كما تُحمل في هذه المواكب الأعلام، التي تنوعت بأسمائها، وأشكالها، وألوانها، فهي راية، أو لواء، واسلحة فخمة من رماح، ونشاب، وأقواس، وسيوف، بعضها مشهور مثل؛ السيف المسمى ذي الفقار، الذي توارثه العباسيون، كذلك يحملون معهم علامات خاصة بكبار رجال الدولة والموظفين المدنيين، مثل الدواة التي كانت تخرج لكبار رجال الدواوين، أما رجال الجيش، والأسطول، فيكونون في زيهم الكامل، وأسلحتهم وأعلامهم [41]. ومن جملة الأمثلة على ما ذكرناه آنفاً؛ يروى أن الخليفة العباسي المنصور، كان يستعرض جنده وهو في حلته العسكرية الكاملة، إما واقفاً على منصة، أو جالساً على عرش، بينما كان الخليفة الرشيد، والمأمون، والمعتصم، دائماً يستعرضون الجيش على صهوات جيادهم[42].ولما عزم الخليفة المنصور على اقامة موكب عرض عسكري كبير، تشترك فيه الجيوش الرابضة في العراق وما جاوره، ويبدو أنه أراد من ذلك تفقد القوى العسكرية، وتقوية معنويات الجند بإظهار اهتمامه الشخصي بأحوالهم، وارهاب ذوي النفوس المتمردة على سلطانه، وعين الموعد يوم الجمعة على أراضي ميدان في ناحية فطريل، احدى كور بغداد، وأمر رجال دولته، وأمراء بني العباس، بالحضور في كامل أسلحتهم، وعدتهم، المدخرة للقتال، وأقبل موكب الخليفة المنصور بأبهى صورة، من زينة سلاح محلى بالذهب والجوهر، وكان الخليفة يمتطي بغلة بيضاء في درع جميل، وسيف مرصع بالأحجار الثمينة، وقلنسوة سوداء، وحذاء معدني يستعمل في الحرب، وأخذ الجميع أماكنهم للراحة حول منصة الخليفة المشرفة على ساحة العرض، وعن يمينه ويساره

ولي عهده المهدي، وعيسى بن موسى، ثم بدأ الحفل، فنادى المنادي بأسماء القادة حسب مراتبهم، فأقبلوا على خيولهم يتقاربون أمام أمير المؤمنين، وهو يتفقد سلاحهم، ويشير اليهم بالعودة إلى مواقفهم حتى انتهى منهم، ثم بدأ الزحف ، فأقبلت الكتائب، وأعقبتها فرق الرماة بالسهام، ثم صفوف المشاة، وتليها المجانيق وآلات الحصار، حتى اذا تم كل شيء، وانتهت ألعاب الفروسية، وزعت الجوائز على الجميع حسب مراتبهم[43].

الحيوانات في مواكب الوزراء:

عندما يتقلد الوزير منصب الوزارة من قبل الخليفة، وبعد انصراف الوزير من دار الخلافة، يركب فرساً جيدة مع موكب مذهب، فيمتطيه إلى باب الوزارة، ويسير في موكبه كبار الموظفين، وقادة الجيش، والأمراء، وموظفي البلاط، والحجاب، وخدام الخليفة، والحرس، فإذا وصل ترجل وسط مظاهر الاحتفال، وجلس لاستقبال التهاني بالمنصب الوزاري[44]. ويروى أن بعض الوزراء في العصر العباسي الأول، كانوا يتخذون لأنفسهم المواكب الحافلة في غدوهم ورواحهم، من ذلك ما يرويه الجاحظ عن الوزير محمد ابن عبد الملك الزيات؛ من انه كان يصطحب في موكبه بعض الجند الأتراك، ويسميهم الجاحظ بالشاكرية، وكانوا يمتطون الخيول الأصيلة [45].

الخاتمة:

كانت المواكب التشريفية طوال العصر العباسي الأول واحدة من المظاهر الحضارية لتلك الفترة، وقد وجدت اهتماماً ملحوظاً من قبل الخلفاء والأمراء والقادة لأنها تدل على مكانتهم في المجتمع، وبحسب تقدير الباحث إن المواكب في العصر العباسي الأول كانت تدل بصورة واضحة على تطور الدولة وتوسعها وقدرتها الإدارية والمالية والتي عكستها المواكب التي كانت تقام وفق المناسبات المتعددة في الدولة.

النتائج:

خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي من أهمها:

- اهتمام الخلفاء العباسيين بالمواكب بأنواعها المختلفة في الدولة.
- لعبت البغال والخيول والحمير دوراً مهماً في مواكب العصر العباسي الأول.
- تعددت الموكب في العصر العباسي الأول

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول المواكب في العصرين الأول والثاني للدولة العباسية.

الهوامش:

(1) أسماء بنت عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2010م، ص98.

(2) الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص85.

(3) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، ط1، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1976م، ص162.

(4) سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938م، ص386.

(5) الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص85.

(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، 1967م، ج8، ص52.

(7) الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص٨٥.

(8) أسماء بن عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، ص118.

(9) أسماء بن عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، ص124.

(10) أسماء بن عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، ص125.

(11) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج٣، ص577.

(12) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج3، ص577، 578.

(13) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج3، ص578.

(14) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص152.

(15) القيرواني، ابو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحُصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، بلا. ت، ج1، ص475.

(16) أسماء بن عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، ص120.

(17) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج8، ص217.

(18) ابن طيفور، أبي الفضل احمد بن طاهر الكاتب، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية: أقدم ما كتب في تاريخ الخليفة المأمون وعصره الذهبي، ط1، مكتبة المثنى، بغداد، 1986م، ص53.

(19) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، بلا. ت، ص292.

(20) الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، كتاب الأغاني، عرض ونقد: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج5، ص253.

(21) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 2004م، ص266.

(22) جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار الإسلام، ط١، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1932م، ص50.

(23) البيهقي، إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 2009م، ص466.

(24) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص466.

(25) الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق: على شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1991م، ج8، ص5.

(26) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك، ط١، دار العصور للطبع والنشر، 1929م، ص45.

(27) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة، 1938م، ص144، 145.

(28) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2002م، ج2، ص256، 257.

(29) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أحد اهم قادة المأمون في خراسان وبغداد، توفي سنة 230هـ؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص631.

(30) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص156.

(31) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص255.

(32) الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص84.

(33) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1935م، ج2، ص359.

(34) الكازروني، طهير الدين علي بن محمد، مقامة في قواعد بغداد، تحقيق: ميخائيل عواد، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1962م، ص24.

(35) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص310.

(36) أسماء بن عمارة، مراسم وآداب رحلات الخلفاء العباسيين (132ه/750م-334ه/946م)، ص119.

(37) ابن طيفور، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية: أقدم ما كتب في تاريخ الخليفة المأمون وعصره الذهبي، ص84.

(38) ابن طيفور،بغداد في تاريخ الخلافة العباسية: أقدم ما كتب في تاريخ الخليفة المأمون وعصره الذهبي، ص19.

(39) محمد زنيبر، وثائق ونصوص الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية عصر الخلفاء الكبار، ط1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1955م، ص57.

(40) جيهان سعد الراجحي، الحياة الاجتماعية في بغداد، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، 2006م، 267.

(41) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص10.

(42) علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص377.

(43) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص52.

(44) اليوزبكي، توفيق سلطان، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م، ص40.

(45) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص130.

وادي الصفراء بالحجاز في العصور الإسلامية (1 - 656هـ/ 623 ـ 1258م) (دراسة تاريخية حضارية)

أ.ولاء بنت فهد مرزوق الحربي
باحثة ماجستير – قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعريف بوادي الصفراء بالحجاز في العصور الإسلامية(**1 - 656هـ/ 623 - 1258م**) وإبراز أهم ما تميز به هذا الوادي من أحداث تاريخيه دارت على ترابه ،ومعالم أثرية بقيت شاخصة فيه، كما اهتمت الدراسة بتسليط الضوء على مسميات هذا الوادي والعمل على ذكر روافده وقُراه والقبائل التي استقرت فيه، واهتمت بذكر الجانب الحضاري لهذا الوادي فكان من نصيبه ذكر كلا من مساجده وابباره واسواقه وذكر ما دونته الكتابات النثرية والشعرية عنه، ونبعت أهمية الدراسة من أهمية وادي الصفراء على ما اشتملت عليه من أحداث تاريخية وجوانب حضارية في العصور وتمكنت الدراسة من توثيق بعض الآثار التي بقيت حتى العهد الحالي وذلك عن طريق السفر إلى تلك المنطقة وتصوير ما وجد فيها للاستشهاد به، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى عدد من النتائج أبرزها: يعد موقع وادي الصفراء من المواقع ذات الأهمية الآثارية والتاريخية منذ العصور الإسلامية، كما أنه اشتهر بعدة غزوات دارت على أرضه وكان طريقا للهجرة وللحجاج بيت الله الحرام، وقديما اشتهر وادي الصفراء بكثرة عيونه وابباره المياه فيه ما جعله يتميز بكثرة النخيل والمزارع إلا أنه اليوم لم يبقى على عهده السابق نتيجة للكثير من العوامل المناخية والطبيعية .

الكلمات المفتاحية: وادي الصفراء، المدينة المنورة، بدر، الأحداث تاريخية، العصور الإسلامية.

Al-Safra Valley in Hejaz During the Islamic Eras (1-656 AH / 623-1258 AD) (A Historical and Civilizational Study)

Walaa Fahad Alharbi

Abstract:

This study aims to introduce Al-Safra Valley in Hejaz during the Islamic eras (1-656 AH / 623-1258 CE) and highlight the most significant historical events that took place in this valley, as well as the archaeological landmarks that remain visible to this day. The study also sheds light on the various names of the valley, its tributaries, villages, and the tribes that settled in it. Additionally, it focuses on the civilizational aspects of the valley, including its mosques, wells, and markets,

as well as the prose and poetic writings that documented it. The importance of this study stems from the significance of Al-Safra Valley, which encompasses historical events and civilizational aspects from the Islamic eras. The study succeeded in documenting some of the remaining archaeological sites through field visits to the area, capturing photographs for reference. The research followed a descriptive, analytical historical methodology to reach several conclusions, the most notable of which are: Al-Safra Valley is a site of archaeological and historical importance dating back to the Islamic eras. It was renowned for several battles fought on its land, served as a route for migration and pilgrims to the Holy Kaaba, and was historically known for its abundant springs and wells, which contributed to its flourishing palm groves and farms. However, these features have significantly diminished today due to various climatic and natural factors.

Keywords: Al-Safra Valley, Medina, Badr, Historical Events, Islamic Eras.

المقدمة:

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وألزم قلوب الخائفين الوَجل والإشفاق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وشفيعنا محمداً رسول لله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وخاتم أنبيائه، فالسلام عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين. أما بعد..

تميزت المدينة المنورة بالعديد من الأودية التي إما أن تكون بداخلها أو تحيط بها وستتحدث الباحثة في هذا البحث عن وادي الصفراء.

حيث أنه من أودية الحجاز الغربية فهو يقع في شمال غرب المدينة، وفي جنوب شرقي ينبع، لذا فإن ماء وادي الصفراء يصب فيه، كما أنه أسفل وادي الصفراء قد أطلق عليه اسم يليل الذي كان يمر بمنطقة بدر، فأصبح اليوم لا يعرف بهذا الاسم لأن البعض قد سماه بوادي بدر، كذلك يطلق عليه البعض لفظة الصفيراء تصغيراً لها. وقد امتاز وادي الصفراء بكثرة زرعه ونخله وعيونه التي كانت جارية حتى السبعينات فجفت، وله روافد عديدة منها: السفا، الرحبة، هبت، والجي، وشنوكة، ورحقان، وألاب وغيرها التي ستتطرق لها الباحثة خلال البحث بالتفصيل. وامتاز أيضا بالعديد من الجبال التي تحيط به فمن أبرزها جبلي مسلح ومخزىء وجبل ورقان، وعن الحديث في القرى العامرة بهذا الوادي ستذكر الباحثة بدر والمسيجيد والواسطة والخيف الذي اشتهر به هذا الوادي كخيف الحزامي وخيف بني سالم وخيف البرعي، أما أصل سكانه وفروعهم فيمكننا القول بأن هناك العديد من القبائل التي سكنت بوادي الصفراء كالحوازم، والأحامدة وغيرهم. ومع ذلك فإن جميع القبائل الساكنة في وادي الصفراء يرجع اصلهم الى قبيلة بني سالم

من حرب ويتفردون فيما بعد حسب تفرعهم إما من مروح وإما من ميمون وستذكرها الباحثة في التمهيد بالتحديد في المبحث الرابع، لذا عند البدء بالحديث عن أي مكان، لابد أن نتطرق لجانبيه التاريخية و الحضاري الذي عرف واشتهر بها المكان، وبعد إطلاع الباحثة على الاحداث التاريخية التي حدثت بوادي الصفراء اتضح بأن طريقه قد شهد مرور النبي صلى الله عليه وسلم في العديد من غزواته كغزوة بدر وذي العشيرة والابواء، أيضا فهو من الطرق التي كان يسلكها الحاج بين مكة والمدينة.

كذلك كانت هناك احداث بارزة في هذا الوادي وباقيه الى يومنا الحالي بسبب تدوينها في مطلع مرثية كتبتها هند بنت اثاثة بن عبادة ابن المطلب في زوجها وابن عمها عبيدة بين الحارث بن المطلب الذي توفي بعد غزوة بدر الأخيرة ودفن بوادي الصفراء.

لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا * وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

عبيدة فأبكيه لأضياف غربة * وأرملة تعوي تهوى لأشعث كالجذل

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع الأسباب في اختيار الباحثة لموضوع وادي الصفراء لما يتميز به هذا الوادي من أحداث وعبر تاريخية ومعالم تستحق الذكر والدراسة، كما أن جمع وحصر معلومات هذا وادي وفق الإطار الزمني الموضح أعلاه كان فيها نوع من الصعوبة لأنها متناثرة، فتتمنى الباحثة أن تكون يسرت وسهلت بهذا البحث التعرف على وادي الصفراء.

أهمية البحث:

إبراز المعالم التراثية في ارض المملكة العربية السعودية وبشكل خاص وادي الصفراء.

حصر وجمع المعلومات المتعلقة بهذا الوادي.

مشكلة البحث:

- أين يقع وادي الصفراء، وبماذا يسمى؟ ما القبائل سكانه فيه؟
- ما هي الاحداث التي وقعت بوادي الصفراء؟
- ما هي روافد وادي الصفراء؟

اهداف البحث:

- تقديم ودراسة تاريخ وادي الصفراء.
- توضيح مسميات هذا الوادي وروافده.
- جمع الاحداث التاريخية في وادي الصفراء من خلال الكتابات الشعرية.

حدود البحث:

حدود مكانية: الإطار المكاني للبحث هو وادي الصفراء في شبه الجزيرة العربية.

حدود زمانية: الإطار الزماني للبحث هو في فترة العصور الإسلامية من (1-656هـ/623-1258)

الدراسات سابقة:

من أبرز المصادر التي كتبت عن وادي الصفراء:

عاتق غيث البلادي: أشهر أودية الحجاز .13، دار اليمامة، مج9/ع1،2، 1974. تناول هذا البحث عن أودية الحجاز ومن بينهم وادي الصفراء بصورة شمولية، بينما بحثي سيتناول بإذن الله وادي الصفراء في العصور الإسلامية من (656-1هـ/1258-623م).

فائز موسى البدراني الحربي: ملامح الأوضاع الثقافية في وادي الصفراء خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (1300-1250هـ/1884-1834م)، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جمعية التاريخ والاثار، ع6، 2011. تناول هذا البحث عن وادي الصفراء في الفترة ما بين (1300-1250هـ/1884-1834م) أما بحثي سيتناول بإذن الله وادي الصفراء في العصور الإسلامية بالتحديد في الفترة ما بين (656-1هـ/1258-623م).

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي

إجراءات منهج البحث:

- تتبع ورصد المعلومات المتوفرة وجمعها من المصادر.
- تحليل المعلومات ووصفها.

مدلول وادي الصفراء:

إن اصطلاح (الوادي) فقهياً: الدال مكسور، تعني المكان المنفرج بين جبال أو تلال. وجغرافياً: يقصد به المكان المنفرج بين جبال أو تلال وقد يكون عميقاً أو ضيقاً أو واسعاً، كما أنه يكون منفذاً للسيل ومسلكاً، وعادةً يحتوي على مجرى مائيًا.[1]

أما عن لفظ الصفراء: فهي كلمة مؤنثة للون الأصفر الذي يتميزان به الشمس والذهب وقد ذكر هذا اللون في ثلاثة مواضع في القران الكريم باختلاف مفرداته فمرة ورد بلفظ صفراء ومرة مصفر وأخرى صفر.

فلفظ صفراء قد ورد ذكرها في وصفه للبقرة بقوله سبحانه وتعالى: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) [2]، أما لفظ مصفر فوردت في ثلاثة مواضع قولة تعالى: (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) [3] وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[4] وجاء اخر ذكر لكلمة مصفرا في قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [5] أما لفظ صُفر فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) [6]

جغرافية وادي الصفراء:

هو وادي بين المدينة وبدر، فعند الخروج من المدينة إلى بدر متجاوزاً الفريش، فموقعك في أول وادي الصفراء، ثم عند المسير فيه مارا بالمسيجيد، والخيف، والواسطة التي كانت تعرف بالصفراء قديما.[7] حتى تتجاوز بدراً، فهو يلقاك على مسافة واحد وخمسين كيلاً من المدينة، في طريق بدر كما أنه مشتهراً بكثرة القرى والخيوف.[8] وبوصف آخر: هو وادي متعرج يتجه غرباً من المدينة المنورة بانحراف إلى الجنوب، فنبعت فيه الكثير من العيون؛ بسبب موقعه الذي جعل مياهه تسقط من أعلى جبال ورقان وعار والفقارة والفقرة [9]إلى باطن الأرض. ويعرف أعلى وادي الصفراء بالسدارة وعُلل ذلك بالصدارة؛ أي في صدر الوادي، وموقعة ما بين جبال عار إلى المسيجيد، كما أن فيه بئر مشهور عرف ببئر الروحاء، وهو من أكبر الاودية في الحجاز [10]

كما أن الوادي قد تم وصفه من ناحية المدينة بأنه طريق الحاج، وبأن الرسول صلى الله عليه سلم قد سلكه أكثر من مرة أيضا فهو يشتهر بكثرة النخيل والزرع.[11]

أيضا وصِف بأنه قرية تلي المدينة المنورة وتكثر بها المزارع والنخل كذلك بأن مياها عبارة عن عيون تجري إلى ينبع فهي فوقه.[12] كما قيل فيه بأنه وادي مقر امارته بدر بمنطقة المدينة، وأنه كثير القرى [13] وترى الباحثة بأن لا شك في صحة ما اتفق عليه المؤرخين وذكروه في مصادرهم عن كثرة نخيل هذا الوادي وزرعه وعيونه إلا أنه في الوقت الحالي، عندما قامت بزيارة ميدانية له رأت العكس، حيث أن معظم مزارع النخيل قد جفت ولم يبقى منها سواء جذعها اليابس، وهذا دليل على أن العيون قد جف معظمها، وعلى ذلك تستشهد بقول: « أنما العيون أصابها الجفاف في السبعينات من القرن الرابع عشر فاندثر منها الكثير»[14]

روافد وادي الصفراء:

وبالرغم من التغيرات الطبيعية التي حدثت في وادي الصفراء الا أنه كان مشتهراً بكثرة روافده، والتي منها:

ألاب فهو أكبر روافد وادي الصفراء، ويلتقي هذا الوادي بوادٍ اخر اسمه طاشا، فيتجهان من شمال وادي الصفراء حيث يصبان في عين أم ذيان في الغرب، ويوجد في وادي الاب قرى وعيون للحوازم[15] أما عن وادي سفا فهو موضع من نواحي المدينة[16] كما إنه وادي يأتي شرقا من جبل نوفل من سلسلة جبال ورقان الى السدارة.[17] كذلك هناك وادي الجي بكسر الجيم وتشديد الياء، فهو بين مكة والمدينة عند الرويثة، ويقال له: المتعشّى، وينتهي عند طرف ورقان.[18] كما إن هذا الوادي قد تعددت روافده فمنها القدس والحوراء والسيف.[19] أيضا هناك رافدان عُرفا بوادي الفريش والذي كان يعرف بالسيالة قديماً باسم مرين ويقال لكل منهما مرا ويبعدان عن المدينة قرابة 54كيلا .[20] وبين السيالة و الفريش هناك موضع يسمى صخيرات اليمام.[21]

أما وادي هبت فقد وقع بين الجرف وورقان ففصلهما ثم ينزل باتجاه الجنوب على وادي الجي [22] وهناك ايضا واديان متلازمان هما رحاب ورحيب يأتيان من شمال وادي الصفراء فيصبان فوق الحمراء (انظر ملحق1) ثم بعد ذلك هناك وادي الحسكة الذي فيه ابار سقاية وزراعة مطرية كما انه مصب مواجها لبدر من الشرق.[23]

كما أن وادي الخائع عُرف بالمثنى أي الخائعان فهما شعبتان الخائع اليماني وتدفع في غيقة والأخرى الخائع الشامي وتدفع في يليل، وهو وادي الصفراء.[24] كما أن عنده عين جارية عرفت بالحسنية أسفل الواسطة.[25] كذلك كانت هناك قرية تقع في شمال غرب المدينة المنورة وهي تابعة لمركز الفريش، عرفت بقرية الرحبة.[26]

أما عن الموضع الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم اثناء مسيره لغزوة بدر قد عرف بمسمى رحقان.[27] كذلك قد مر الرسول صلى الله عليه وسلم على موضع شنوكة بالفتح، ثم الضم، وسكون الواو، وكاف: هو جبل قريب من بدر.[28] ثم اندفعت منطقة الحمراء تحت الصفيراء التي كانت تصغيراً للصفراء، كما اشارت لها الباحثة سابقاً فأصبحت تأتي وادي الصفراء من الشمال، كذلك هناك العاصد الذي يصب فوق الواسطة من الجنوب كما أن هناك وادي يأتي من الصفيراء من الغرب، وفيه آبار سقي قد عرف بوادي العش وأخيراً فهناك وادي الهدى الذي يسيل من جبل شيبان ثم يدفع بين الخيف والحمراء شرق وادي الصفراء.[29]

كما أن هناك عين من عيون الواسطة عرفت بالجديد **(انظر ملحق2)** هي عين ضعيفة عليها نخل تقع بالقرب من بدر.[30] والعين التي بجوار الفارعة كانت عين جارية سميت بالبركة[31]، أما بعد الحسنية هناك عين ضعيفة عرفت بالعالية [32] وما بينهما - أي ما بين البركة والعالية - هناك الفارعة **(انظر ملحق3)** وهي عين جارية وجميعهم ما بين الواسطة وبدر.[33]

أشهر قرى وادي الصفراء وقبائله:

القرى:

وفي وصف الطريق إلى الوادي، ذكر بأنه كان الوادي تتصل به مزارع النخيل كما أن عيون هذا الوادي كثرة، كذلك فإن طريقه حسن، فوادي الصفراء يقع بين جبلين وشيدت به حصون كثيرة: منها حصنان يعرفان بالتوأمين، وحصن يعرف بالحسنية، وآخر يعرف بالجديد، إلى حصون كثيرة، وقرى متصلة.[34] منها: الواسطة **(انظر ملحق4)** تبعد عن المدينة 821 كيلًا وتقع في وسط وادي الصفراء، فالواسطة تعتبر قرية كبيرة، تكونت من ثلاث عيون إحداهن قد اندثرت. ثم بعد ذلك الروحاء والتي تبعد عن المدينة بـ 47 كيلاً ففي الروحاء بئر مشهور نسب إلى اسمها وهو بئر الروحاء.[35] وترى الباحثة بأن منطقة الروحاء ليست كبيرة كالواسطة لأنه يمكن عد البيوت بها كما أن هذه المنطقة برغم من اشتهارها بالبئر الذي يعرف ببئر الروحاء إلا أنها لم تتمكن من الوصول إليه لأنه مسور ضمن سور مزرعة أحد شيوخ قبيلة الرحيلي.

أما القرية التالية فهي المسيجيد (تصغيراً لكلمة مسجد) وسابقاً كان يعرف بالمنصرف، ويقع بعد الروحاء بسبعة أكيال كما أنها قرية عامرة وبها مسجد ومدارس وسوق ومقاهي ونزل كثيرة.[36] وترى الباحثة بأن قرية المسيجيد أكثر تطوراً وتمدناً من بقية قرى وادي الصفراء الأخرى بسبب الاهتمام الواضح بعمرانها وتطورها.

ثم بعد ذلك منطقة عبارة عن مجموعة من الخيوف ومفردها يسمى بالخيف: وهو ما انحدر عن الجبل وارتفع عن مسيل الماء[37] - منها خيف الحزامى **(انظر ملحق5)** الذي تشرف

على أكبر العيون بمضيق وادي الصفراء كما أنه يبعد عن المدينة بـ 105 أكيال تقريبا كذلك خيف بني سالم.[38] وخيف أم ذيان **(انظر ملحق6)** هو خيف قديم في وادي الصفراء كما أنه يبعد عن المدينة بمسافة 120 كيلا تقريبا.[39] أما الخرماء[40] **(انظر ملحق7)** فهي أحد خيوف وادي الصفراء فالمسافة بينها وبين المدينة نفس المسافة التي بين المدينة وام ذيان.[41]

أما عن القرية التي اتخذت اسمها من لون جبالها والتي تبعد عن المدينة من الجنوب بحوالي 121كيلاً تقريباً هي قرية الحمراء وبها قبر أبي عبيدة بن الحارث.[42] ثم أن ما بين الواسطة والحسنية يوجد خيف دغَبج وبه عين قد اندثرت لكن بآلات الضخ تمت إعادة زراعتها[43] وفي وادي ملل هناك وادي من روافده يسمى تربان يدفع في جنوب غرب فرش ملل.[44] وكذلك قرية المويلح **(انظر ملحق 8)** والطلعة.

القبائل:

إن القبائل الساكنة بهذا الوادي مندرجة تحت قبيلة تعرف، بقبيلة حرب التي تنقسم إلى ستة بطون منها: بطن بني سالم.[45] حيث ينقسم هذا البطن إلى قسمين هما: ميمون ومروح وبالتالي فإن القبائل التي تحت قبيلة ميمون هم: قبيلة الأحامدة والتي من بطونها: أولاً: الصخور أو الصخارنة ومنها: بنو عامر الذين سكنوا الفقرة ونواحيها. ثانياً: الصميدات ومنها: بنو مبارك وبنو جابر وكذلك بنو شلوان، فقد سكنوا الفقرة ورحقان **(انظر ملحق9)** إلى طاشا أيضا. ثالثاً: الفضلة الذين سكنوا في الجهة الشرقية من الفقرة كما أن منهم من سكن في رحقان. كما قبيلة ولد محمد الذين يعرفون بالمحمدي فمن سكن منهم بوادي الصفراء في السفوح الغربية لجبل الفقرة هم ديار الوفيان وينسبون إلى وافي، قبيلة المطالحة ولدى هذه القبيلة قرى في وادي الصفراء ما بين المسيجيد والحمراء، فديارهم تبدأ من صدر وادي العرج والجي وتنقسم الى: قبيلة المحاميد التي من فروعها المطيعي والمذاكير والمهابدة وأخيراً الرثعة، ثم قبيلة بني عمرو الذين لا زال لهم مال في وادي الفرع وتتفرع هذه القبيلة إلى قبيلة اللبنة والمقاعدة والمفالحة ومراعية والكحلة والمغامسة.[46]

أما عن قبيلة الرحلة فتمتد ديارهم من بعد المسيجيد إلى المدينة المنورة وتنقسم إلى قسمين رئيسيين هما قبيلة ذوو حويت وذوو عبد الله. ثم بعد ذلك بنو صبح الذي ينسب إليهم لقب الصبحي وهم الفرع الرابع من بطون ميمون كما أن ديارهم تبدأ من جل وادي العرج حتى غرب بدر وينقسمون إلى أربعة اقسام: بنو عليان ومنهم: بنو مرزوق أو المرازيق والوبران والمواثبة والمواسية وبنو سعيدان، وقبيلة القحوم أو القحمة التي من فروعها: الحوازم فهم أهل الحمراء بوادي الصفراء. كما أن السرحة بطن من بطون ميمون وينسب إليها لقب السريحي ومنها بني علي الذي من فروعه ذوو حريب الذي يقال لهم الحرابية، فهم يشاركون الاحمدي جبل الفقرة من الغرب.[47] وعن قبيلة الروثان هم من روثان بني عمرو وينسب إليهم الرويثي كما أنهم يسكنون بوادي الصفراء. واخر بطن من بطون ميمون هي قبيلة الموارعة هم من أهل الفقرة ويشاركون الاحامدة في مسكنهم كما أن قسم منهم كانوا في ينبع النخل أما قبيلة مروح فكان

وادي الصفراء مساكنهم الأصلي، لكن قد خرجت منها بطون أخرى ستذكر منها الباحثة ما يتعلق بسكان هذا الوادي فقط.

أولاً: الحوازم كانوا يسكون الحمراء لكن عندما اندثرت هاجر بعضاً منهم إلى مكة والبعض الاخر قد سكنوا في الواسطة. كما أن جزء منهم قد انتقلوا من وادي الصفراء إلى السفوح الشمالية للفقارة.[48] ثانياً: الظواهر وقد كانت ديارهم من المسيجيد إلى الفارعة ومركزهم بئر عباس فمنهم الظواهر الحجازيين. ثالثاً: الحجلة وينسب لهم الحجيلي فكانت ديارهم من المسيجيد في وادي الصفراء جنوباً حتى وادي حمض في الشمال.[49] رابعاً: الحنطيات هم سكان الواسطة فمن فروعها: الدربة، والمهاملة والمحاسنة والمداعشة والبراهمة والروبة والقنايعة. خامساً: قبيلة المزينة هي قبيلة عريقة كانت تسكن من نواحي الفرع إلى العقيق.[50]

الأحداث التاريخية في وادي الصفراء:

وادي الصفراء في صدر الإسلام:

كما أشارت الباحثة سابقاً بأن الوادي كان طريقا وممراً قد سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في العديد من غزواته وكما أنه كان محطة للحجاج، لذا وبدون شك كان لابد أن يكون لهذا الوادي احداث تاريخية تركت أثراً ودليلاً واضحاً لذلك الزمان. وبالتالي فإن من أهم الاحداث التاريخية المتعلقة بهذا الوادي هي أول غزوة غزاها النبي والتي هي غزوة الابواء[51] ثم بعد ذلك غزوة ذي العشيرة[52] كذلك مرور النبي صلى الله عليه وسلم منه، وهو في طريقه إلى بدر الكبرى التي نال فيها الإسلام والمسلمين أول نصر، تكريماً من الله عز وجل لنبيه الكريم، فعندما وصل مسجد الغزالة في المسيجيد قد أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام الطريق الأيمن من النازية فسلكه حتى قطع وادياً يفصل ما بين النازية ومضيق الصفراء يقال له وادي رجفان[53].[54]

فما أن اقترب من الوادي حتى أرسل بسبس بن عمرو الجهنيّ[55] وعديّ بن أبي الزغباء الجهنيّ[56] إلى بدر يتجسّسون أخبار أبي سفيان وغيره من قريش.[57]

بالرغم من ذلك فقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم الصفراء يساراً واخذ طريقاً من اليمين على وادي ذفران؛ ذلك بسبب كره النبي صلى الله عليه وسلم من المرور بين الجبلين الذي يقع بوسطهم وادي الصفراء، وحدث هذا بعد أن سأل عن اسمائهما فكانت الإجابة جبلا (مسلح ومخزيء)[58] وعن أهلهما فكانت بطنين من بطون بني الغفار وهما بنو النار وبنو حراق فكرههما وكره المرور من بينهما [59] ومن الأحداث أيضا إصابة عبيدة بن الحارث في رجله في معركة بدر لكن قد وافته المنية في وادي الصفراء وهذه الحادثة ستذكرها الباحثة في الفصل الثاني بالتحديد في المبحث الثاني.

أيضا قامت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة الفرع فهي قرية عن يسار السقيا[60] التي حدثت في ربيع الأول وقام في ربيع الاخر وجمادى الأول لكن لم تقم فيها حرباً وبعد ذلك انصرف إلى المدينة.[61]

أما في بدر الموعد[62]، فبدأت أحداثها منذ يوم أحد حيث نادى أبو سفيان قبل ذهابه بأن الموعد بينهم وبين المسلمين سيكون في بدر الصفراء بعد مرور عام من معركة أحد حيث ستقابلون فيقتتلون عندها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بالقبول مع ذكر المشيئة فتفرقوا بعد ذلك لكن ما أن أقترب موعد اللقاء حتى كره أبو سفيان الخروج لأنه كان عام جدب ولأنه كره خروج النبي دونه قد أخبر نعيم بن مسعود الاشجعي عندما قدم لمكة بذلك وعرض عليه عشرين فريضة يضمنها له سهيل بن عمرو بمقابل ذهابه إلى المدينة وترهيب المسلمين بقوله أن أبا سفيان قد جمع العدة والسلاح، وقد اسرع في فعل ذلك لكن النبي قد توعد بنفسه بالخروج عليه حتى لو كان لوحده فبعث الله الطمأنينة في قلوب المسلمين واذهب عنهم الرعب، فعند خروجهم قد استخلف على المدينة عبدالله بن رواحة وسار في المسلمين، ومن الواضح بأن بدر الصفراء كانت مجتمعاً يجتمع فيه العرب ولديهم سوقاً يقام في صبيحة هلال ذي القعدة لأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سار مع المسلمين كانت معهم بضائع لهم وتجارات فأقاموا ببدر الصفراء ثمانية أيام وباعوا ثم ربحوا فانصرفوا، فعندما سمع الناس بمسيرهم خرج أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش حتى انتهوا إلى مجنة [63]. ثم امرهم بالرجوع حتى يحين عامٌ خصب. [64] وبها قد قالت عائشة رضي الله عنها عند خروجهم مع النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى وصلوا الاثيل في وادي الصفراء فحثها على المجيء له كي يسابقها وفي هذا الوادي قد نزل به الصحابي أبي اللحم الغفاري. [65] كذلك حينما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم الى عرق ظبية [66]. ومعه أسرى بدر الذي كان منهم عقبة بن أبي معيط*[67] فقتله، بعد أن تذكر نذره لما قاله إذا اخذتك خارج الحرم لأقتلنك، وأيضا قد قتل النضر بن الحارث حينما خرج من مضيق الصفراء. [68] وهذه الحادثة سيأتي ذكرها في الفصل الثاني بالتحديد في المبحث الثاني.

كذلك حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فيه طريقة إلى غزوة بني لحيان صخرات اليمام. [69] وفي حجة الوداع قد مر على السيالة وهي بوادي الصفراء. [70]

وادي الصفراء في العصر الاموي ثم العصر العباسي:

لربما أن العهد الأموي قد سار على نهج عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، لذلك من المحتمل أن يكون الأمن كان مستتب في اودية الحجاز. لكن في عام 60هـ/ 679م عبد الله ابن الزبير قد سلك طريق الفرع هو وأخيه جعفر متجهين إلى مكة بعد أن بعث الوليد بن عتبة له عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليبايعوا يزيد بعد وفاة والده معاوية[71] وفي عام 618هـ / 1221م قيل إن قتادة بن ادريس قد جمع عدد كبير من الناس فسار من مكة قاصداً المدينة حتى وصل وادي الفرع فنزل به فحيث كان مريضاً، فأرسل اخاه وابنه الحسن بن قتادة لكن ما أن ابتعدوا حتى وصل إلى مسامع الحسن بن قتادة بأن عمه يطلب من الجند أن يحلفوا له بعد موت أخيه سيكون الأمير فتواجه الحسن مع عمه وأخبره لكنه قد أنكر ذلك فطلب من الجند أن يقتلوه لكنهم رفضوا، عدا غلامان لقتادة أخبروا الحسن بأنهما سيفعلان ما يطلبه منها فأمرهما بوضع عمامة عمه على عنقه ثم قتلاه. [72]

الجوانب الحضارية في وادي الصفراء:

المساجد والابار في وادي الصفراء:

من المساجد في وادي الصفراء مسجد ذفران وهو مبنياً بالجص ليس حوله مساكن لكن الناس أخذوا يتبركون به أما موقعه فهو على ارتفاع يسير من الطريق، كما أنه هناك مسجد الصفراء حيث صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بأنه هو المسجد الذي يتبرك به الناس، كذلك مسجد ثنية مبرك فطريق هذه الثنية من أسفل خيف بني سالم في وادي الصفراء.[73]

أيضا مسجد البرود في وادي الفرع يسمى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من أبرز معالم هذا الوادي.[74]

الابار في وادي الصفراء:

بئر الروحاء الذي قد اخذ اسمه من المنطقة نفسها، لكنه كان يعرف سابقاً بسجسج، ثم عرفت ببئر الراحة فمياه هذا البئر ما زالت تضخ حتى الآن، كذلك بئر الغنم وهو في منطقة محددة من الجي عرفت بالبنانية، ثم بئر عباس الذي كان وادي خرص يصب فوق ريع المستعجلة عنده، وهناك ابار ابن حصاني التي كانت قاعدة غيقة، وقد تكونت من ثلاثة ابار عرفت بذلك الاسم كما أنها كانت احدى المحطات العامرة في طرق الحج، وعن محطة السيالة بعد اندثارها قد عرفت ببئر مرزوق كما أنها سميت ببئار الصفا، وبئر درويش الذي قامت عليه الفريش.[75].

الأسواق في وادي الصفراء:

وكما أشارت الباحثة سابقاً بأن الوادي كان ممراً ومحطة للحجاج فكان لابد أن يكون هناك أسواقاً مثل: السوق الحجري الذي بخيف الحزامي، الواقع جنب غرب المدينة.[76]

كذلك كان فيها سوق منذ الجاهلية عرف بسوق الواسطة وله تاريخ منذ القدم وحتى في فجر الإسلام ففيه قد تجمع الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر الموعد وعرضوا بضاعتهم وابتاعوا فيها وربحوا، ولهذا السوق موعد سنوي محدد يقام فيه منذ الجاهلية وحتى في فجر السلام، فهو يقام في يوم سبت من شهر ذو القعدة ولمدة ثمانية أيام وقد عرف هذا السوق أيضا بسوق الصفراء.[77]

ترى الباحثة بأن لا أثر لنشاط هذه الأسواق في الوقت الحالي حيث أن الاثار المتبقية تدل على أن جزءاً منها قد هدم أو أنها قد اندثرت لكنها من المؤكد أنها أصبحت خاوية على عروشها، أما عن وصفها فهي عبارة عن محلات حجرية مكونة من غرف بجوار بعضها البعض على شكل مربع ذات بيبان خشبية.

كما أنها ترى بأن هذا الوادي ليس مواكباً للتطور والازدهار العمراني بالشكل الكافي حيث أن بنيانه قد اتصفت غالبيتها بالطابع الشعبي القديم دوراً واحداً متخذاً شكلاً مربعاً.

كذلك كانت هناك أثار لم توضح معالمها هل هي مساجد أم دوراً أو قلاع بسبب هدم جزءاً كبيراً منها حيث كانت هناك جدران مهدمه مبنية بالطين واللبن.

وادي الصفراء في الكتابات النثرية والشعرية:

دفن عبيدة بن الحارث ورثاء هند بنت اثاثه له، وهو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي. كان إسلامه قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم لدار الأرقم بن الأرقم ويقال بأن كان له شأن عند النبي فكانت أول سراياه قد بعثها مع عبيدة بن الحارث كذلك أول راية عقدها كانت راية عبيدة كما أنه قد شهد بدراً فأصابه شيبة بن ربيعة[78] في ساقه فقطعت، وما أن وصل إلى الصفراء حتى توفى بها.[79] فرثته هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية أخت مسطح بن أثاثة.[80]

فأكثر أهل العلم بالشعر ينسبها لهند بنت أثاثة حيث كانت أبيات مرثيتها لعبيدة بن الحارث بهذه الكلمات [81]:

«لقد ضمنَ الصفراءُ مجداً وسؤدداً * وحلماً أصيلاً وافر اللبِّ والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضيافِ غربةٍ * وأرملةٍ تعوي لأشعثَ كالجذلِ
وبكّيهِ للأقوامِ في كل شتوةٍ * إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ من المَحْلِ
وبكّيهِ للأيتامِ والريحُ زفرةٌ * وتشبيبُ قدرٍ طالما أزبدت تَغْلي
فإن تصبحَ النيرانُ قد مات ضوؤها * فقد كان يذكيهنَّ بالحطبِ الجزلِ
لطارقِ ليلٍ أو لملتمسِ القرى * ومستنبحٍ أضحى لديهِ على رسلِ»

وصف الباحثة للمقبرة (انظر ملحق10) بأنها ذات بابٍ واحد بدرفتين قد بان عليهما عوامل الزمن فقد تأثرا حتى طبع عليهما الصدى أما عن لون الباب فهو يميل للأزرق الفاتح وفي وصف جدرانها فهي باللون الأبيض المائل للصفرة تتخللها أعمدة قد اتخذت شكلاً مستطيلاً باللون الغامق، أما من الداخل فقد فهي عبارة عن أكوام حجرية متناثرة فوق كل قبر، فالمقبرة قد اتخذ شكلها الخارجي شكل المستطيل، كما أنها بعيدة عن العمران فليست قريبة من مسجد أو ما إلى ذلك كما أنها تقع في منطقة الحمراء وحول المكان لوحة باللون الأسود كتب عليها حارة أبو عبيدة لربما كان ذلك نسبة لعبيدة بن الحارث الذي دفن فيه هذه المقبرة بعد أن أصيب في بدر وتوفي في الصفراء.

رثاء قتيلة بنت النضر بن الحارث في والدها. القصيدة [82]:

يا راكباً إن الأثيل مظنة * من صبح خامسةٍ وأنت موفق"
أبلغ بها ميتاً بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني عليك وعبرةً مسفوحةً * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر إن ناديته * بل كيف يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد يا خير صنو كريمةٍ * في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم إن كان عتق يعتق
لو كنت قابل فديةٍ لفديته * بأعز ما يفدى به من ينفق»

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بْن عبد الدار كانت شاعرة محسنة قد أسلمت في يوم فتح مكة، فبعد بدر الكبرى قد بلغها مقتل والدها فرثته بالأبيات السابقة.[83]

أما أبيها فهو النضر بن الحارث صاحب لواء المشركين في بدر وأيضا من الأشخاص الذين أساءوا للإسلام، فلما أيد الله المسلمين بنصره في هذه المعركة، كان النضر بن الحارث من أسراها وقد أمر الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقتله في الصفراء.[84]

فقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بكى حتى أبتلت لحيته بالدموع ثم قال: لو بلغني شعرها قبل أن اقتله لعفوت عنه حدث ذلك بعد أن وصلت لمسامعه تلك الابيات.[85]

فكلمة الأثيل التي وردت في مطلع القصيدة هي جمع أثلة وتعني الشجرة المعروفة وهو بالأصل تصغير لكلمة أثيل، وقيل إن بين بدر ووداي الصفراء.[86]

إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بكى حتى أبتلت لحيته بالدموع فقال لو بلغني شعرها قبل أن اقتله لعفوت عنه وذلك بعد أن وصلت لمسامعه تلك الابيات.[87]

الخاتمة:

وفي الختام علمت الدراسة على عرض صورة واضحة لوادي الصفراء، وشاملة لبعض أحداثه التاريخية، وقد توصلت إلى عدد من النتائج والتوصيات.

النتائج:

من النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

إن لموقع وادي الصفراء أهمية بالغة، فهو كان طريقاً قد سلكه النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرات في غزواته، وطريقاً للهجرة ومنه محطة للحجاج يستريحون به.

أشتهر وادي الصفراء بكثرة مياهه؛ مما جعلها تزدهر بكثرة النخيل والمزارع، لكن في الوقت الحالي معظم جذوع نخيلها بقي ذابلاً مصفراً.

إن الازدهار العمراني في وادي الصفراء قد طبع عليه الطابع القديم، فمعظم بنيانه مبنية بالطين وطابقٌ واحد.

كان في لوادي الصفراء بعضة أسواق اشتهرت به منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكنها قد بقيت لمدة من الزمن ثم اندثرت فلم يبقى منها سواء جدرانها المبنية.

لم يقتصر وادي الصفراء على كونه طريقاً وحسب، بل أن بعض الأحداث التاريخية قد ذكرت فيه كمقتل النضير بن الحارث ودفن عبيدة بن الحارث.

وبعد إطلاع ودراسة وزيارة ميدانية لوادي الصفراء.

التوصيات:

من التوصيات التي توصلت إليها الدراسة:

- توصي الباحثة بتناول موضوع وادي الصفراء منذ فجر الإسلام وحتى العصر العباسي كرسالة علمية.
- توصي الباحثة بتشجيع المهتمين بالتاريخ والحضارة لدراسة وادي الصفراء بشكل كامل ومفصل.
- توصي الباحثة وزارة السياحة السعودية بدراسة موقع الصفراء واستثماره؛ بكونه معلم أثري وتاريخي من معالم المملكة العربية السعودية.
- توصي الباحثة وزارة الثقافة السعودية بإرسال بعض الباحثين والباحثات المهتمين بالآثار والتاريخ وتشجيعهم بتسليط الضوء على أهم تراث وادي الصفراء.
- توصي الباحثة بمبادرة وزارتا السياحة والثقافة وسرعتهم بالاهتمام والعناية بالجوانب الاثرية المتبقية في وادي الصفراء قبل أن تندثر نهائيا.

الملاحق

أقدمت الباحثة في صباح يوم الجمعة بتاريخ 1442/4/5هـ الموافق 20 نوفمبر 2020م بالذهاب في رحلة مخصوصة لمنطقة هذه الدراسة ألا وهي منطقة وادي الصفراء وذلك بعد أن تمت دراستها والتعرف عليها والتنقيب عن معلوماتها نظريا من خلال ما ذكر عنها في المصادر والمراجع، بهدف زيارتها ورصد صورا واقعية لها ثم الاستشهاد بها في متن هذا البحث.

ملحق رقم 1

منطقة الحمراء تبدأ من اللوحة الارشادية لها وهي من قرى وادي الصفراء أُتخذ اسمها من لون جبالها والتي تبعد عن المدينة من الجنوب بحوالي 121كيلاً تقريباً – تصور الباحثة

ملحق رقم 2

منطقة الجديد تبدأ من اللوحة الارشادية بها آثار تاريخية أشبه ما يقال عنها متحطمة ويكثر بها النخيل لكونها إحدى عيون الواسطة إلا أنها تعتبر عينا ضعيفة، وتعد الجديد من القرى القريبة من بدر- تصوير الباحثة

ملحق رقم 3

منطقة الفارعة تبدأ من اللوحة الارشادية بها آثار تاريخية على مد البصر ويكثر بها النخيل لكونها إحدى عيون الواسطة - تصوير الباحثة

ملحق رقم 4

تبعد عن المدينة 128 كيلاً وتقع في وسط وادي الصفراء وتعتبر أكبر قرى الوادي بها أثار تاريخية وكذلك تكونت بها العيون – تصوير الباحثة

ملحق رقم 5

يقع هذا الخيف غرب المدينة المنورة وبه باقيا من الآثار التاريخية المبنية ومن الواضح بأنها كان بها عين إلا أنها جفت كما انه يبعد عن المدينة بـ 105 أكيال تقريبا – تصوير الباحثة

ملحق رقم 6

خيف قديم في وادي الصفراء كما أنه يبعد عن المدينة بمسافة 120 كيلا تقريبا – تصوير الباحثة

ملحق رقم 7

أحد خيوف وادي الصفراء فالمسافة بينها وبين المدينة نفس المسافة التي بين المدينة وام ذيان – تصوير الباحثة

ملحق رقم 8

كانت مزارعها على مد البصر حيث ولعل السبب يعود إلى المياه الجارية التي كانت تصب في تلك المنطقة - تصوير الباحثة

ملحق رقم 9

هو وادي وكان أيضا أحد روافد وادي الصفراء الذي يصب في مضيقه إلا أنه من الواضح ما تم رصده أنه لم يعود مياه جارية بدليل عدم وجود الكثير من المزارع بل رصدت الأرض القاحلة فيه أيضا – تصوير الباحثة

ملحق رقم 10

يقع هذا المكان في منطقة الحمراء وتم الارشاد له بلوحة باللون الأسود كتب عليها حارة أبو عبيدة وعند اتباع السهم المرسوم يتم رصد سورا من الجدران التي صبغت باللون الأبيض المائل للصفرة بين كل مستطيل والأخر عمود باللون الغامق وما كان خلف هذا السور إلا مقبرة لها باب بدرفتين قد بان عليهما عوامل الزمن فقد تأثرا حتى طبع عليهما الصدى أما عن لون الباب فهو يميل للأزرق الفاتح أما من الداخل المقبرة كان الوضع عبارة عن أكوام حجرية متناثرة فوق كل قبر، ولوحظ بأن المقبرة بعيدة عن العمران فليست قريبة من مسجد أو ما إلى ذلك – تصوير الباحثة

الهوامش:

(1) معجم المعاني الجامع «الوادي»(تاريخ الدخول: 15/3/1442هـ) https://2u.pw/cjFPs

(2) سورة البقرة: اية 69.

(3) سورة الروم: اية 51.

(4) سورة الزمر: اية 21.

(5) سورة الحديد: اية 20.

(6) سورة المرسلات: اية 33.

(7) محمد بن حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ج1، ط1، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت،1411هـ ص159.

(8) محمد بن حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة،ج1، ص159.

(9) في سنة 1227 حدثت معركة في عهد الامام سعود بن عبد العزيز مع الجيش المصري بقيادة احمد طوسون. ذكرها: عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، ج1، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط4، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1402هـ / 1982م، ص ص -329 330.

(10) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج5،ط1، دار مكة ،مكة المكرمة، 1402هـ/ 1982م، ص992.

(11) ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي: معجم البلدان، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، 1995م، ص 412.

(12) عرام بن الأصبغ السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط1، مطبعة امين عبدالرحمن ، القاهرة، 1373، ص8.

(13) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر) ، ج2، دار اليمامة، الرياض، ص847.

(14) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز (بحوث جغرافية وتاريخية وادبية)، ط1، دار مكة، مكة المكرمة، 1405هـ / 1985م، ص146.

(15) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج1، ص126.

(16) ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي: معجم البلدان ، ج3، ص 223.

(17) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص146.

(18) محمد شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص49.

(19) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص147.

(20) عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،ج1، ط1،دار مكة، مكة المكرمة،1402هـ / 1982م، ص 291.

(21) عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت،1412 هـ ص834.

(22) عاتق بن غيث البلادي: على طريق الهجرة (رحلات في قلب الحجاز)، ط1، دار مكة، مكة المكرمة، ص156.

(23) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص149-148.

(24) ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص 342.

(25) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج3، ص470.

(26) موقع WikiZER «قرية الرحبة»(تاريخ الدخول:16/4/1442هـ) https://2u.pw/ueuWJ

(27) عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص609.

(28) عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص817.

(29) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 149-148.

(30) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج2، ص349.

(31) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج1، ص196.

(32) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج6، ص1101.

(33) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج7، ص 1293.

(34) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الهلال، بيروت، ص 148.

(35) عاتق بن غيث البلادي: على طريق الهجرة، ص155-154.

(36) عاتق بن غيث البلادي: على طريق الهجرة، ص156.

(37) إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص1359.

(38) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص152.

(39) موقعWikiZER»خيف أم ذيان»(تاريخ الدخول:16/4/1442هـ) https://2u.pw/wVq7s

(40) تأنيث الآخرم للمشقوق الشفة. ذكرها: نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ ص67.

(41) موقع WikiZER «الخرماء»(تاريخ الدخول: 16/4/1442هـ) https://2u.pw/HVp7F

(42) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج3، ص501.

(43) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج3، ص618.

(44) عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1، ص62-61.

(45) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ / 2002م، ص140.

(46) عاتق بن غيث البلادي: نسب حرب(قبيلة حرب: أنسابها ،فروعها ،تاريخها وديارها)،ط3، دار مكة، مكة المكرمة، 1404هـ /1984م، ص ص 85-79.

(47) عاتق بن غيث البلادي: نسب حرب، ص ص 87-85.

(48) عاتق بن غيث البلادي: نسب حرب، ص ص 92-89.

(49) عاتق بن غيث البلادي: نسب حرب، ص 95-94.

(50) عاتق البلادي: نسب حرب، ص 98-97.

(51) 51الأبواء قرية من قرى الفرع في المدينة. ذكرها: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم البلدان، ج1، ص79.

(52) هي قرية عامرة من قرى ينبع النخل كذلك هي المنطقة التي قامت فيها معركة ذي العشيرة حيث تسمت باسم المنطقة. ذكرها: عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1، ص209.

(53) وفي روايات يسمى رحقان.

(54) نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج3، ص 175.

(55) بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة الانصاري حليف بني ساعدة ويقال له بسبس بن بشير. ذكرها: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج1، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، ص190.

(56) هو من جهينة حليف لبني النجار من الأنصار. ذكرها: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج3، ص1059.

(57) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد: تاريخ ابن خلدون، ج2، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت،1408هـ/1988م، ص427.

(58) لأن عبد الغفار كان يرعى بهما غنما فرجع يوما من المراعي فقال له سيده: لم رجعت؟ فقال: هذا الجبل مسلح للغنم، وهذا مخرىء لها. ذكرها: نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج4، ص141.

(59) نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج3 ص 175.

(60) ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي: معجم البلدان ، ج4، ص 252.

(61) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3،ط27، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، 1415هـ/1994م ص170.

(62) تسمى ببدر الاخرة وبدر الثانية.

(63) هو سوق في الجاهلية عند مر الظهران منطقة قريبة من مكة والتي تعرف حاليا بوادي فاطمة. ذكرها: محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ج1، تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ ص827.

(64) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي: الطبقات الكبرى، ج2، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ص 46-45.

(65) من أكبر الصحابة وأقدمهم وقيل سبب تسميته بابي اللحم هو أنه رفض أن يأكل اللحم. ذكرها: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج1، ص135؛ حمد الجاسر: بلاد ينبع (لمحات تاريخية جغرافية، وانطباعات خاصة)، ص195 196.

(66) موضع بين ينبع وغيقة. ذكرها: محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ج1، ص643.

(67) 67 إنه أشقى القوم بسبب أذيته للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك عندما أمره أبي خلف أن يبصق فيه وجه النبي ففعل ذلك حتى نزلت فيه هذه الآية من سورة الفرقان قال تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾. ذكرها: موسى بن راشد العازمي: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (دراسة محققة للسيرة النبوية) ج1، تقريظ: محمد رواس قلعه جي، ط1،المكتبة العامرية، الكويت، 1432هـ/2011م، ص290.

(68) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ ص903.

(69) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية لابن هشام، ج2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1375هـ/ 1955م، ص279.

(70) 70محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي الواقدي: المغازي، ج3، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1409هـ/1989م، ص1092.

(71) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص129.

(72) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج10، ص368.

(73) نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج3، ص175.

(74) خالد الشاماني، «مسجد البرود ثالث مساجد النبي بوادي الفرع تاريخ كبير وإهمال أكبر» صحيفة سبق الالكترونية 3/7/1437هـ (تاريخ الدخول: 26/4/1442هـ) https://2u.pw/h7G9r

(75) عاتق بن غيث البلادي: على طريق الهجرة، ص 186-178-166-158-157-155.

(76) رائد الاحمدي،» سوق و مقاهي خيف الحزامي طريق قوافل الحجاج قديماً ، غرب المدينة المنورة» تويتر، ١ يونيو ٢٠٢٠، (تاريخ الدخول: 26/4/1442هـ) https://2u.pw/5n0m1

(77) اثار تهامة الحرمين، «اثار سوق الواسطة في وادي الصفراء» تويتر، 4مايو2019، (تاريخ الدخول:19/4/1442هـ) https://2u.pw/PXny1

(78) قيل عتبة وكلاهما ابنا ربيعة بن عبد شمس كما أنهما قد ماتا وهما كافرين يوم بدر. ذكرها: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي: جمهرة أنساب العرب،ج1، تحقيق: لجنة من العلماء،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،1403هـ/1983م، ص76.

(79) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج3، ص 1021-1020.

(80) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 7، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م، ص277.

(81) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص 42-41.

(82) المؤلف مجهول: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ج1، جمعه ورتبه: بشير يموت، ط1، المكتبة الاهلية، بيروت، 1352هـ/1934م، ص134.

(83) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج4، ص1904.

(84) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج2 ، ص24.

(85) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج4، ص1905.

(86) عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص 16.

(87) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج4، ص1905.

المصادر والمراجع العربية:

(1) القران الكريم.

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ / 1987م.

(3) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر)، ج2، دار اليمامة، الرياض.

(4) حمد الجاسر: بلاد ينبع (لمحات تاريخية جغرافية، وانطباعات خاصة).

(5) عاتق بن غيث البلادي: على طريق الهجرة (رحلات في قلب الحجاز)، ط1، دار مكة، مكة المكرمة.

(6) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز (بحوث جغرافية وتاريخية وادبية)، ط1، دار مكة، مكة المكرمة، 1405هـ / 1985م.

(7) عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1، ط1، دار مكة، مكة المكرمة،1402هـ / 1982م.

(8) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط1، دار مكة، مكة المكرمة، 1402هـ/ 1982م.

(9) عاتق بن غيث البلادي: نسب حرب (قبيلة حرب: أنسابها، فروعها، تاريخها وديارها)، ط3، دار مكة، مكة المكرمة، 1404هـ /1984م.

(10) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد: تاريخ ابن خلدون، ج2، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت،1408هـ/1988م.

(11) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ

(12) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية لابن هشام، ج2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1375هـ/ 1955م.

(13) عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت ،1412 هـ

(14) عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، ج1، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط4، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1402هـ / 1982م.

(15) عرام بن الأصبغ السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، مطبعة امين عبد الرحمن، القاهرة، 1373.

(16) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/ 1997م.

(17) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج7، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م.

(18) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق:لجنة من العلماء،ج1،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1403هـ/1983م.

(19) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ / 2002م.

(20) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ط27، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، 1415هـ/1994م.

(21) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الهلال، بيروت.

(22) محمد بن حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ج1، ط1، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت،1411هـ

(23) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي: الطبقات الكبرى، ج2، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/ 1990م.

(24) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي الواقدي: المغازي، ج3، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1409هـ/1989م.

(25) محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ج1، تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ

(26) موسى بن راشد العازمي: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (دراسة محققة للسيرة النبوية)، ج1، تقريظ: محمد رواس قلعه جي، ط1، المكتبة العامرية، الكويت، 1432هـ/2011م.

(27) المؤلف مجهول: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ج1، جمعه ورتبه: بشير يموت، ط1، المكتبة الاهلية، بيروت، 1352هـ/1934م.

(28) نورالدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ

(29) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم البلدان، ط1، دار صادر، بيروت، 1995م.

(30) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.

المواقع الالكترونية:

(1) اثار تهامة الحرمين، «اثار سوق الواسطة في وادي الصفراء» تويتر، 4مايو2019، (تاريخ الدخول:19/4/1442هـ) https://2u.pw/PXny1

(2) خالد الشاماني، «مسجد البرود ثالث مساجد النبي بوادي الفرع تاريخ كبير وإهمال أكبر» صحيفة سبق الالكترونية 3/7/1437هـ (تاريخ الدخول: 26/4/1442هـ) https://2u.pw/h7G9r

(3) رائد الاحمدي،» سوق ومقاهي خيف الخزامي طريق قوافل الحجاج قديماً، غرب المدينة المنورة» تويتر، 1يونيو 2020 ،(تاريخ الدخول: 26/4/1442هـ) https://2u.pw/5n0m1

(4) معجم المعاني الجامع «الوادي»(تاريخ الدخول: 15/3/1442هـ) https://2u.pw/cjFPs
(5) موقع WikiZER «الخرماء»(تاريخ الدخول: 16/4/1442هـ) https://2u.pw/HVp7F
(6) موقع WikiZER «قرية الرحبة»(تاريخ الدخول: 16/4/1442هـ) https://2u.pw/ueuWJ
(7) موقعWikiZER»خيف أم ذيان»(تاريخ الدخول:16/4/1442هـ) https://2u.pw/wVq7s